سيميائية الألوان في شعر الصعاليك

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس
*
darjundi46@gmail.com

سيمائية الألوان في شعر اصعاليك

د. شهيناز غازي أبو شيكة

*

الطبعة الأولى (2023).
*

جميع الحقوق محفوظة لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

سيمائية الألوان في شعر الصعاليك

شهيناز غازي أبو شيكة

الطبعة الأولى

2023 م

الإسراء 85

إهــداء

إلى من علمني النجاح والصبر، إلى من أفتقده في مواجهة الصعاب، ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه، فمضى تاركاً توجيهاته كي يراني متوجةً بالعلم، والأخلاق، والأمل، إلى الغائب الأكبر عن حياتنا أبي.

وإلى التي تحكي الألوان دلالاتها عمن في قلبي محبتها، فاللون الأخضر يخبرني عن غيث يروي أحبتها، واللون الأصفر في الوجه الشاحب ذبل كي تنمو نبتتها، وبياض الشيب يحدثني عن لون بياض صفحتها، واللون الأحمر في خد يرمز لدلالة حشمتها، واللون الأسود في ثوب يكتب عنوان طهارتها.. أمي.

إلى ذلك الشخص الذي يتشكل على هيئة عالم، الشخص الذي لا يتوقف عن إدهاشي في كل يوم، المختلف بأدق تفاصيل الاختلاف وأجملها، إلى المخلص الذي آزرني في هذا المشوار، زوجي الغالي طارق أبو جبارة " أبو زياد".

إلى أجمل أزهار حياتي، فلذات كبدي الذين تحملوا انشغالي عنهم أبنائي: " روزان، زياد، جنات، أمير، لانا، فراس" حفظهم الله.

إلى الغاليين على قلبي حماي الحاج " أبو طارق" وحماتي أمي الثانية الحاجة " أم طارق " أطال الله في عمرهما، وأدام عليهما الصحة والعافية، ورزقهما السعادة الدائمة.

إلى أخي " محمد " حصني المنيع، وأخواتي كنزي الذي لا يفنى.

إلى أساتذتي الذين تتلمذت على أيديهم، وما زلت أنهل من علمهم، فلهم مني كل الشكر والتقدير، وإلى جميع من كانوا عوناً وسنداً لي.

وإلى أهلنا في القدس، أولئك القابضين على الجمر، المرابطين في ساحات المسجد الأقصى، وإلى الوطن الذي رعانا بدفئه وحنانه، فلسطين الحبيبة.

شكر وتقدير

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين– سيدنا محمد– وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد:

فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من لا يشكر الناس لا يشكر الله، فالشكر والحمد لله أولاً، كما أنه لا يسعني إلا أن أدعو الله عز وجل أن يتولى بفضله جزاء المعلم المعطاء أستاذي الأستاذ الدكتور/ عبد الرحيم محمد الهبيل، الذي شَرُفْتُ به مشرفاً على رسالتي هذه، وقد كان لتوجيهاته، وإرشاداته، وسعة صدره كل الفضل في إتمام هذا العمل، بما يملك من بصيرة نافذة، ورؤية شاملة، فكان نبراساً للباحثة وللدراسة، فله مني أسمى معاني الحب، والتقدير، والاحترام، وأدام الله عليه الصحة، وزاده رفعة في الدنيا والآخرة.

وإني لأتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذين الجليلين عضوي لجنة المناقشة، فأقدم عظيم شكري للأستاذ الدكتور(بسام ضيف الله اضهير) الذي تتلمذت على يديه في مرحلة البكالوريوس، واليوم شرفني بقبول مناقشة هذه الرسالة رغم ضيق وقته وكثرة مشاغله، وأشكر له جهداً موفوراً بذله في قراءة هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الدكتور(أسامة عزت أبو سلطان) لتفضله بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة انتفاعاً بعلمه؛ لتقويم هذا العمل وتقييمه، فجزاه الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء.

وأخيراً أتوجه بالشكر الحار إلى كل من مد لي يد العون في سبيل إتمام هذا البحث، وإلى الزملاء والزميلات، وأمناء المكتبات، الذين ذللوا لي الصعاب في سبيل الحصول على المادة العلمية لهذا البحث، وإلى كل من أسهم في سبيل إتمام هذا العمل، وخروجه على هذا الشكل.

والله الموفق

الكاتب / شهيناز غازي أبو شبيكة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد:

تعرض هذه الدراسة المعنونة بـ: "سيميائية الألوان في شعر الصعاليك " للعلامة اللونية وأثرها في تشكيل الدلالة، حيث يعد شعر الصعاليك من أكثر الأشعار التي تستميل القارئ؛ لغرابة عيشهم، وشدة بأسهم، وأساليب مواجهتهم للحياة، لقد كانت موضوعاتهم مليئة بمواطن الإثارة؛ لما فيها من تناقض، ففيها السلب، والنهب، والإغارة، والقتل، والانتقام، والقيم التي تسمو بالنفس، وتدعو للكرم، والإيثار، والعفة، ونصرة المظلوم، والحكمة. وعلى الرغم من هذه الموضوعات وتناقضها، فإننا لا نجد للشعراء الصعاليك إلا القليل من الشعر؛ وذلك لأنهم خرجوا على قبائلهم، أو طردوا منها، فقل الرواة لهم، ولم تحفظ لهم القبائل أشعارهم، مما أدى إلى ضياع الكثير منها.

وفيما يتعلق بالسيميائية، فإن من مبادئها أنها تبحث عن المعنى، من خلال بنية الاختلاف، ولغة الشكل، والبنى الدالة، وتحاول الإجابة عن كيفية بناء النص، من خلال تفكيك النص، وإعادة تركيبه.

وترتبط السيميائية ارتباطاً وثيقاً باللسانيات المعاصرة، ولا تبتعد عن دراسة المعنى (السيمانتيك)، وجذورها الأولى تمتد في أعماق التاريخ منذ أن بدأ الإنسان يبحث عن ذاته، ويتعرف إلى ما حوله، ويحاول تشكيل المعاني والصور الذهنية التي تعبر عن امتلاك ممكن لعناصر الوجود.

لقد وَجَدَتْ السيميائية_ بوصفها علماً حديثاً_ في المبحث اللساني مرتكزاً تقوم عليه، وتستقي منه تقنيات، وآليات، ومفاهيم تحليلية، خاصة سيمائية الدلالة التي تلجأ إلى تطبيق الثنائيات السيميائية على موضوعات لغوية وغير لغوية، حيث لم تعد السيميائية هي الحقل الأوسع الذي يشمل اللسانيات؛ لأن كثيراً من العلامات البصرية،

والأنساق غير اللفظية تستعين بالأنظمة اللغوية. أما تعدد مصطلحات السيميائية واختلاف مسمياتها من باحث إلى آخر، فإنه يدل على اتساع مساحة السيميائية، وكثرة العاملين في مجالها، واختلاف مشاربهم، وتعدد ثقافاتهم، ويشير من جانب آخر إلى أثر اختلاف القوميات في تعدد المصطلحات.

وقد اختارت الباحثة اللون؛ ليكون حقلاً دراسياً للوقوف على أثر اللون في تشكيل المعنى، ودور البيئة في انتقاء الألوان، وأثر اللون في نفس المتلقي، وللتعرف إلى مظاهر الحياة الحسية والمعنوية في تشكيل الوعي العربي وتطوره، فالألوان في الطبيعة، والحيوان، والكواكب، والإنسان كانت سبباً في زيادة الوعي بالوجود، وعاملاً مهماً في التشكيل اللغوي الجمالي وتطور فن القول، حيث إن إدراك اللون بأبعاده المختلفة لم يكن دفعة واحدة في العقل الإنساني، كما إن البيئات الثقافية المتعددة تختلف في الإحساس الجمالي للألوان، فالألوان تعبر عن النضج المعرفي، وعن تفاوت الإدراك، وتباين البيئات في الذوق، كما أن الألوان من أكثر الماديات التي ترتبط بالعواطف والأهواء، فهي تعبر عن الحب، والخوف، والقلق، وتخط لكثير من مسالك المعنى والجمال؛ لارتباطها بالمشاعر، والخيال، والإيحاء.

وتكمن أهمية الدراسة في إلقاء الضوء على سيميائية الألوان في شعر الصعاليك، حيث شكل اللون هاجساً عند الشعراء الصعاليك، فوظفوه في أشعارهم؛ حيث يعبر عن دلالات نفسية وجمالية لها علاقة بطبيعة واقعهم ومجتمعهم الذي ينتمون إليه، هذا إلى جانب أنها من الدراسات التي تبحث في بيان الأبعاد الدلالية والجمالية للألوان في شعرهم، ودورها في توظيف الصورة الفنية من خلال أدوات التشكيل الفني، وعلاقة الألوان ببناء الصور، ودورها في تشكيل الإيقاع، ودلالات ذلك النفسية منها والجمالية.

تمهيد: (المفاهيم)

لقد حظي موضــوع الحقول الدلالية في الدراســات اللســانية باهتمام النقاد على اختلاف مناهجهم وتوجهاتهم، ويؤكد هذا وفرة المصـــنفات التي وصـــلتنا، وتنوع الاتجاهات التي سلكها المصنفون، وكذلك تواصل الدراسات حول مفاهيم الشعرية ومصادرها؛ لذلك أردت إلقاء الضوء على حقل اللون في شعر الصعاليك في العصرين الجاهلي، والإسلامي حتى نهاية العصر الأموي؛ لكشف دلالات هذه الألوان، وكيفية توظيفها في مختلف الســـياقات اللغوية، والعاطفية، والبيئية، والثقافية، وذلك لأهمية شعر الصعاليك، ودوره في بنية الفن العربي، وعقل الثائر المتمرد على ما هو سائد ومألوف، فهو ظاهرة فريدة في باكورة مســـيرة الشـــعر العربي؛ يحمل ثورة على المستويين الاجتماعي والفني معاً[1]، فهل كان انعكاس الألوان في أشعارهم يعبر عن هذه الثورة؟ وكيف اســتطاع شــاعر الصــعاليك توظيف اللون في التعبير عن أحوال تنازع النفس بين الفردية والجماعة؟ وهل كانت الألوان في أشـــعارهم مصـــدراً للراحة النفسية؟ أم مثاراً للقلق وتأجيج الصراع؟ وما إحساس القارئ بتلك الألوان في أشعارهم؟ وما دور اللون في التشكيل اللغوي؟ وما علاقة الألوان بالبيئات الجديدة التي تشكلت على أيدي الصعاليك؟ وهل حقاً أن أشعارهم كانت تدعو إلى معايير جديدة في تقييم الإنســان ومكانته؟ أو بلفظ أدق هل رفضــوا معيار النســب والغنى؟ وأرادوا أن يكون المعيار في شخص الإنسان وذاته؟ " وأن تُقدَّر مكانته في قبيلته على أساس المهارة والذكاء[2].

---

(1) زدادقة، سفيان: أدب الغرابة " قراءة في نص للصعلوك تأبط شراً "، مجلة الناص، جامعة جيجل، ع 2-3، أكتوبر 2004م، مارس 2005، ص 182 .

(2) ينظر: عادل، محلو: سيمياء الصراع في تائية الشنفرى، بحث في مجلة الملتقى الوطني، ع4 (السيمياء والنص الأدبي)، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي بالوادي، الجزائر2012.

يمكن القول إن الدارس لا يجد سبيلاً إلى دراسة شعر الصعاليك، وتفسير علاماته، ودلالاتها، قبل أن يقف على أحوال العصر وظروف البيئة؛ ذلك لأن النتاج الأدبي يتأثر بالأحوال السياسية، والاجتماعية، والثقافية، فالشعراء الصعاليك عاشوا في عصر ما قبل الإسلام، وعاصروا أحداث الجزيرة العربية، ومنهم من عاش فجر الإسلام حتى أوج العصر الأموي، فكان لهذه الأحداث المختلفة أثر في اتجاهات الشعر وموضوعاته[1]. لكن هذا التأثر لم يؤثر في خصوصية شعر الصعاليك بما كانوا يحملون من فكر يخالف التقاليد السائدة في المجتمع الجاهلي، أو يعارض السلطة القائمة في العصر الأموي؛ فهم الذين حملوا السيف لإعادة التوازن الاجتماعي، واتخذوا من قلب الصحراء ملجأ حصيناً لهم، وعشقوا ألوان أدواتهم القتالية، ومنابت الجمال في حلهم وترحالهم.

الشعراء الصعاليك: المفهوم والطوائف:

الصعلوك لغة:

هو الفقير الذي لا مال له ولا اعتماد، والجمع صعاليك، وصعاليك العرب ذؤبانها، وذؤبان العرب لصوصهم وصعاليكهم، ويقال تصعلك الرجل إذا افتقر[2]، ووردت في مختار الصحاح "أن الصعلوك الفقير والتصعلك هو الفقر"[3]، وعرفه أبو زيد القرشي بقوله:" والصعلوك الفقير، وهو أيضاً المتجرد للغارات"[4]، وجاء في

(1) حرشاوي، جمال: الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجاً)، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2015م، ص 31 .

(2) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، ط1، دار إحياء التراث العربي،ج7، بيروت، لبنان 1988، ص350.

(3) الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، دار الفكر، عمان، الأردن، 2007م- مادة(صعلك)

(4) القرشي، أبو زيد: جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، حققه وضبطه وزاد في شرحه:علي البجاوي، ط1،، دار النهضة للطباعة والنشر، القاهرة، (د.ت)،ص 565 .

الوسيط:" تصعلكت الإبل: طرحت أوبارها، وتصعلك الرجل: افتقر، والصعلوك: الفقير، جمعه: صعاليك، وصعاليك العرب: فُتاكها"[1].

الصعلوك اصطلاحاً:

عُرِّف الصعلوك بأنه:" الفقير الذي لا مال له يستعين به على أعباء الحياة، ولا اعتماد له على شيء، أو أحد يتكئ عليه، أو يتكل عليه؛ ليشق طريقه فيها، ويعينه عليها، حتى يسلك سبيله كما يسلكه سائر البشر الذين يتعاونون على الحياة، ويواجهون مشكلاتها يداً واحدة، أو بعبارة أخرى الفقير الذي يواجه الحياة وحيداً، وقد جردته من وسائل العيش فيها، وسلبته كل ما يستطيع أن يعتمد عليه في مواجهة مشكلاتها"[2].

وعُرِّفت الصعلكة كذلك بأنها " تعود على الصعاليك، وهم شبان فقراء، ويُسمون أيضاً ذؤبان العرب، جمع ذئب؛ لأنهم يختطفون المال كما تختطفه الذئاب، ويُسمون أيضاً العدائين؛ لأنهم مشهورون بسرعة العدو في السلب والنهب، وكانوا مع فقرهم نبلاء"[3].

وعرف شوقي ضيف الصعلوك بقوله:" إن كلمة الصعلوك تدل على من يتجردون للغارات وقطع الطريق، وأخذت تتردد في أشعارهم صيحات الفقر والجوع، كما تموج بأنفسهم ثورة عارمة على الأغنياء الأشحاء، ويمتازون بالشجاعة والصبر عند البأس، وشدة المراس، والمضاء، وسرعة العدو"[4].

---

(1) أنيس، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة،(د.ت) باب الصاد، مادة(صعلك)

(2) خليف، يوسف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي،ط3، دار المعارف، القاهرة، 1978، ص52 .

(3) أمين، أحمد: الصعلكة والفتوة في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1951م، ص19 .

(4) ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة(د.ت) ص375 .

وهناك من عرف الصعلكة بأنها " تدل على اللصوصية وقطع الطريق، وسائر أساليب السلوك العدواني الذي يهدف إلى المغنم" [1].

وهناك من قال بأن الصعاليك هم " طائفة من الفرسان اعتمدت أسلوب المجتمع القبلي نفسه في الإغارة على غيرها، وسلب الأموال، لكنهم تميزوا- في غالب الأحوال- بأن جعلوا المال الذي يحصلون عليه قسمة بينهم، يستهيمون فيه على قدم المساواة، لا يستطيع زعيمهم أن يخص نفسه بشيء زائد على غيره"[2]. وبهذا المعنى قال جابر بن الثعلب الطائي:[3]

كَأَنَّ الفَتَى لَم يَعرَ يَوماً إذا اكتَسَى ولم يكُ صُغلُوكاً إذا ما تَمَوَّلا

وروي أن" النبي – صلى الله عليه وسلم- كان يستنفر بصعاليك المهاجرين؛ أي فقرائهم"[4]، ففي هذه النصوص قد استُعمل لفظ الصعلوك للفقير الذي لا يملك من المال ما يعينه على أعباء الحياة، ولكن لم تقف هذه اللفظة في الجاهلية عند دلالة الفقر فقط، وإنما دلت- أيضاً- على من يتجردون للغارات، وقطع الطرق، حيث سُمُّوا بالصعاليك، ونجد منهم في الجاهلية ثلاث مجموعات:[5]

---

(1) مهنا، أحمد سليمان: المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، بغزة، فلسطين، 2007م، ص1 .

(2) الفيل، توفيق: القيم الإنسانية في شعر الصعاليك، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، السنة العاشرة، مج10، ع38، 1990م، ص226 .

(3) العبيدي، محمد بن عبد الرحمن: التذكرة السعدية في الأشعار العربية، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م، ص118 .

(4) الحوفي، أحمد: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط5، دار القلم، بيروت، لبنان، 1972م، ص299.

(5) ينظر: ضيف، شوقي: العصر الجاهلي، ص375 . ويوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص58.

1- الخلعاء الشـذاذ الذين خلعتهم قبائلهم، وتخلت عنهم؛ لكثرة جرائرهم، أو إثر جناية أو عمل مهين، إذ أصـــبح وجودهم في قبائلهم شـــراً لا يطاق، فخلعتهم، وتبرأت منهم، مثل قيس بن الحدادية، وأبي الطمحان القيني.

2- أغربة العرب، وهم أبناء الحبشيات السود، ممن نبذهم آباؤهم، ولم يلحقوهم بهم؛ لعار ولادتهم، مثل: السليك بن السلكة، وتأبط شراً، والشنفرى.

3- مجموعة احترفت الصـــعلكة احترافاً، وهذه المجموعة قد تكون أفراداً مثل: عروة بن الورد العبسي، وقد تكون قبيلة بأكملها مثل: قبيلتي هذيل وفهم.

وإذا كان هذا التقسـيم الثلاثي يشـير إلى الدوافع الاجتماعية والاقتصـادية التي كانت سبباً في صعلكة هؤلاء الشعراء، فإننا نجد دوافع أخرى كانت فاعلة في انتمائهم لهذه الجماعات، ثم أصـبحت عبارة عن سـمات لهم تميزهم عن غيرهم. ومن أهم هذه الســـمات؛ الفقر وَحِدَّة الجوع، والثورة على الواقع الاجتماعي، و" الابتعاد عن حياة القبيلة وما فيها من أعراف ظالمة، والتوجه إلى الطبيعة، وما فيها من حياة فطرية، بحيث يَعُدُّون الحياة مع الذئاب، والنمور، والضِّباع أفضل من الحياة مع قومهم الذين خذلوهم واحتقروهم "[1]، ومن هذه السمات أيضا الفخر، والشجاعة، والعدو السريع، وتحمل المشـــاق ابتعاداً عن الذل، والإيثار، والكرم، فحياتهم وإن كانت" قائمة على السـلب والنهب، فإنهم لا يسـلبون سـيداً كريماً، ولا ينهبون غنياً جواداً؛ لأن السـلب للبخلاء الأشحاء[2].

ومن اللافت للنظر أن حياة الصـــعاليك صـــارت ذات بعد اجتماعي خاص يفارق ما تعارفت عليه القبائل، حيث فقدوا " الإحســاس بالعصــبية القبليَّة التي كانت

(1) آذرشـب، محمد علي: الأدب العربي وتاريخه حتي نهاية العصـر الأموي، ط4، طهران، المركز القومي للترجمة، 1983م، ص87 .

(2) ضيف، شوقي: العصر الجاهلي، ص376 .

قوام المجتمع الجاهلي وتطورها في نفوسهم إلى عصبية فئوية"[1]، دفعت بهم- أحياناً- إلى مواجهة القبائل التي نشأوا بها.[2] ولذلك فإن شعر الصعاليك قليل إذا ما قيس بشعر بقية الشعراء الجاهليين المشهورين، حيث لم يحرص رواة القبائل على حفظ أشعارهم، فضاع جزء كبير من هذا الشعر، وما وصل إلينا كان مبعثراً بين الكتب الثقافية العربية المختلفة، ومجموعات المختارات من شعر الشعراء، وكتب التراجم.[3] ولهذا لاحظ النقاد على شعر الصعاليك " قلته، وكثرة الاضطراب في رواية نصوصه، ثم الشك الذي يحيط ببعض نصوصه، أما قلته فيرجع إلى ضياع جزء كبير من شعرهم كما قلنا سابقاً، والاضطراب في رواية نصوصه يرجع إلى تمردهم على قبائلهم، وعدم رواية أشعارهم من جانب رواة القبائل، وتبعثرهم بين مصادر الأدب العربي المختلفة، والشك في بعض نصوصهم مردَّه إلى قضية الانتحال في الشعر الجاهلي "[4].

أما الصعاليك المخضرمين، فلم تنقل إلينا كتب التاريخ كثيراً من أخبارهم، ويعود السبب إلى:

1- قلة الصعاليك المخضرمين بالقياس إلى صعاليك الجاهلية.

2- ضعف حركة الصعلكة في صدر الإسلام.

ونستطيع القول إن الشعراء الصعاليك المخضرمين في الشطر الثاني من حياتهم تأثروا بالإسلام، واستجابوا لتعاليمه، حيث إنهم توقفوا عن شن الغارات، وقطع الطرق، وركنوا إلى الهدوء، وابتعدوا عن حياة التمرد والثورة، بل إن كثيراً منهم آمن، وحسن إسلامه.

---

(1) خليف، يوسف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص110- 111 .

(2) ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ج 14، ص 143.

(3) مروة، محمد رضا: الصعاليك في العصر الجاهلي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ص43 .

(4) خليف، يوسف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص 163 _ 164.

أما في العصر الأموي، فقد لعبت العوامل الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية دوراً كبيراً في نشوء حركة الصعلكة، حيث تشكلت في ثلاث طوائف: [1]

1- طائفة الصعاليك الفقراء، الذين هُجِّروا من مواطنهم لصراعات سياسية، أو لجدب الأرض، أو لفرض الضرائب.

2- طائفة الصعاليك الجناة والخلعاء الهاربين من العدالة، إذ " أخذت القبائل تخلع بعض أفرادها إما لكثرة جناياته فيها، أو على غيرها، وإما لسوء سلوكه الاجتماعي والأخلاقي؛ حتى لا تؤخذ بجرائر من خلعته منها"[2] .

3- طائفة الصعاليك السياسيين، وهؤلاء كانوا يسعون إلى تقويض أركان الدولة، والقضاء على خلفائهم، وتكوين دولة الصعاليك التي تقوم على العدل والمساواة.

وبالوقوف على أشعار الصعاليك في العصر الأموي وموضوعاتها، وخصائصها، فإننا نجد أن تغيرات هائلة قد طرأت عليها بحكم تغير الظروف والحياة، فبعد أن كانت أشعار صعاليك الجاهلية تفيض بالمغامرة، والتوعد، والتهديد، ووصف الأسلحة، وتصويرهم الفقر، وآثاره على حياتهم، أصبحت أشعار الصعاليك تحمل موضوعات جديدة مثل: وصف السجن، والمديح، والحنين، والتوبة، والاعتذار والاستغفار، لكن ظلت بعض السمات الفنية المميزة لشعر الصعاليك في أشعارهم " إذ كانت في جملتها مقطوعات لا قصائد طويلة إلا في القليل النادر، وتمثلت فيها الوحدة الموضوعية، وطبعت أشعارهم بطابع السهولة، والسلاسة، والأسلوب الواضح المستقيم، البعيد عن الغموض والغرابة في الألفاظ " [3].

---

(1) المرجع نفسه، ص3.

(2) مروة، محمد رضا: الصعاليك في العصر الأموي، أخبارهم وأشعارهم، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع 1990، ص50 .

(3) مروة، محمد رضا: الصعاليك في العصر الأموي، أخبارهم وأشعارهم، ص 4.

وبالتالي غدت موضـوعاتهم الشـعرية متقاربة إلى حد ما، فقامت مثلاً أشـعارهم على المقطوعات؛ لأن حياتهم قامت على التشـرد والمطاردة، ولم ينشـدوه في محافل الخلفاء والوزراء، وإنما أنشـدوه فوق الجبال، وبطون الوديان، وبالتالي لم يُهيأ لهم تنقيحه ومراجعته، وأهملوا الموروث، حيث كان تصـويرهم لطبيعة حياتهم ووصـف الصـحراء ليس من باب المحافظة على التراث والتقاليد، بل صـوروها ليعبروا عن حزنهم، وابتعادهم عن ديارهم، وبيان بؤسـهم، وصـبرهم على الشـدائد، كما جاء الكثير من شـعرهم للتعبير عن موقف أو حالة خاصـة، لذا كانت سـجلاً لحياتهم الاجتماعية التي عاشوها في بعض فصولها.

السيميائية (المفهوم والاتجاهات):

تعد السـيميائية من أبرز الاتجاهات النقدية الحديثة التي تعالج النص بأدوات نقدية ولسانية سعياً وراء الدلالة وإنتاج المعرفة.

السيمياء لغة:

السـيمياء لفظ مشـتق من الفعل " سـام " مقلوب الفعل " وسـم " والسُـومة، والسِّيمة، والسِيماء، والسيمياء: العلامة وسوم الفرس: جعل عليه السِيمة، وجمعها سِيم "[1]، وقال أبو بكر بن دريد: " قولهم عليه سِـيَما حسـنة، معناه علامة، وهي مأخوذة من وَسَمْتُ أَسِمُ، والأصل في سِيما وسِمْىَ، فحُوِلت الواو من موضع الفاء، فوضعت في موضـع العين، كما قالوا ما أطيبه وأيطبه، فصـار سِـوْمَى، وجُعِلت الواو ياء لسكونها، وانكسار ما قبلها "[2]، فالسوم العلامة، وقال الجوهري: " السومة: العلامة

(1) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، مادة (وسم)، ص2159

(2) الزبيدي، سيد محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، طبعة حكومة الكويت، 1965م، 432/32..

تُجعل على الشاة "، وقال ابن الأعرابي: " السمة العلامة على صوف الغنم، والجمع السيَمُ "[1].

وفي القرآن الكريم عدة آيات كريمة تذكر لفظة السيما، منها قوله تعالى: ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [2]، كذلك قال تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[3]، وتفسيرها من صفرة الوجه، ورثاء الحال.

تؤكد الآيات السابقة أن مفردة " السيمياء " بمعنى العلامة، وأنها كما يقول فيصل الأحمر: " تتطابق مع ما ذكره ابن منظور في معجمه لسان العرب، حيث يقول: " الدلالة التي حملتها هذه اللفظة في القرآن هي نفسها الدلالة التي ذكرها ابن منظور وهي العلامة " [4]، وكما يبدو من قول الشوكاني أن العلامات المادية للخيل كانت ذات ألوان.

أما لفظة السيمياء في الشعر، فقد جاءت في أكثر من موضع، منها قول النابغة الجعدي:[5]

وَلَهُم سِيمَا إذا تُبْصِرُهُم بيَّنَت رِيبةً مَنْ كَانَ سَأَلْ

ومنها قول ابن عنقاء الفزاري:[6]

---

(1) المصدر نفسه، 431/32.

(2) سورة الفتح، آية 29 .

(3) سورة البقرة، آية 273 .

(4) الأحمر، فيصل: معجم السيميائيات، ط1، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010م، ص 30 .

(5) الجعدي، قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة: ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: كرم البستاني، ط1، دار صادر، بيروت، 1963م.

(6) الحلبي، السمين: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، 1986م، ج2، ص 622 .

غُلاَمٌ رماهُ اللهُ بالخيرِ مُقْبِلاً له سِيميَاءٌ لا تشُقُ على البَصَر

ومنها ما ورد في شعر البحتري:[1]

وَعَلَيْهِ منَ النَّدَى سِيمياءٌ وَصَـــــــلَتْ مَدْحَهُ بكُلِّ لِسَانِ

وقول ابن عبد ربه الاندلسي:[2]

على وجههِ سِيما المكارِمِ والعُلا فضاءَتْ به الآمالُ وابتهجَ الشِّعرُ

وقد أورد ابن خلدون في مقدمته فصـلاً في علم أسـرار الحروف، الذي يسـميه السيميا، فيقول في علم أسرار الحروف: " وهو المسمى لهذا العهد السيميا... والأكوان من لدن الإبداع الأول، تنتقل في أطواره، وتعرب عن أسـراره، فحدث لذلك علم أسـرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء "[3].

نخلص مما ســبق إلى أن دلالة الســيميائية في المعاجم ترد بمعنى العلامة، الأمر الذي يجعلنا نصوغ قولهم إنها علم العلامات، وأنها حقل من حقول المعرفة التي تهتم بالمعاني، والرموز، والإشـــارات، لكن هذا التطابق بين معاني الســـيميائية في المعاجم العربية والأجنبية لا يعني اتفاق الاتجاهات في التنظير والتطبيق، فالسـيميائية أصبحت عدداً من السيميائيات.

(1) ديوان البحتري: تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط3، دار المعارف، مصر، ج4، 2009م، ص2199 .

(2) الأندلسـي، ابن عبد ربه: ديوان ابن عبد ربه، قسـم الشـعر والشـعراء، تحقيق: محمد رضـوان الدية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م، ص66 .

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، ط1، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2013م، ص620_ 621 .

السيميائية اصطلاحاً:

ليس الوقوف على مفهوم المصـــطلح بالأمر اليســـير أو الهين، فهذا العلم كان موضـــع خلاف في اللغات والثقافات المختلفة، وذروة الخلافات تجاوز التســـمية أو المصــطلح إلى المفهوم والتطبيق، حيث نجد أن المدرســة الأوروبية تطلق مصــطلح (السـيميولوجيا)، بينما تطلق المدرسـة الأمريكية مصـطلح (السـيميوطيقيا)، وإذا كانت المدرسـة الشـكلانية في الاتحاد السـوفيتي سـابقا ترتضـي مصـطلح السـيميوطيقيا، فإن معظم العرب آثروا مصـطلح (السـيميائية). هذه الاختلافات في التسـميات جعلت من هذا المصـطلح مصـطلحاً شـائكاً، حتى هذه الأيام، وإذا كانت الدراسـات المغربية تميل نحو مصطلح السيميائية، فإن بعض هذه الدراسات يتجه نحو السيميولوجيا، وبعضـها الآخر يطلق مصــطلح الســيميوطيقا. فما مفهوم الســيميائية؟ وما علاقة الســيميائية باللسـانيات؟ وكيف نفهم العلامة في هذا السـياق التنظيري الذي يجمل- أحياناً- القول فيذهب إلى أن السـيميائية هي علم العلامات أو أنظمة العلامات؟ وما معنى قولهم إن السيميائية دراسة نشاط المعنى؟ وما حظ العرب في هذا العلم؟

وعلى الرغم من تعدد المفاهيم للســـيمياء، فإنها لم تخرج جميعها على كونها العلامة، فهي:" ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات ســـواء أكانت لغوية، أم أيقونة، أم حركية، وبالتالي فإنها تبحث في أنظمة العلامات غير اللغوية التي تنشأ في حضن المجتمع "[1].

ومنذ بدايات التفكير بالسيميائية ذهب فرديناند دو سوسير إلى أن: " اللغة نظام من العلامات التي تعبر عن الأفكار، ويمكن تشـــبيه هذه بنظام الكتابة، أو الألفباء المســتخدمة عند فاقدي الســمع والنطق، أو الطقوس الرمزية، أو الصــيغ المهذبة، أو

(1) حمداوي، جميل: بناء المعنى السيميائي في النصوص والخطابات، دار الألوكة للنشر، الرياض 2013م، ص4.

العلامات العسكرية، أو غيرها من الأنظمة، ولكنه أهمها جميعاً، ويمكننا أن نتصور علماً موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع مثل هذا العلم، ويكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم العلامات Semiolog "[1]

أما بيرس الفيلسوف الأمريكي فبدأ في الإجابة عن "هل بإمكاننا أن نفكر بدون دلائل؟" وانتهى إلى جعل السيميوطيقا دراسة لجميع المعارف الإنسانية، لذلك نجد هذا العلم يبحث في أنظمة العلامات سواء كانت لغوية، أو غير لغوية[2].

فالعلامة إذاً كانت قاسماً مشتركاً بين كل الاتجاهات، حيث إنها الأساس الذي قام عليه الاتجاه الأمريكي، وإذا علمنا أن بيرس تحدث عن العلامة في كتابه: "كتابات حول العلامة"، وكان ذلك في وقت سابق على حديث سوسير عليها في كتابه: "دروس في الألسنية العامة"، فمن المؤكد أن بيرس هذا هو رأس هذا الاتجاه، وأن كلاً منهما يختلف عن الآخر في مفهوم العلامة، فهي عند بيرس تتسع للسانيات وغير اللسانيات، وهي من حيث طبيعتها ووظيفتها أشكال ثلاثة: الأيقونة والمؤشر، والرمز[3].

أما عند دي سوسير فهي ضيقة، حيث لا تكون إلا لغوية اعتباطية، حيث إن العلاقة بين الدال ومدلوله تباينية، تفصح عن علاقة ثنائية، إذ إنها لا تجمع بين الشيء ومسماه، ولكنها تجمع بين المفهوم الذهني والصورة السمعية، أما العلاقة بين الدال والمدلول عند بيرس فهي تتكون من ثلاثة عناصر: التمثيل(الماثول)، والموضوع، والمؤول(بالكسر)، حيث يحيل الماثول على الموضوع، والإحالة على الموضوع لا تتحقق إلا عبر المؤول الذي يوفر صحة التمثيل، فالمؤول عماد العلامة وبؤرتها، إذ

---

(1) كامل، عصام خلف: الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، مصر، 2003م، ص17.

(2) ينظر: حمداوي، جميل: بناء المعنى السيميائي في النصوص والخطابات، ص4.

(3) مرتجى، أنور: سيميائية النص الأدبي، ط1، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1987م، ص6.

يشكل التوسط الإلزامي بين الماثول والموضوع[1]. ثم لا تلبث هذه العناصر الثلاث (الماثول – الموضوع – المؤول)، أن تتشعَّب وفق حركة دراماتيكيّة بحيث يشمل الماثول ثلاث علاقات(طبيعيّة – عقّليّة – عرفيّة). أما باعتبار المؤول، فهي إما تصور، أو تصديق، أو حجَّة. أما باعتبار العلاقة بين الموضوع والمؤول فتشكل أنواعاً ثلاثة: الأيقونة– المؤشر– الرمز[2]. إذ الأيقونة: هي الدليل الذي يحيل إلى الموضوع الذي يعبر عنه بوساطة صفاته الخاصة، والمؤشر علامةً تربطها علاقة السببيّة، أما الرمز فإنه يتميَّز بعُرفية العلاقة بين العلامة وموضوعها.

أما(رولان بارت Roland Bart / 1915 _ 1980)، فاهتم بالدلالة إلى درجة قصوى، فذهب إلى أن السيميائية "بإمكانها أن تسدي خدماتها لبعض العلوم، وتصاحبها في طريقها، وتقترح عليها نموذجاً إجرائياً "[3]، لكن ذلك لا يمكن أن يتم بغير اللغة " إذ إن كل نظام دلائلي يمتزج باللغة "[4]. فاللغة هي التي تحقق للوجود الإنساني عالم المدلولات، وإنتاج المعنى، ولهذا ذهب إلى أن السيميولوجيا هي التي تشكل فرعاً من اللسانيات، وليس كما ذهب دي سوسير الذي كان يدعو إلى إدماج اللسانيات في قلب السيميولوجيا[5].

---

(1) ينظر: بنكراد، سعيد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط3، دار الحوار، اللاذقية، سورية، 2012م، ص16–17 .

(2) الحسيني، عمار الزويني: رضا، أماني: " قراءة نقدية في ثلاثية العلامة عند بيرس ومثلثه السيميائي، مجلة الجرجاني، إيران، ع1، السنة الأولى، 2018م، ص61–77 .

(3) بارت، رولان: درس السيمولوجيا، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، ط2، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، د.ت، ص25 .

(4) بارت، رولان: مبادئ علم الأدلة، ترجمة: محمد البكري، ط1، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، 1987، ص28 .

(5) ينظر: إيكو، امبيرتو: التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2002م، ص52 .

أما عناصـــر ســـيمياء الدلالة لدى بارت فقد حصـــرها في " الثنائيات البنيوية التالية: ثنائية الدال والمدلول، وثنائية التعيين والتضـــمين، وثنائية اللســـان والكلام، وثنائية المحور الاستدلالي والمحور التركيبي.

وقد حاول بارت بوســـاطة هذه الثنائيات اللســـانية أن يقارب الظواهر السيميولوجية، كأنظمة الموضة، والأساطير... "[1]

وفي إطار تطور السيميائية واتساع مجالاتها نجد(رومان جاكوبسون Roman Jakobson، 1896 – 1982) يقول:" يجب أن تأخذ دراسة الإشارات بعين الاعتبار البنى السيميائية التطبيقية، كأسلوب البناء، واللباس، والطهي... كل لباس يلبي بالتأكيد متطلبات نفعية، وتظهر فيه في الوقت عينه خصائص سيميائية متنوعة "[2].

أما الشَّـكلانيَّة الروسـية فقد اهتمت في أثناء التطبيق النظري بالأجناس الأدبية غير المشـهورة مثل: المذكرات، والمراسـلات بقصـد معرفة مدى مسـاهمتها في إثراء الأعمال العظيمة كما فعل ميخائيل باختين مع الأجناس الشـــعبية الدنيا في كتابه (شـعرية دوسـتويفسـكي)[3]. وقد عمل أصـحاب هذا الاتجاه على تخليص الأدب من الأيديولوجيا، وســيادتها، وركزوا على النقد الاجتماعي الذي تناول الأعمال بوصـــفها صـوراً تعكس الواقع، وتصـوره تصـويراً صـادقاً، واهتموا بكيفية القول؛ أي على الأشكال والبنيات الحديثة، فتأسـست مدرسـة (تارتو) الروسـية التي اهتمت بأنظمة العلامات، والقيام بأبحاث تطبيقية، والتوفيق بين آراء "بيرس" و"دي ســـوســـير" حول العلامة، والاهتمام بالسيميوطيقا المعرفية والثقافية.

---

(1) حمداوي، جميل: الاتجاهات الســيميوطيقية "التيارات والمدارس الســيميوطيقية في الثقافة الغربية"، ط1، مؤسسة المثقف العربي، 2015م، ص29 .

(2) تشـاندلر، دانيال: أسـس السـيميائية، ترجمة: طلال وهبة، ط1، المنظمة العربية للترجمة، 2000م، ص 33 .

(3) حمداوي، جميل: الاتجاهات السيميوطيقية، ص38 .

أما مدرسة باريس بزعامة غريماس (Greimas) حيث كانت فترة الستينيات نقطة تحول في مسار السيميائيات من دراسة الجملة إلى دراسة الخطاب والأشكال السردية، حيث أفاد غريماس من بعض النظريات الفكرية كالفلسفة الذرائعية، والظاهراتية في بناء المربع السيميائي بما فيه من تناقض، وتضاد، وشبه تضاد، وعلاقة العموم بالخصوص إثباتاً ونفياً[1]. كما أنه أفاد من تصور " تشومسكي " في مفهوم الكفاءة والأداء، ومن تصور " رومان جاكبسون " حول نظرية التواصل، فأخذ مسألة التنافس بين المرسل والمرسل إليه، واعتبر أن المرسل إليه لا يُبَلِّغ رسائل، بل يقوم بدور تحريك الذات نحو تحقيق الموضوع.

يتبين مما سبق أن: سيميائية الدلالة لاتقف عند حد ما، حيث إنها تعالج أنظمة الموضة، والأساطير، وفن الرسم، والصور، والنصوص الأدبية، والعمارة ، وأن الثنائية اللسانية كانت مرتكزاً محورياً في التحليل السيميائي.

والحق أن رصد تاريخ السيميائيات ليس بالأمر الهين، ذلك بأنها تضرب بجذورها في أغوار الماضي السحيق، وبناء على ذلك فإنها لم تنشأ مع بيرس، ولا مع دي سوسير، بل تعود إلى بدايات الوعي الإنساني والفكر اليوناني القديم مع كل من أفلاطون، وأرسطو، والرواقيين، إلا أن هذه البدايات كانت عبارة عن أفكار متناثرة هنا وهناك، وتفتقر إلى إطار نظري تنتظم داخله، ومنذ تلك الفترة لم يخلُ الفكر الإنساني المنطقي والبلاغي من عطاءات واجتهادات في المجال السيميائي.

ويعد المنهج السيميائي منظومة نقدية يسترشد بها القارئ في التعامل مع النصوص الأدبية في أثناء البحث عن البنى الكامنة في أعماق هذه النصوص، والكشف عن تجلياتها، على أن النص الشعري فيه مخزون من البنى المفتوحة أمام القارئ، والتي تحتاج إلى ممارسة نقدية واعية في تفكيك شفرات النص، وعلاماته

(1) ينظر: يوسف، أحمد: الدلالات المفتوحة – مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، 2005م، ص21

الغامضة، حيث إن " الكلمات الظاهرة ليست إلا قناعاً يُخفي سراً باطنياً لا ينكشف إلا لمن امتلك القدرة على حل شفرته "[1]، حيث تعتمد على أبعاد منهجية ثلاثة هي: البعد التركيبي، والبعد الدلالي، والبعد التداولي"[2]

وهنا تتضح فعالية هذا المنهج في تحليل النص الأدبي، ودوره في الكشف عن المعنى، حيث يعد النص حاملاً لأسرار كثيرة، يستفز من خلالها المتلقي، ويدعوه للبحث عنها، وفك رموزها، والكشف عن أسرارها الخبيئة، وهنا تظهر قدرة المنهج السيميائي على إنارة قضايا ثقافية، ونقدية، وفكرية أسهمت في إثارة مخيلة المتلقي لتُحدث أثراً جمالياً من خلال تنويع الرؤى المنهجية، والبحث عن الرؤى الكامنة في النصوص الأدبية، وبالتالي مكنت هذه الثقافة المعرفية في حقل السيميائيات النقاد العرب من إقامة جسر تواصل بين الخطاب النقدي العربي والخطاب النقدي الغربي، دلالة على عمق الوعي العربي بالعلامة وطرق إنتاجها، ودلالاتها، وهذا ما سنلحظه من خلال توظيف هذا المنهج في بيان دلالات الألوان ورمزيتها في شعر الصعاليك.

جمالية اللون والتأثير النفسي:

تأتي أهمية اللون من قدرته على التأثير في الأمزجة والأحاسيس، ومن دوره في التمييز بين الأشياء وتشكيل الخبرات، خاصة أن إدراك الألوان يختلف من فرد إلى فرد، ومن جماعة إلى أخرى بحسب درجات الوعي والمعرفة، فهو من أدق المعارف التي ترتبط بالحقول الحسية المتصلة التي تشكل الخبرة الجمالية لارتباطها بحاسة البصر والهيئة، وتداخل العلاقات فيما بينها، لكنها لا تخرج في معظم الأحوال عن الترادف، والتضاد، والتنافر، وتقسم إلى أساسي وهامشي تبعاً لمجال استخدامه وأصالة

(1) إيكو، امبيرتو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الأصميعي، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت– لبنان 2005م. ص24

(2) حمداوي، جميل: الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيموطيقية في الثقافة الغربية)، ص18 .

تكوينه، فما كان قائماً بذاته فهو أساسي، وما تشكل بالمزج والتركيب من عناصر مختلفة بنسب متفاوتة يكون هامشياً. يقول ابن سيده: " للألوان الثلاثة: الأحمر، والأسود، والأبيض أسماء مستعملة قريبة، وأخر بالإضافة إليها وحشية وغريبة، لا تدور في اللغة مدارها، ولا تستمر استمرارها "[1].

فالألوان تختلف، وتتفاوت فيما بينها، لذا يقتضي من أجل فهم الألوان دراسة العلاقات فيما بينها؛ للكشف عن صلات الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام، مع مراعاة السياق والتركيب النحوي.

وإذا كان اللون في اللغة بمعنى الهيئة والنوع،[2] فإنه في الاصطلاح " طاقة مشعة لها طول موجي، يختلف في تردده وتذبذبه من لون إلى آخر، وتقوم المستقبلات الضوئية في الشبكية باستقبالها، وترجمتها إلى ألوان، وتحتوي الشبكية على ثلاثة ألوان هي: الأخضر، والأحمر، والأزرق، وبقية الألوان تتكون من مزج هذه الثلاثة، وقد اكتشف العلماء أنه عندما تدخل طاقة الضوء إلى الجسم فإنها تنبه الغدة النخامية، والجسم الصنوبري، مما يؤدي إلى إفراز هرمونات معينة تحدث مجموعة من العمليات الفسيولوجية، وبالتالي السيطرة المباشرة على تفكيرنا، ومزاجنا، وسلوكياتنا"[3]. فاللون له تأثير فسيولوجي يؤثر على الجهاز العصبي وطرائق الفكر والإحساس.

وعُرِّف كذلك بأنه " عبارة عن موجات ضوئية اهتزازية تدركها العين، وهذه الموجات قد تقصر أو تطول، وبناء على هذا فإن اللون هو أكثر من مجرد زخرفة أو زينة للعين، إنه النور، وقد تجزأ إلى موجات متباينة الطول والاهتزاز. والألوان هي

---

(1) ابن سيده، أبو الحسن علي: المخصص، تحقيق: عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص16.

(2) ابن منظور، أبو الفضل جمال: لسان العرب، مادة (لون) .

(3) الشعيلي، سليمان بن علي: الألوان و دلالاتها في القرآن الكريم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، الإمارات، 2007م، ص62.

موجة أشـــعة الضـــوء، وكلما طالت الموجة اقترب اللون من الأحمر، وكلما قصـــرت الموجة، اقترب اللون من الأزرق إلى البنفســجي، وصــولاً إلى ما فوق البنفســجي من جهة، وإلى ما تحت الأحمر من الجهة الأخرى" [1].

الأثر النفسي للون:

يتباين الأفراد في الانجذاب إلى لون دون آخر، وتفضيل لون على لون: " فيميل الإنسان إلى لون بذاته، وتفضيله على غيره، فيرتبط بمجموعة من الخصائص الفردية مثل: اختلاف الأذواق والطبائع، وســـرعة التأثير وبطئه، ودرجة هيجان المشـــاعر، والإحساس الفني، ونوعية اللون المعبر عنه، وقدرته على الجذب والتأثير "[2].

ونلحظ أن " للألوان أثراً كبيراً في حياة الإنســـان من حيث جذب الانتباه وإثارة الشـعور، وتعد عاملاً اتصـالياً يقوم على أسـاس فعالية الرموز، فلكل لون دلالة رمزية تعبر عن فكرة تؤثر في نفســـية المتلقي، فمن حيث جذبها للانتباه يتوقف الأمر على حاســـية البصـــر، ومدى التنافر بينه وبين غيره من الألوان القريبة له"[3]، " فالألوان الدافئة أكثر قدرة على جذب الانتباه من الألوان الباردة، وتزداد قدرة جذب المجموعة الدافئة مثلاً عند اقتران اللون الأحمر مع اللون الأصـــفر، أو الأصـــفر مع القيمة الضوئية للأسود، أو القيمة الضوئية للأبيض"[4].

---

(1) عبيد، كلود: الألوان (دورها، تصـــنيفها، مصـــادرها، رمزيتها، دلالتها)، مراجعة وتقديم: محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2013م، ص12-13.

(2) المرجع نفسه، ص12،13 .

(3) الجبوري، خليف: جمالية اللون في تصـــميم الإعلان التجاري، بحث في مجلة الأكاديمي، جامعة بغداد، ع64، العراق، 2012م، ص 176

(4) الجبورى، ستار حمادى: العلاقات اللونية وتأثيرها على حركة السطوع المطبوعة في الفضاء التصميمي للمطبوع العراقي، أطروحة دكتوراة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، 1997م، ص22.

كما نلحظ أن الدنيا حولنا تعج بألوان شتى ومختلفة؛ حيث إن عالم اللون هو عالم يرتبط فيه الطبيعي بالاصطناعي، وهو شديد الاتصال بحياة الإنسان، فمنذ أن خُلِق وجد معه اللون. ولقد " لمس الإنسان منذ القدم هذه العناصر الداخلية الممزوجة بتكوينه، انطلاقاً مما أودعه الله فيه من تكوين فيسيولوجي ونفسي يتيح له إدراك الألوان والتمييز بينها "[1]، فاكتشف الإنسان اللون من التأمل الدائم لما حوله، فكل شيء يوحي بدلالة ومعنى.

ويرتبط اللون بماضٍ، وحاضر، ومستقبل الإنسان، لذلك لا مفر من مواجهته، " فتباين الدور النفسي للألوان عامة يترجم تداعيات مغمورة، ومربوطة باطنياً بمخزون تاريخي، كظروف النشأة، والتربية، والأحداث، والذكريات السارة والمحزنة، والمستوى الثقافي والاجتماعي للفرد والمجتمع، وما إلى ذلك مما يتعلق ويعلق بأغوار النفس الإنسانية "[2].

لذلك تعد خبايا النفس البشرية حقلاً متشابكاً ومعقداً لدى الباحثين النفسانيين، فقد استعانوا بالألوان في العلاج النفسي، وتحليل شخصية الإنسان لتعديل سلوكه، وثبت تأثير الألوان في شؤون الحياة المختلفة، فالألوان الزرقاء، والخضراء الخفيفة تستعمل في المستشفيات، أي أن زرقة السماء، والبحار، وخضرة النبات تريح الجهاز العصبي وتخففه من التوتر والقلق"[3].

ولقد شكَّل اللون دوراً مهماً في معتقدات الناس على مر العصور المختلفة، حيث استُخدِم شعاراً، ورمزاً لشيء معين، فربط الإنسان الأول بالعالم المرئي من حوله،

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ط2، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997م، ص19.

(2) أبو زيد، سامي يوسف، عبد الرؤوف زهدي مصطفي: دلالة الألوان في آيات القرآن، بحث في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة خيضر بسكر، الجزائر، ع13، 1998م ص202.

(3) ابن حويلي، الأخضر ميدني: الفيض الفنى في سيميائية الألوان عند نزار قباني، دراسة سيميائية لغوية في قصائد من الأعمال الكاملة، مجلة جامعة دمشق، المجلد:21، ع3-4، 2005م، ص112 .

كما رمز به إلى قوى خفية يشعر بها ولا يراها، أو يعرف كنهها، كذلك " غزت الألوان عادات الشعوب وتقاليدها حتى صار جزءاً من تراثها، فقد استخدمها الإنسان القديم والحديث في طقوسه الدينية "[1]. ويتحد اللون من خلال معايير أو قيم نستطيع من خلالها تمييز الألوان وهي: [2]

1- صفة اللون: وهي الصفة التي نميز ونفرق بها بين لون وآخر مثل: (الأحمر، والأخضر، والبرتقالي، والأزرق) فعند مزج لونين معاً كالأحمر والأصفر ينتج البرتقالي، وهذا تغيير في صفة اللون.

2- القيمة: تعرف بأنها العلاقة بين اللون المضيء واللون المعتم، بمعنى أخضر فاتح، أو أخضر غامق، وتتخذ بدورها قيماً مختلفة باتجاه الإضاءة أو العتمة.

3- الإشباع: ويمثل الدرجة التي يتصف بها اللون من ناحية عدد الذرات اللونية في المساحة(نقاء اللون)، والتي تحدد بقدر اختلاطه بالأبيض والأسود.

ويعد اللون بنية أساسية مهمة في تشكيل القصيدة الشعرية، وركيزة مهمة تقوم عليها الصورة الشعرية بكل جوانبها من الشكل إلى المضمون، فاللون يحمل قدراً كبيراً من العناصر الجمالية، وإضاءات دالة تعطي أبعاداً فنية في العمل الأدبي على وجه الخصوص، بل إن المفردة اللونية تكاد تخلق لغة خاصة في النص الشعري؛ لما لها من مدلولات وأسرار.

كما أن الألوان " من أغنى الرموز اللغوية التي توسع مدى الرؤيا في الصورة الشعرية، وتساعد على تشكيل أطرها المختلفة، لما تحمل من طاقات إيجابية وقوى

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص161 .

(2) الدملخي، إبراهيم: الألوان نظرياً وعلمياً، ط1، مطبعة الكندي، حلب، سوريا، 1983م، ص15 .

دلالية، وبما تحدثه من إشارات حسية، وانفعالات نفسية في المتلقي "[1]، خاصة وأن النفس تبتهج بما كان من الأجسام له اللون الأحمر، والأخضر، والأصفر، إما بسيطاً أو مركباً بعضها من بعض، فالنظر إلى هذه الألوان يُحدِث راحة في النفس، وسرور العقل، ونشاط الذهن، وانبساط الروح مع توفر القوى.

الألوان وأنواعها (أساسية، فرعية):

تقسم الألوان إلى أقسام كثيرة، منها ما يعتمد على بيان الأصول والفروع، ومنها ما يتعلق بالجانب النفسي، أما الألوان الأساسية الأولية فهي: الأحمر، والأزرق، والأصفر، ومن مزج هذه الألوان نحصل على الألوان الثانوية[2]، وهي:(الأبيض، والأسود، والأخضر، والأسمر، والأشقر، والرمادي).

أما فيما يتعلق بالجانب النفسي، فإن علماء النفس قسموا الدائرة اللونية إلى نوعين: ألوان حارة، وألوان باردة، فأما الألوان الحارة أو الدافئة أو الساخنة، فهي: (الأحمر، والأصفر، والبرتقالي)؛ لأنها تميل إلى الضوء، وألوان النار مصدر الحرارة، ويكون ترتيب الألوان الحارة في الدائرة اللونية كما يلي: البنفسجي المحمر، الأحمر، البرتقالي المحمر، البرتقالي المصفر، الأصفر، الأصفر المخضر) وهذه الألوان الحارة زاهية وصارخة، وتعبر عن النور، والسعادة، والفرح " [3]. وأما الألوان الباردة فهي:(الأزرق، والأخضر، وما قاربها)، وهذه تميل إلى القتامة، وهي داكنة إجمالاً، وسميت بالباردة نظراً لارتباطها بالفضاء القاتم، وعمق مياه البحر.

---

(1) الزواهرة، ظاهر محمد هزاع: اللون و دلالته في الشعر " الشعر الأردني أنموذجاً"،ط1، دار الحامد، عمان، 2008م، ص13-18.

(2) عبيد، كلود: الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها)، ص 20 .

(3) المصدر نفسه، ص21 .

الفصل الأول

سيميائية الألوان الأساسية في شعر الصعاليك

المبحث الأول: سيميائية الألوان الأساسية عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

المبحث الثاني: سيميائية الألوان الأساسية عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي

المبحث الأول

سيميائية الألوان الأساسية عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

تختلف الألوان في الدلالة والتأثير، حيث يقول أحمد مختار عمر في كتابه اللغة واللون:" إن الإنسان قد تنبه– منذ نشأته – إلى الألوان الموجودة في بيئته، وعقد معها علاقات سيئة أو حسنة، ووَضَع لها ألفاظاً تدل عليها، وتميزها عن غيرها، فاكتسبت الألوان وألفاظها عبر مختلف العصور دلالات اجتماعية ونفسية جديدة، أو ما يملكه اللون ذاته من قدرات تأثيرية، وما يحمله من إيحاءات معينة تؤثر على انفعالات الإنسان وعواطفه "[1]، فدلالة اللون سلطة قوية يحتمي الشاعر بظلها، حيث يمثل " اللون بعداً فكرياً مهماً في النص الشعري، وأحد الدوال اللغوية المنتجة للمعنى، فيشكل بدلالته الخصبة جزءاً من البنية اللغوية والرؤيا الفكرية التي يحملها النص، مما يجعله يخضع لتعدد الدلالة، وتجاوز المألوف وفقاً لتجربة الشاعر ورغباته النفسية " [2]؛ لارتباط المعاني ارتباطاً واضحاً بتوظيف الألوان، إذ يغلب أن يعمد الشاعر " إلى الدلالة العميقة للون أكثر من سرد دلالته السطحية ". [3]

وقد اختلف النقاد بتحديد الألوان الأساسية فقال ابن سيده:" الألوان ثلاثة: أحمر، وأسود، وأبيض، أسماء مستعملة قريبة "[4]، ثم ذكر صاحب الملمع أنها خمسة، فأضاف إلى ابن سيده الأصفر والأخضر، ووَصَفها بأنها النواصع الخلص[5].

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص199.

(2) الضمور، عماد: ظاهرة الرثاء في القصيدة الأردنية، ط1، دار الكتاب الثقافي، 2005م، ص 280– 282 .

(3) الزواهرة، ظاهر محمد هزاع: اللون ودلالاته في الشعر (الشعر الأردني أنموذجاً)، ص37.

ابن سيده: المخصص، ج2، ص 105 . (4)

(5) ينظر: النمري، الحسن بن علي (ت385هـ): الملمع، تحقيق: وجبه أحمد السطل، مجمع اللغة العربية، دمشق، (د.ط) 1976م، ج1، ص8 .

ولقد قسمت كلود عبيد الألوان إلى أساسية وثانوية، فالألوان الأساسية هي " أصل الألوان الصافية، ولا يمكن استخراجها من أصباغ أخرى وهي: الأحمر، والأزرق، والأصفر، ومن مزج هذه الألوان الأساسية نحصل على الألوان المختلطة أو الثانوية ".[1]

وفي هذا المجال نتناول عدداً من الألوان للوقوف على فاعلية السياق في التشكيل الدلالي، وذلك بالوقوف على الألوان التالية:

1- اللون الأحمر:

يعد اللون الأحمر من أغنى الألوان دلالة، وأكثر تضارباً، فهو لون البهجة والحزن، ولون الثقة بالنفس، والتردد، والشك، وهو لون العنف ولون المرح[2]، والسبب في ذلك عائد إلى ارتباط الأحمر بأمور مختلفة، فهو لون الدم، ولون النار، ولون الذهب، والطيب، والأحجار الكريمة، ولون الزهور، وهو اللون الذي يعلو وجنتي الإنسان عند الخوف أو الخجل، وهو اللون الذي يصبغ به بياض العين عند الغضب أو الحزن، وهو لون السماء عندما تودع الشمس المغيب، ولونها عند الجدب والمحل.

ولقد استخدم الشعراء الصعاليك في أشعارهم كل هذه الدلالات سواء باللفظ المباشر أو غير المباشر، ومن هذه الاستخدامات:-

آلات الحرب:

لقد استخدم الشعراء الصعاليك اللون الأحمر باللفظ المباشر في وصف آلات الحرب، دلالة على قوتها، وكثرة استعمالها في الحروب.

---

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص 20 .

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص211- 214 .

فهذا الشنفرى * يصف سهمه وقوته، وأنه لا يخيب في هدفه، فقال:[1]

وَباضِعَةٍ حُمرِ القِسِيَّ بَعَثْتُـــــــها وَمَـــــن يَغزُ يَغنَم مَرَّةً وَيُشَمَّتِ

خَرَجنَا منَ الوادِي الذي بين مِشعَلٍ وبينَ الجَبَا هَيهَات أنشَأتُ سُربتِي

لقد نسج الشاعر هذه الأبيات في واقعة ثأره لأبيه، فجعل الشاعر السهام حمراء؛ لاتخاذها من شجر النبع، وهو شجر ينمو في أعلى الجبل، حيث يواجه الشاعر مشقة كبيرة في الحصـــول عليها؛ حرصـــاً منه على القتال بأفضـــل آلات للحرب، فعملت الشـمس على تغير لونها دلالة على قدمها، وكثرة اسـتعمالها في الحروب، وقد اعتبر الشاعر السهم ابنه الذي أخرجه من بين ضلوعه ليبعث به لقتل خصمه، فهو الذي لا يشـمت، ولا يخيب هدفه، وهذا ما يتوافق مع طبيعة العصـر الجاهلي في قوة فرسـانه، وإصـــرارهم على الغزو، فمن ظلال هذين البيتين يبدو الشـــنفرى في مكانة الزعيم بين رفاقه؛ لأنه أخذ لنفسه مكانة الفاعل نحوياً (بعثتها، أنشأت) وهذه الزعامة تتطلب دربة ومراناً، فجاء اللون الأحمر ليمثل الســـيادة، ويؤكد الزعامة، وفي هذه الواقعة يصـــف الشـنفرى نفســه كيف أخذ بثأر والده، منتهكاً التقاليد المقدسـة عند العرب، وهي حرمة الحج، إلا أن الشـــنفرى قد انتهك القيم الاجتماعية بفعلته، وبهذا اســـتحوذ على نفس المتلقي وانتباهه لهذا الانتهاك، فمع قوته وزعامته قد دخل الشـــنفرى في صـــراع بين شـقين في ذاته، شـق الصـعلوك(المشـرد) والشـق القبلي (الآخذ بالثأر) فالأول ينفر من

---

* **الشـــنفرى:** هو عامر بن مالك الأزدي، أو هو ثابت بن أواس، قتل ســـنة 70 ق.م، وهو من صـــعاليك العصـــر الجاهلي، وأمه أمة حبشـية، حيث اشـترك معها في سـواد لونه، فكان من أغربة العرب. ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج21، ص201.

(1) الأزدي، عمروبن مالك: ديوان الشنفرى، جمع وتحقيق وشرح: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، 1437هـ، ص34 . (باضعة: هي قطعة من الخيل / والباضعة هي الشجة التي تشق الجلد ولا تسـيل الدم، حمر القســي: السـهام، يشـمت: يفرح بمصـيبة غيره، يخيب الهدف شـمت العاطس دعا له بالخير. ينظر: قاموس المعاني، مادة شَمَتَ).

سلم قيم القبيلة، ولا يأبه بلومها، والثاني يمثل الرجل والزعامة رمز القبيلة وواضع قيمها ومنظِّرها وحاميها[1]، فجاء اللون الأحمر هنا رمزاً للسيادة، والزعامة، والقوة، والشجاعة، والإصرار على نيل الانتصار، والأخذ بالثأر.

وقال الشنفرى أيضاً:[2]

وَحَمْرَاءُ مِنْ نَبْعٍ أبيّ ظهيرة تُرِنُّ كإرنانِ الشَّجِيَّ وَتَهْيِف

يصف الشاعر هنا قوسه حمراء اللون، للدلالة على قدمها وكثرة استعمالها، حيث إن القوس الحمراء ترن، ويشوب صوتها رنين حزين زاد من تصوير قوة القوس، إذ يعلو صياحها عند انطلاقها نحو الخصم، بل إن رنينها يبقى متصلا لا يعرف الصمت، فامتزجت جمالية القوس العتيقة بذبذبات الحنين للسهام، الأمر الذي جعل الصورة حركية مرئية وصوتية مؤثرة تعبر عن غضب الشاعر وقوته.

الحيوان:

فضل العرب في العصر الجاهلي الحيوان الذي يضرب لونه إلى الحمرة، حيث قالوا في أمثالهم السائرة:" إذا قيل إن الفرس الأحمر وقع من أعلى الجبل وسَلِم، صدق".[3] وَوُصِفَت الخيل الحمراء بأنها:" من أشد الخيل جلوداً وحوافراً "[4]، فقال

(1) ينظر: عادل، محلو: سيمياء الصراع في تائية الشنفرى، مرجع سبق ذكره، ص4 .

(2) ديوان الشنفرى، ص504،(الشجي: الحزين / الذي شغله الهم قاموس المعاني مادة شجى)

(3) أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داوود، الخيل / فيما يستحب من ألوان الخيل، ط1، دار الرسالة العالمية، 197/4 تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، حديث رقم 2181.

(4) الألوسي، محمود شكري: رسالة في الألوان، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق،ج3، آذار 1992م، ص79 .

النميري في اللمع:" وكميت الخيل: صـــلابها "[1]، ويقول عروة بن الورد * في وصـــفه لخيله الرائع لجماله الذي يُعجب الناس بجسده ولونه الكميت:[2]

أُرَجِّلُ جُمَتِي وَأَجُرُّ ذَيلِي وَيَحْمِلُ شِكَتِي أُقُقُ كُميتُ

يتفاخر عروة بفرســـه الكُمَيت جميل اللون، القوي في مواطن القتال، والمعارك، والســـفر في الدروب الوعرة، فيتحمل هذا النوع من الخيل كثرة الكر والفر، فالشـــاعر يهجر راحته، ويختار القتال والسفر الشاق في الصحراء، والذي يزيده إصراراً على ذلك هو فرسه الكميت القوي، فاللون الأحمر " يثير النظام الفيزيقي نحو الهجوم والغزو"[3]، فجاء فرس الشاعر باللون الأحمر الضارب إلى السواد رمزاً للقوة والشجاعة في جميع حالاته سواء حرباً، أو سلماً.

أما الشـــنفرى، فاختار الأروية الصـــحماء، وهي أنثى التيس البري الحمراء الضـــارب لونها إلى الســـواد لقوتها وبطشـــها، فهو لا يخافها رغم شـــراســـتها، فشـــبهها بالإناث العذارى ذوات الذيل الطويل الدال على العفة والشرف، فيقول: [4]

---

(1) النميري، أبي عبد الله الحسين بن علي: كتاب اللمع، ص 93 .

* **عروة بن الورد:** هو عروة بن الورد بن زيد، و قيل ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشـــب بن هرم بن لديم بن عود بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن يعلان بن معد بن نزار، وهو من شـــعراء الجاهلية، وفارس من فرســـانها، ويعتبر من فئة الخلعاء، وكانت أمه من بني نهد، وهم ليســـوا من أشراف القبائل، فنقص ذلك من منزلته . ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج3، ص919.

(2) السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق: شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، صححه: الشيخ بن أبي شـــنب، خزانة الكتب العربية، الجزائر، 1926م، ص 195-196،(الجمة في لســـان العرب الراحة / الجمة: الكثير، ينظر: أنيس، إبراهيم وآخرون: المعجم الوســـيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة،(د.ت)، مادة جمم، الكميت الخيل الذي خالط حمرته سواداً خالصاً)
عمر، أحمد المختار: اللغة واللون، ص 184 . (3)

(4) ديوان الشـــنفرى، ص72–73 (ترود: تذهب وتجيء / في القاموس المحيط، أراد الشَّـــيءَ راده؛ تمنَّاه، طلَبه وأحبَّه ورغِب فيه أما في المعجم الوســـيط، فجاء في مادة (راود) المرأة عن نفســـها: طلب منها أن تستسلم له فيفجر بها، الأراوي: جمع أروية، وهي أنثى التيس البري، الصحم جمع صحماء للمؤنث، وهي

تَرودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كأنها عَذَارَى عَليهِنَّ الْمُلاءُ الْمُذَيَّلُ

على الرغم من شـراسـة هذه الأراوي الحمراء، فإنها أصـبحت صـاحبات له، وكأن الشـاعر أصـبح جزءاً من بيئة الوحوش، فجاء اللون الأحمر هنا رمزاً للقوة، والسيادة، والشجاعة، فمن يعاشر الحُمر من السِّباع يكون قوياً وشجاعاً، ومن يعشق السـيادة يسـتهويه الأحمر من النوق والثياب، فإذا كانت كما يقول البرقوقي "متحليات بالذهب الأحمر، وممتطيات النياق الحُمر ومشـتملات في الثياب الحمراء، يعني أنهن من نساء الملوك؛ لأن الحمرة لون ملابس الأشراف عندهم" [1]، فالشاعر جاء بالوحوش ذات اللون الأحمر؛ لتأكيد امتداد السـيادة فيما لم تعرف العرب امتلاكه، واختيار وقت الآصال؛ لتأكيد تَشَرُّب كل الأشياء من حوله بالحمرة.

وفي قول تأبط شراً *: [2]

ويا رَكْبَةَ الحَمْراءِ شَرَّة رَكْبةٍ وكادَتْ تكونُ شَرّ ركبةِ راكِبِ

هنا يؤكد أن حمرة الناقة تعني السـرعة والقوة، وأن " النياق الحُمر أكرم النياق لدى العرب" [3]، لذلك حين وصف ناقته التي وقع عن ظهرها لسرعتها لم يكن وصفاً بالشـر المطلق، وإنما وصـفا مقيداً بقيود كثيرة لئلا يخالف ما ألفته العرب، فقال:

الحمراء الضـارب لونها إلى السـواد، الملاء المذيل: هو الرداء الطويل، جاء في لسـان العرب في مادة (ذَالَ) ذَالت الفرَسُ، وذالتِ المرأةُ: هُزِلتا من الاستهانة بهما.وذَالت حالُهُ: تواضَعت.

(1) البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1986م، ص 114 .

* **تأبط شـراً:** هو ثابت بن جابر بن سـفيان بن عميثل بن عدي بن كعب بن حزن من بني فهم القيسـيين المضـرين، وهو صـعلوك جاهلي من أغربة العرب، ولقب بتأبط شراً، مات أبوه وهو صـغير، ولم ترد عنه أخبار مشـهورة، فتزوجت أمه بأبي كبير الهذلي، وكان من كبار الفتاك، فأخذه على شـاكلته . ينظر: ضيف، شوقي: العصر الجاهلي، دار المعارف، ط8، مصر، د.ت، ص377 .

(2) بن عميثل، ثابت بن جابر بن سـفيان: ديوان تأبط شـراً وأخباره، تحقيق: على ذو الفقار شـاكر، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، 1984م، ص63.

البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، ص 114 . (3)

"وكادَتْ تكون شَـــرّ ركبةِ راكِبِ" فاســـتخدم كاد مع ركبة واحدة من راكب معين هو شخص الشاعر.

ويوظف عمرو بن براقة الهمْذاني* اللون الأحمر في الفخر بالذات، وهجاء الآخر حين يقول:[1]

تَعَرَّضَ لِي عَمرٌو وَعَمرٌو خزايَةٌ تَعَرُّضَ ضَبعِ القَفْرِ لِلأَسَدِ الوَرْدِ

فهو الأسد الورد الشرس الضاري ذو اللون الأحمر القاتم، وخصمه (عمرو بن معد يكرب الزبيدي) ضـــبع ضـــعيف، لا قوة له عند المواجهة، بل إن اللون الأحمر أشبع هذا التناقض بين القوة والضعف، ومدح الذات وهجاء الآخر.

الإنسان:

ويبدو اللون الأحمر بطريقة غير مباشـــرة في شـــعر الصـــعاليك حين يتجلى إحساسهم المرهف بالمرأة التي تصون عفتها، قال الشنفرى:[2]

لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي لا سَقُوطاً قِنَاعُها إِذا ما مَشَتْ وَلا بِذَاتِ تَلَفُّتِ

---

* **عمرو بن براقة:** هو(عمرو بن الحارث بن منبه بن شـــهر بن نهم بن ربيعة بن مالك بن معاوية بن همدان) واشتهر بابن براقة نسبة لأمه، وهو شاعر مخضرم جاهلي أدرك الإسلام، وهو من فرسان العرب في الجاهلية، كان من فرســـان العرب، فكان يعتمد على القتال والمواجهة، أكثر من اعتماده على التلصـــص، توفي في خلافة عمر بن الخطاب – رضـــي الله عنه – ينظر: عبد الرحمن، عفيف: معجم الشـعراء من العصـر الجاهلي حتى نهاية العصـر الأموي، ط1، دار المناهل للطباعة والنشـر، بيروت، لبنان، 1996م، ص176 . ينظر: الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر(ت 370هـ): المؤتلف والمختلف، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، 1961م، ص23 .

(1) علاونة، شـريف: عمرو بن براقة الهمذاني سـيرته وشـعره،، ط1، دار المناهج للنشـر والتوزيع، الزرقاء، 2005م، ص92.

(2) ديوان الشـنفرى، ص32–33 (الغبوق: شـراب المسـاء، تبلت: تنقطع في كلامها لا تطيله / تَبَلَتِ في المعجم الوسـيط المرأةُ فُؤادَ الرجُلِ: أصـابَتْهُ بِتَبْلٍ، نثاها: الإخبار عن الشـيء بالحسـن أو بالقبيح / في المعجم المعاني الجامع نَثَا الْحَدِيثَ أَوِ الْخَبَرَ: حَدَّثَ بِهِ، أَشَاعَهُ، أَذَاعَهُ، كَشَفَهُ أو نثا الرجل: اغتابه)

تَبِيتُ بُعَيْدَ النَّوْمِ تُهْدِي غَبُوقَها لِـــــــجارَتِها إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ
تَحُلُّ بِمَنْجاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتَها إِذا ما بُيُوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّتِ
كَأَنَّ لَها في الأَرْضِ نِسْياً تَقُصُّهُ عَلى أُمِّها وَإِنْ تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ
أُمَيمَةُ لا يُخزى نَثَاها حَليلَها إِذا ذُكِرَ النِسوَانُ عَفَّتْ وَجَلَّتِ

هذه الأبيات تجسد حياء المرأة وخجلها، ومدى تعلق الرجل بها؛ لأنها لا تُسقط قناعها، ولا تلتفت في مشـــيتها، ولا تطيل في حديثها، تقيم في بيتها حتى لا يلومها اللائمون، وإذا ذُكرت أفعالها لا تسوء لعفتها، فالشاعر وظف اللون الأحمر الدال على الخجل والحياء [1]؛ لبيان قيمة المرأة وحيائها الذي يجذب النفوس إليها [2].

واللون الأحمر يدل–أيضـــاً– على أهواء كثيرة تعتري النفس، فهو يشـــير إلى الغضب، يقول تأبط شراً واصفاً عيون أصدقائه بحريق الغضا، وزهور شقائق النعمان الحمراء، فيقول:[3]

مَسَاعِرَةٌ شُعْثٌ كَأَنَّ عُيونَهُم حَريقُ الغَضا تُلفَى عَلَيْها الشَقَائِقُ

فالشاعر هنا استطاع توظيف اللون في بيان الحالات النفسية المتناقضة مرة في الحقد والإصـرار على قتل الأعداء، ومرة في سـعادة نفس الشـاعر وحبه لرفاقه. وليسـت جمالية هذا التنازع العاطفي بين الفريقين في انتقاء بعض الأشـياء الحسـية فحسـب، وإنما في مفارقة الوجود أيضـا؛ فالنار حاجة يومية دائمة، والشـقائق ظاهرة فصـلية نادرة، فكأنه يقول هم أشـداء باسـتمرار على الأعداء، وسـعادتي بهم حالة لا

(1) عمر، أحمد المختار: اللغة واللون، ص 212 .

(2) ينظر: ديوان الشنفري، ص32–33 .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص 124– 123. (مساعرة: هو الشخص الذي تحمى به الحرب / سَعَرَ النارَ والحَرْبَ: أوْقَدَها، كسـعَّرَ وأسْـعَرَ .سُـعْرُ :الحَرُّ، كالسُّـعَارِ، والجُنُونُ، كالسُّـعُرِ، والجُوعُ، أو القَرَمُ، والعَدْوَى. قد سَعَرَ الإِبِلَ: أعْداه، شعث: الشعر المنفوش المغبر، الغضا: شجر ينبت في الصحراء)

تكون إلا من قائد فذ يقدر أصحابه ويسعد بهم، هذا من جانب، ومن جانب آخر مثلهم كمثل الصحراء اللاهبة التي يتناثر فيها زهر شقائق النعمان.

لقد تمكن الشـــاعر من خلال اســـتثمار الحريق المتطاير في الغضـــا، والزهر الغارق بالحمرة من وصـــف اندفاعهم نحو الأعداء، وســـرعة إعمال القتل فيهم، ومن بيان علاقة الزعيم بأتباعه فهو زعيم لجماعة قوية يعلو بعلوها، ويســـعد بقوتها مثلما يألم الأعداء منهم، وهنا يتجلى مبدأ التعويض لدى الشـاعر الذي نشـأ في قبيلة نبذته، فاستعاض بجماعة لم يكن فرداً بها، ولكن زعيماً مطاعاً.

أما الشاعر وبرة بن الجحدر المعني الطائي* فقد وصف شيوخاً قد شهدوا ضده، فقال:[1]

على رُؤُوسِهِم حُمَّاضُ مَحنِيَّةٍ وفِي صُدُورِهِمِ جَمرُ الغَضَا يَقِدُ

لقد وصف الشاعر شعورهم بأنها مخضبة بالحناء، فهي كالحماض، وهو نبات أحمر اللون له ثمر أشكل إلى الحمرة، وصدورهم مليئة بالحقد، حتى كأن لحاهم جمر شـــجر الغضـــا، حيث جعل لحاهم لعظمها تضـــرب في الصـــدور موضـــع البغض، والضغينة، والكره، فهؤلاء الأعداء كانوا رمزاً للحقد، والضغينة.

هذا الشـعور بالألم، وما تبع تلك الشـهادة من صـعاب في الجبال نتيجة لطرده من القبيلة، كل ذلك جســـده الشـــاعر بانتقاء مفردات من بيئته، فلجأ إلى ذوات اللون

---

* **الشـــاعر وبرة بن الجحدر المعني الطائي:** من بني دغش، شـــاعر وصـــعلوك جاهلي، لم يرد من أخباره الكثير، ينظر: الطبري، محمد بن جرير: المنتخب من ذيل المذيل، مؤســـســـة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان (د.ت).ص 44، وينظر كذلك: أشعار اللصوص وأخبارهم، ج1، ص52 .

(1) طريفي، محمد نبيل: ديوان اللصـــوص في العصـــرين الجاهلي والإســـلامي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2004م، ج2، ص 304 . (الحماض: نبات جبلي أحمر اللون، وجاء في معجم المعاني الجامع: حَمَضَ عَنْـهُ: كَرِهَـهُ، وجاء في لســـان العرب: أنـه كـل نبـات مـالح أو حـامض الطعم، وحامضُ الفُؤاد في الغضب إذا فسد وتغير عَداوةً) .

الأحمر منها (الحماض وجمر الغضا) ليكشف مرارة عيشه، وأحقادهم الدفينة، وكأنهم الروم أعداء العرب ذوات البشرة الحمراء.

الطبيعة:

جاء اللون الأحمر لوناً للزهر في مواضـــع قليلة في شـــعر الصـــعاليك في العصر الجاهلي، حيث ذكرها الشاعر أبو الطمحان القيني*؛ ليصف طريقه وهو يسير مع الذين أسروه في حربه معهم، فقال:[1]

أرِقتُ وآبَتْنِي الهُمُومُ الطَّوارِقُ ولَمْ يَلْقَ ما لاقَيْتُ قَبْلِيَ عاشِقُ

إلَيكُمْ بَنِي لأمٍ تَخُبُّ هِجانُها بِكُلِّ طَرِيقٍ صادَفَتْهُ شَبارِقُ

فالشـاعر يندب حظه، وما آل إليه في هذا الأسر بعد أن كان حراً طليقاً، فاليوم هو مكبل لا يسـتطع الهروب، ومن شـدة حزنه لا ينام الليل، فسـهر وذهب النوم من عينيه بسـبب ما انتابه من هموم طرقت مضـجعه ليلاً، والذي سـببها بنو لأمٍ– قبيلة أغارت عليه فأسرته– فالشـاعر يسير بصـعوبة كبيرة مع ناقته في هذه الطريق المليئة بشوك الشبارق أحمر اللون كالدم، فجاء الشاعر بالهموم والأرق مع نبات الشوك أحمر اللون؛ ليدلل على حالته الحزينة القاسية، وقلبه الممزق الدامي مثل الثوب المقطع.

ولقد وصـــف الشـــاعر أبو الطمحان القيني القطيعة بظلوف الثور الوحشـــي، فقال:[2]

---

* **أبو الطمحان القيني:** هو حنظلة بن الشرقي، أحد بني القين بن جسر بن قضاعة، وهو من المخضرمين، أدرك الجاهلية والإسـلام، وهو فارس صـعلوك، جنى جناية في قومه، فطلبه السـلطان، فهرب من بلاده، وكان له زوجة تنهره عن الصعلكة، وقد عاش100 سنة، ينظر: كتاب الأغاني للأصفهاني، ج13، ص3 .

(1) طريفي، محمد نبيل: ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج1، ص321 (الشـبرق: ورد في لسان العرب مادة (الشِّبْرِق): جنس من الشوك الشِّبْرِق يقال له الحِلَّة، ومَنْبِتُه نجد وتهامة، وثمرته حَسَكة صِغار، ولها زهرة حمراء، إذا كان رطباً فهو شِبْرِق، فإذا يبس فهو الضَّريع/ والمُشَبْرَق: الرقيق من الثياب، والمقطوع)

(2) المرجع نفسـه، ج1، ص 324 (الصـرم: الهجر والقطيع، النابئ: الثور الوحشـي الذي ينبأ من أرض إلى أرض القوانئ: جمع قانئ، وهو شديد الحمرة، ورد في لسان العرب في مادة (قنأ): المكان الذي لا تطْلُعُ

صَرَفتُ وكانَ اليأسُ مِنِّي خَلِيقَةٌ إذا ما عَرفْتُ الصُّرَمَ مِنْ غَيْرِ واصِلِ

بِكالنابِئِ الفِرْدِ الأَرَحِّ ظُلُوفُهُ قَوانِئُ حُمْرٌ مِنْ خُزامَى الخَمائِلِ

تسيطر على الشاعر حالة من الشوق والحنين للأحبة، فبكائه شغله عن سبيله وأموره بسبب الصرم، والقطيعة، والهجران، فهو كظلوف الثور الوحشي الذي ينتقل من أرضٍ إلى أرض، فهو دامي القلب مكسور، تملأه الحسرة، والندم، والشوق لبلده وأحبابه.

الخمر:

لقد استخدم الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي الخمر بكل تفاصيله؛ فلا يمكن تجاهل مركزية الخمر في المجتمع الجاهلي إطلاقاً، فهي متغلغلة في أدق تفاصيل الحياة الوجدانية والاجتماعية، وتَملك حضوراً أساسياً في الشِّعر والتراثِ، فجاء الخمر في أشعار العرب؛ ليضفي عليها الصورة المستوحاة من حياتهم، لاسيما لوَّنُوها بلون الدم، فهي المشروب الذي تغنَّى الشعراء بلونه، ومجالسه، وأثره في الجسد لما يسببه من نشوة للشارب. وقد قيل في الخمر: "لقد أهلك الرجال الأحمران: اللحم والخمر"[1]، وقد وصف الشعراء الخمرة بلونين هما: الأحمر والأصفر، وقد ألحوا على ذكر الأحمر كثيراً، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى الصلة بين لون الخمرة والدم، فشرب الخمرة يدل على السيادة، فقال تأبط شراً:[2]

عليه الشمس، الظِّلْفُ: ورد في معجم المعاني الجامع في مادة (ظَلَفَ): الظُّفْرُ المشقوق للبقرة والشاةِ والظَّبْي).

(1) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج5، ص 65 .

(2) ديوان تأبط شراً، ص 179،(الشاحب: السيف الذي يتغير لونه بما يبس عليه من الدم / ورد في القاموس المحيط في مادة شحب: متغيّر اللّون ذابل النّضارة، المتشلشل: السيف الملطخ بالدماء / ورد في المعجم الوسيط مادة (الشَّلْشَلُ): الخفيف السَّرِيعُ في عمله والشَّلْشَلُ الطيَّبُ النفس، ويقالُ ماءٌ شَلْشَلٌ، ودَمٌ شَلْشَل: مُتَتَابِعُ التَّقاطر).

وَلَكِنَّنِي أَرْوِي مِنَ الْخَمْرِ هَامَتِي وأنضُو المَلاَ بالشَّاحِبِ المُتَشَلْشِلِ

لقد صور الشاعر هنا لوحتين متضادتين متناقضتين: الأولى حاله عندما يرتوي من الخمر المسكر، والذي يحوي قدراً كبيراً من الراحة، حيث مدَّ الشاعر بالقوة، واللذة، والإثارة، أما اللوحة الثانية فتحمل تصويراً للمعركة والقتال، ففيه إجهاد وتعب، فأضفى الشاعر صفة الشحوب على السيف المتشلشل بالدم، والذي عمل على تغير لونه، فمجيء اللون بالاستخدام غير المباشر مع صفة السرعة والخفة في معنى (متشلشل) جاء نتاج السعادة، والسرور، والقوة، حيث أضفى على النص جمالية للتأثير في المتلقي، فاللون الأحمر في الخمر، والقتل، والدم جاء ليكون أيقوناً للسيادة، والقوة، والبطش.

أما عروة بن الورد فقد أنساه الخمر حبيبته فقال:[1]

سَقَوْنِي النَّسْءَ ثُمَّ تَكَنَّفُوني عُداةَ اللهِ مِنْ كَذِبٍ وزُورِ

لقد جاء اللون الأحمر في هذا البيت عند عروة بن الورد؛ ليكون رمزاً للهو، واللذة، حيث إن الشاعر عندما شرب الخمر الأحمر– وهو أشد أنواع الخمر تأثيراً على العقل– أنساه حبيبته، فجاء الخمر هنا دلالة على اللهو، وعدم تحمل المسؤولية.

الدم:

يعد لون الدم من أقوى الإشارات إلى اللون الأحمر، وهو في أشعار الصعاليك " يثير الألم والانقباض، فارتباطه بلون الدم جاء للتعبير عن المشقة، والشدة، والخطر، واشتعال

(1) ديوان عروة بن الورد العبسي، ص48. (النسء: الخمر المعجم : لسان العرب: النَّسْءُ: الشرَابُ القويُّ المزيلُ للعقل و النَّسْءُ اللَّبنُ الرقيقُ، الكثير الماء، النَّسْءُ السِّمَن المعجم :المعجم الوسيط: النِّسْءُ: المخالِطُ المعاشر ويقال: هو نِسْءُ نساء.)

الحروب "[1]، فاللون الأحمر يرمز " للدم والثورة، ويزيد من انفعالات الإنسان "[2]، فقد فضل الشاعر تأبط شراً الموت في ساحة الحرب، وهو مقاتل ومدافع عن عزته وكرامته على أن يعيش منةً وذليلاً فقال:[3]

لَكُمْ خَصْلَةٌ إِمَّا فِدَاءٌ وَمِنَّةٌ وَإِمّا دَمٌ وَالقَتْلُ بِالمَرْءِ أَجْدَرُ

نلحظ هنا أن الدم يرتبط في أشعارهم بالشجاعة والقوة، حيث إن الشاعر قد اختار أن يموت قتيلاً، ولا يتعرض للذل والمهانة، وهذا ما يتوافق مع طبيعة الخصال السائدة في العصر الجاهلي، حيث إن الشاعر قد اختار العزة والكرامة، ورفض حياة الذل، فجاء اللون الأحمر متمثلاً بلون الدم؛ ليكون رمزاً للكرامة، والعزة، ورفض الذل.

ويقول تأبط شراً أيضاً: [4]

قَلِيلُ غِرَارِ النَّوْمِ، أَكْبَرُ هَمِّهِ دَمُ الثَّأْرِ، أَوْ يَلْقَى كَمِيًّا مُقَنَّعَا

نلحظ أن مزاج الشاعر في هذا البيت قوي جداً، حيث جاء بالدم والثأر؛ ليوضح كمية الحزن المسيطرة عليه، فلا تهدأ روحه، ولا يذق طعماً للنوم إلا بأخذ الثأر، وهذا ما يتوافق مع طبيعة العصر الجاهلي، فجاء بلون الدم الأحمر؛ " لأن هذا اللون يثير النظام الفيزيقي نحو الهجوم والغزو، وهو في التراث مرتبط بالمزاج القوي، وبالشجاعة والثأر "[5]، فجاء اللون الأحمر ليجسد المزاج القوي، والإصرار على الهجوم والغزو.

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 211 – 212 .

(2) عبد الهادي، عدلي محمد: مبادئ التصميم واللون، ط1، مكتبة المجتمع العربي، عمان، 2006م، ص38 .

(3) ديوان تأبط شرا وأخباره، ص89 .

(4) المصدر نفسه، ص113 (كميا: الكَمِيُّ: لابسُ السِّلاَح الكَمِيُّ:الشُّجاعُ المقدامُ الجريء، كان عليه سلاح أَو لم يكن، والكَمِيُّ:الحافظُ لسِرِّه معجم المعاني الجامع مادة (كَمَي).

(5) عمر، أحمد المختار: اللغة واللون، ص 184 .

وقال السليك بن السُلْكَة* يفخر بقوته وسرعته في الطعن:[1]

دِمَاءُ ثَلَاثَةٍ أَرْدَتْ قَنَاتِي وَخَاذِفُ طَعْنَةٍ بِقَفَا يَسَارِ

حيث إنه قتل ثلاثة أشخاص بخاذف؛ أي بطعنة سهلة من بين أصابعه، فهي السريعة الخفيفة الطاعنة، فهو متمرس في القتل، ولا أحد يستطيع ملاقاته، فجاء اللون الأحمر؛ ليدلل على القوة، والغطرسة، والسيادة، وعدم الخوف.

أما عروة بن الورد أمير الصعاليك فقال: [2]

تَبَغَّانِيَ الأَعْدَاءُ إِمَّا إِلَى دَمٍ وَإِمَّا عُرَاضَ السَّاعِدَينِ مُصَدَّرَا

لقد جسد الشاعر هنا حياة الصعلكة، والتي تقول إن البقاء للأقوى، فأعداء الشاعر تمنوا له الموت والقتل، أو أن يأكله أسد عريض الصدر؛ حتى لا يأخذ منهم بثأره، فجاء بلفظة الدم كناية عن الثأر، فجسد اللون الأحمر القوة والعزم على القتل والإصرار عليه.

يقول تأبط شراً مشبهاً الدم بالخضاب:[3]

---

* **السليك بن السلكة:** سمي سليك (فرخ الحجلة) لأنه له خاصية في الاختفاء، ونسب لأمه وهي أمة سوداء فهو من أغربة العرب، وهذا سبب صعلكته، وكان يعاني من الدمامة في خلقته، حيث كان أفقماً نحيلاً، ولم نعلم كم امرأة تزوج، حيث سبى امرأة متزوجة فأولدها، وكانت هي سبب مقتله، ينظر: الأصفهاني، كتاب الأغاني، ج20، ص345 .

(1) التميمي، السليك بن عمير بن يثربي بن سنان السعدي: ديوان السُليك بن السَلكة، أخباره وشعره، دراسة وتحقيق: حميد آدم ثويني، كامل سعيد عواد، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1984م، ص57 (خاذف جاء في المعجم الوسيط في مادة (الخَذْفُ) :رَمْيُكَ بحَصاة أَو نواة تأْخُذها بين سَبّابَتَيْك والخَذُووفٌ :السَّريعَةُ السَّيْرِ) .

(2) شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، ص55 .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص63 (شَوِلٌ: نَشِيطٌ سريع في عمله " معجم المعاني الجامع مادة شَوَلَ، وجاء في المعجم الوسيط في مادة (شول) أشوال، مصدر شال يشول: خفيف، سريع، بقية الماء في الوعاء، ماء قليل، بقية اللبن في الضرع)

فَإِنْ أَكُ لَمْ أَخْضِبْكَ فِيهَا فَإِنَّهَا نُيُوبُ أَسَاوِيدٍ وَشَوْلُ عَقَارِبِ

لقد شبه الشاعر سيفه بالأفاعي، والعقارب التي لا مفر منها، فهي دائمة الخصوبة بالدم، وهي سريعة في سمها، فتقضي على خصمها بكل سهولة، وشبه تأبط شراً الدم على سيفه بالخضاب (الحناء) الذي يستخدم للزينة، دلالة على حبه للقتل والقتال الذي لا ينتهي عنده إلا بانتصاره المؤكد.

وقال عمرو ذو الكلب * يفخر بنفسه:[1]

فَهَذَا ثُمَّ قَدْ عَلِمُوا مَكَانِي إذا اِخْتَضَبْتُ مِنَ العَلَقِ العَوَالِي

يقصد الشاعر أن أعداءه يعرفونه من رماحه المخضبة أعاليها بالدماء من أثر القتل، فاختار الشاعر لفظ اختضبت للرماح؛ ليدلل على سروره في قتل الخصم والخلاص منه، وأنه يزين أعالي الرماح بالدماء رمزاً للفخر، فجاء اللون الأحمر هنا رمزاً للبطش، والقوة، والقتل.

ويقول حبيب الأعلم الهذلي *:[2]

يَدْمِي وَجْهَ حَنَّتِه إذا مَا تَقُول تَلَفَّتَنَ إلى العِيالِ

أي إذا امرأته قالت له تلفت على العيال، يدمي وجهها؛ أي يجعل وجهها مليئاً بالدماء من أثر الضرب، فجاء الأحمر هنا لوناً للدم، ورمزاً للسيطرة والبطش.

وقال تأبط شراً يصف الدم إثر الطعنة: [3]

---

* **عمرو ذو الكلب:** شاعر ولص، وهو من الهذليين، وسمي ذا كلب؛ لأنه كان معه كلب لا يفارقه .

(1) ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشاد القومي، المكتبة العربية، تحقيق: التراث العربي، القاهرة، 1965م، القسم الثالث، ص118 (العلق: جاء في معجم المعاني الجامع في مادة عَلَقَ: دُوَيْدَةٌ سَوْدَاءُ تَمْتَصُّ الدَّمَ تَعِيشُ فِي الْمَاءِ الآسِنِ / وجاء في لسان العرب بمعنى الدَّمُ الغليظ أو الجامد) .

* **حبيب الأعلم الهذلي:** صعلوك من صعاليك العصر الجاهلي، احترف الصعلكة بسبب فقره .

(2) ديوان الهذليين، القسم 2، ص83 .

(3) تأبط شراً وأخباره، ص80 .(فيحان: واسع، فاغر: منفرج مفتوح)

وَطَعْنَةِ خَلْسٍ قَدْ طَعَنْتَ مُرِشَّةٍ لَهَا نَفَذٌ تَضِلُّ فِيهَا المَسَابِرُ

كُشِفَت عَنها السُتورُ شَحا لَها فَمٌ كَفَمِ العَزلاءِ فَيحانُ فاغِرُ

فيصـف الشـاعر قوة الطعنة التي وجهها لخصـمه، حيث أخذ الدم يرش بقوة، ومكان الطعنة فاغر وواسـع، فانتثر الدم بكثرة، كما نلحظ أن الصـور تلونت باللون الأحمر، وهو لون الدم، وهو رمز للقوة، والشجاعة، والفتك بالعدو.

أما عند عمرو بن براقة الهمذاني، فصـور لنا الثوب الملطخ بالدماء كناية عن شدة الطعنة فقال: [1]

فَردُّوه بمُشعلَةٍ قَلوسٍ تخالُ رِداءَهُ منها طميلا

وعَادَية سَومَ الجَراد وَزَعْتُها بِطَعنٍ كَساها مِنهُ ردعاً كِلامُها

يتباهى الشـاعر هنا بقوته وفروسـيته، حيث إنه يسـدد الطعنة القوية التي تتفرق منها الدماء، فتقتل الأعداء، وتلطخ ملابسـهم، وبسـبب هذه الطعنات القوية توقفت الخيل العادية عن التقدم لأرض المعركة؛ لأنه قام بطعنها بقوة، كما نلحظ في هذين البيتين تجسد صورة المعارك، والقتل، وشراسة الصعاليك في العصر الجاهلي، حيث ذكر الشاعر عدة كلمات دالة على اللون الأحمر وهي (مشعلة، طميلا، بطعن، ردعا، كِلامُها) فكل هذه الكلمات تدلل على إصـراره على القتل، والفتك، والأخذ بالثأر من خصمه.

(1) عمرو بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص102.(وزعتها: أوقفت تقدمها، الردع: اللطخ بالدم / جاء في معجم المعاني الجامع الردع الزَّعفرانُ، أو أَثرُ الزعفران، أَو الدم، كلام: جمع كلم: الجرح، مشـعلة الطعنة التي يتفرق منها الدم، طميلا: الملطخ بالدم).

يقول أبو خراش الهذلي *: [1]

فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَى قَتْيلاً رُزِيتُهُ بِجَانِبِ قَوْسِي مَا حييْتُ عَلَى الْأَرْضِ

يُقسِمُ الشاعر في هذا البيت على الأخذ بثأر أخيه، فجاءت كلمة قتيلاً؛ لتدلل على الدم، حيث قال جواد علي في كتاب (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام): " مات قتلاً لما يخرج من القتيل من الدم "[2]، فالبيت يجسد إصرار أبو خراش للأخذ بثأر أخيه، حيث جاء اللون الأحمر ليثير الهجوم، والقتل، والفتك.

ونلحظ دلالة اللون عند السليك بن السلكة من خلال قوله:[3]

بِخَثْعَمَ إن بقيتُ وإن أَبَوْه أُوَار بين بِيْشَةَ أو جفَارِ

لقد ذكر الشاعر " خثعم " وهو حي سمي بهذا الاسم؛ لأنهم نحروا كثيراً من البعير، وتلطخوا بدمه، أما أوار فهو اللهب وحر النار، فجمع الشاعر بين الدم، والنار، وحرها الذي يهددهم في موضع الشواء في بيشة أو جفار، كما نلحظ أن البيت مليء بالحرارة، فجاء الشاعر بالدم والنار دلالة على اللون الأحمر " حيث ارتبط بالتوهج والحرارة المنبعث من صوتها الرئيس (الحاء) "[4]، فجاء اللون الأحمر رمزاً للقوة والتوهج.

---

* **أبو خراش الهذلي:** واسمه خويلدة بن مرّة، توفي (15هـ – 636م)، كان أبو خراش من مشاهير الصعاليك، وكان مظفراً في غزواته، والمشهور أنه ترك الصعلكة بعد إسلامه. وأبو خراش لم يكن صعلوكاً عاديًا، فلم يمتهن الصعلكة حبًا في السرقة؛ بل أجبرته ظروف الحياة على الصعلكة، وعلى رأس تلك الظروف مقتل عدد من إخوته على أيدي قبيلة كنانة، وكان شجاعاً كريماً عفيف النفس . ينظر: الهذلي، غازي– الهذلي، خالد: شعراء العصر الجاهلي، أبو خراش الهذلي، دار القلم العربي، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود، ط1، حلب، 1996م، ص3 .

(1) شعراء العصر الجاهلي، أبو خراش الهذلي،، ص12 .

(2) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 148 .

(3) السليك بن السلكة أخباره وشعره، ص56 .(أوار: لهب النار)

(4) أبو عون، أمل: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، ص48 .

بهذا نجد أن اللون الأحمر ارتبط بالحرية التي تنتزع بالقوة [1]، وبالنشـــوة، والانتصار، والسيادة؛ لارتباطه بالقتال والدم.

النار:

لقد استُعْمِل اللون الأحمر عند العرب " للتعبير عن المشقة والشدة؛ لارتباطه بلون النار مادة الشيطان"[2]، حيث استخدم الشعراء الصعاليك النار، والتي ترمز للون الأحمر في اشتعالها، حيث عدَّها الشاعر الصعلوك أنيسته، وضوءه التي يستنير بها، فقال تأبط شراً:[3]

بَصَرْتُ بِنَارٍ شِمْتُهِا حِيْنَ أُوْقِدَتْ تَلُوْحُ لَنا بَعْدَ الرُّتَيلَةِ فالهَضْبِ

أراد تأبط شراً في هذا البيت، أن النار هي نوره ومصباحه ليلاً، فعندما أشعلها أبصر جميع الأماكن، من بينها موضع اسمه الرتيلة، فجاء الشاعر بلون النار لتكون أنيسته في الصحراء الموحشة، فكان اللون الأحمر رمزاً للقوة، والجرأة، وللاطمئنان أيضاً.

وقال تأبط شراً:[4]

عَلَى شَيْمِ نَارٍ تَنَوَّرْتُهَا فَبِتُّ لَهَا مُدْبِرًا مُقْبِلَا

ويقصد الشاعر أنه بات ينظر إلى النار حذراً، يُقبل ويُدبر، فهو ليس بغافل ولا ناعس، فجاءت النار هنا بلونها الأحمر رمزاً لليقظة والاحتراس.

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللون واللغة، ص212 .

(2) المرجع نفسه، ص212 .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص67.

(4) المصدر نفسه، ص164 (الشيم: النظر إلى النار، تنور: أبصر النار) .

أما عند الشنفرى، فيصف سرعة عدوه في مكان مليء بالحصى الصغير الصلب فيضرب بعضها ببعض، فيتطاير منه شرر النار ويتكسر، فقال:[1]

إذا الأمْعَزُ الصَّوَّانُ لاقَى مَنَاسِمِي تَطَايَرَ منهُ قَادِحٌ ومُفَلَّلُ

لقد شبه الشاعر أقدامه بأخفاف الإبل التي تخرج من تحت قدمه النار، لشدة سرعته في حر الصحراء، فجاء الشاعر باللون الأحمر القادح مع النار والشرر؛ ليجسد قوته، وسرعته، ونشاطه.

وقال الشنفرى في وصف الجوع:[2]

دَعَسْتُ على غَطْشٍ وَبَغْشٍ وَصُحْبَتي سُعَارٌ وإرْزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأفْكَلُ

لقد شبه الشاعر شدة الجوع كأنه حرُّ النار في جوفه، فيقول مشيت في الظلمة مع أصحابي في جوعٍ وإرزيز، وهو البرد، وفي خوف وارتعاش، دلالة على شدة البرد، فجاء الشاعر بلفظة السعار، وهو حر النار ولهيبها مع الجوع، والعطش، والبرد، دلالة على ما يفعله الجوع في جوفه، فجاء اللون الأحمر؛ ليجسد حياتهم الصعبة المشردة، والمشقة في الصحراء.

الشؤم والخراب:

لقد قالت العرب في القديم: " أشأم من أحمر عاد، وهو الذي عقر ناقة صالح عليه السلام "[3] فكان أحمر عاد رمزاً للتشاؤم والخراب، فجاء الشاعر أبو خراش الهُذلي وقال:[4]

---

(1) ديوان الشنفري، ص62 .

(2) ديوان الشنفري، ص70 (دعست: دفعت بشدة واسراع، الغطش: الظلمة، البغش: المطر الخفيف، السعار: شدة الجوع / وجاء في المعجم الوسيط السعار بمعنى حر النار، والتهاب العطش، والجنون، جر: خوف، الأفكل: الارتعاش مع البرد)

(3) ينظر: ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب مادة (ح .م . ر) .

(4) تاريخ شعراء العربية، أبو خراش الهذلي، ص13 .

فمن كان يرجو الصلْحَ مِنِّي فإنه كأحمرِ عاد أو كُلَيْبِ بنِ وائلِ

لقد قصد الشاعر أبو خراش استبعاد الصلح، ونقض اليمين، فإنه يبيت لخصمه حرباً يعم بها الخراب والقتل، فجاء اللون الأحمر هنا رمزاً للتشاؤم والخراب.

وبهذا يتبين أن سيميائية اللون الأحمر عند الشعراء الصعاليك في الجاهلية تنوعت دلالاته، فقد جاء للدلالة على آلة حرب رمزاً لقوتها، وجاء في الحيوانات رمزاً لصلابتها وتحملها، وجاء لوناً للخمر المسكرة، ولوناً للدم والنار، ولوناً للخضاب، وجاء في الإنسان رمزاً لحياء المرأة وخجلها، وفي عيونه رمزاً للغضب، وجاء رمزاً للشؤم ونقض العهد، وبذلك نلحظ أن أثر البيئة الجاهلية وأدواتها القتالية هي التي غلب عليها اللون الأحمر مثل: السهم، والقوس، والحيوان (الفرس والناقة) الذي يستخدمه الفارس في معاركه، وفي النار والدم، مما يدلل على أنهم كانوا مقاتلين غير مستقرين في موضع ما، وهم متنقلون وكثيرو القتال، حيث إنني لم أجد للون الأحمر مكاناً في الأشياء الدالة على الاستقرار.

– تكرر اللون الأحمر عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ما يقارب من ست وستين مرة، حيث ورد عند الشاعر تأبط شراً أكثر من غيره، حيث ورد حوالي عشرين مرة، وجميعها تدل على الدم، والحرب، والنار، وهذا يدلل على عشقه للموت، والقتل، وطبيعة نفسه الأمارة بالشر، والصعلكة، والفتك. أما عند الشنفرى، فقد ورد اللون عنده عشر مرات، كان منها ثلاث مرات دالة على سهمه القوية، والباقي يدل على الدم، والنار، والخمر، وحياء المرأة وخجلها، وتنوع الدلالات للون الأحمر عند الشنفرى يدل على" أنه ماهر قوي الإرادة، وبقليل من التفكير يمكنه أن يحسن التعامل مع مختلف الحيل والمواقف المرتبكة "[1].

(1) غانم، محمد حسن: في سيكولوجية الملابس، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2004م، ص7 .

–أما عند الشاعر السليك بن السلكة، فقد ورد عنده اللون ثماني مرات، وكانت دلالة على الدم ولونه بالطريقة غير المباشرة التي تتصف بالديمومة والبعث المستمر، وجاء اللون الأحمر عند قيس بن حدادية خمس مرات، ذُكرت فيها النار ثلاث مرات، وأخرى صفة لفرسه الكميت، والأخيرة كانت لفظة للدماء بصيغة الجمع؛ للدلالة على الكثرة، وورود النار عند قيس بن الحدادية ربما جاءت رمزاً للكرم والعطاء. أما الشاعر أبو الطمحان القيني، فورد اللون الأحمر عنده خمس مرات، ذكر الخمر ثلاث مرات، وذكر النبات أحمر اللون مرتين، ولم يرد عنده اللون ليرمز للدم أو النار، ذلك لأنه لا يبحث عن القتل، أو القتال والمواجهة، ويدلل على ذلك " أنه عندما جنى جناية هرب من خصـــومه ولم يواجههم "[1]. أما عند عروة بن الورد، فقد ورد اللون الأحمر عنده أربع مرات، وكانت دالة على الدم، والخمر، والحرب، وفرســـه الكميت، فنلحظ أن الدلالة عنده متنوعة، ربما دلالة على الاضطراب، وعدم الاستقرار.

- وكذلك ورد اللون الأحمر عند عمرو بن براقة الهمذاني أربع مرات، فكانت الأولى لوناً للأســد، والثلاث الأخرى كانت تحمل صــفة الدم، والطعن، والقتل، وهذا يدل على القوة، والشجاعة، وشراسة هذا الفارس الصعلوك. أما عند أبو خراش الهذلي، فقد ورد اللون عنده مرتين: الأولى للدلالة على القتل والدم، والثانية جاءت رمزاً للشـــؤم ونقض العهد، وكذلك عند مالك بن حريم الهمذاني ورد اللون مرتين، مرة في لفظة الدم، والثانية صفة للخمر المسكر، وورد اللون الأحمر عند حبيب الأعلم الهذلي مرتين بلون الدم، ومرة عند الشاعر عمرو ذي الكلب في لون الدم على رماحه، وورد مرة واحدة عند الشــاعر وبرة بن الطائي، فكان لوناً للشَّــعَر، واللِّحي، رامزاً للحقد، والكره، والبغضـــاء. أما عند الشـــاعر فضــالة بن شـريك الهذلي، والشـاعر صــخر الغي فلم يرد اللون الأحمر باللفظ

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، دار الفكر للطباعة والنشر، ط2، تحقيق: سمير جابر، بيروت، د.ت، ج13، ص7– 8.

المباشـر أو غير المباشـر، ربما لأن فضـالة لم يكن يحبذ القتل والحرب، فمال إلى السكينة والهدوء.

- على الرغم من أن اللون الأحمر يرتبط بالعلامة البصـرية فإن سـيميائية الأهواء كانت بارزة في أشعار الصعاليك الجاهليين , إذ كثير من العواطف والأحاسيس كالخجل والحقد ترتبط ارتباطا واضحا باللون الأحمر.

2- اللون الأزرق:

نلحظ اللون الأزرق في شـعر الصـعاليك بدلالتين: فتارة يوحي بالعنف، والقسـوة في مجال الصـراع حيث النصـال، والأسـنة المخيفة، وتارة يوحي بالطمأنينة، والسـكينة في وصف المياه الصافية، حيث نلحظ دلالات اللون الأزرق من خلال ما يلي:

آلات الحرب:

ذكرت كلود عبيد أنه: " لم ترد هذه اللفظة كثيراً في الاستعمالات القديمة إلا في تعابير متداولة... مثل تسمية الأسنة زرقاء... "[1].

فجاء الشنفرى يفخر بسهمه القوي، فقال:[2]

وَمُسْتَبْسِلٍ ضَافي القَمِيصِ ضَمَمْتُهُ بِأَزْرَقَ لانِكْسٍ ولا مُتَعَوِّجِ

يذكر الشـاعر هنا أنه في ازرقاق السـهم قوة وموت، فهو امتداد لقوة جسـده، وقدرته على صـرع الأعداء، فالشـاعر يقبل على الحرب مقاتلا بجسـد قوي، وسـلاح لا اعوجاج فيه، لا يهاب شـيئاً، فجاء السـهم باللون الأزرق؛ ليدلل على القوة، والبطش، والشـجاعة، فالسـهم صـورة الموت في معركة الأصـوات فيها صـاخبة، والغبار يعلو الأجساد، ولكن الشاعر يمنع الأعداء بضمة قوية تمنع الأنفاس.

---

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص88.

(2) ديوان الشنفرى، ص 40.(الأزرق: السهم، نكس: مكسور).

أما أبو خراش الهُذلي، فقد ذكر في رثاء الذين قُتلوا من بني هذيل، فقال:[1]

رِماحٌ مِنَ الخَطِّيِّ زُرْقٌ نِصالُهَا حِدادٌ أَعالِيْها شِدادُ الأَسافِلِ

لقد وصف أبو خراش النصال بزرقة لونها، فكانت دلالة على كثرة الدم الذي جف عليها، فهي حادة وشديدة جداً، وقد تحول الدم في هذا البيت من الحمرة إلى الزرقة، فجسد هذا التحول ما طرأ على حياة الشاعر بعدما كان يعيش في استقرار، حيث أصبح مشرداً في الصحراء، فجاء الشاعر باللون الأزرق ليكون رمزاً، ودليلاً على الحقد، والغضب على أعدائه، فتتضح لنا الإشارة، أو الدلالة السلبية للون الأزرق، وهي الحقد، والبغضاء، والغضب، وكثرة القتلى.

الطبيعة:

لقد ارتبط اللون " الأزرق الفاتح بالماء والسماء، فهو لون مناسب للهدوء والبرودة "[2] واقتران الأزرق بالماء أمر طبيعي؛ لأن الماء يمتص ألوان الطيف جميعها عدا اللون الأزرق فيعكسه، لذا سطح ماء البحر غالباً ما يظهر باللون الأزرق، فاستخدمه الشعراء الصعاليك للدلالة على الماء صافي اللون، فقال تأبط شراً يصف طريقه لغارة من غاراته:[3]

وَمَرّرنَ حَتّى كُنَّ لِلماءِ مُنتَهاً وَغادَرَهُنَّ السَيلُ فيما يُغادِرُ

بِهِ نُطَفٌ زُرْقٌ قَلِيلٌ تُرَابُهَا جَلَا المَاءُ عَنْ أَرْجَائِهَا فَهْوَ حَائِرُ

لقد وجد الشاعر في طريقه شِعباً به القليل من الماء الأزرق صافي اللون، غائر بين الصخور، فجاء اللون الأزرق رمزاً للصفاء والنقاء.

ولقد وصف أبو الطمحان الطبيعة، ودورها في شفاء العليل، والهدوء، والراحة.

---

(1) شعراء العصر الجاهلي، أبو خراش الهذلي، ص13. (النصل:حديدة الرمح)

(2) رياض، عبد الفتاح: التكوين في الفنون التشكيلية "دراسة في سيكولوجية الرؤية ودورها في إثارة الأحاسيس الجمالية، ط4، دار النهضة العربية، القاهر، مصر، 2000م، ص261 .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص96.

فقال:[1]

يُسَلسِلنَ بَرْدَاً خالِصاً وَعُذوبَةً شِفَاءَ الغَلِيْلِ وَالعُيونِ الحَواجِلِ

وصف الشاعر الجداول التي تغمر الأرض، وهضبة سهلة المنابت ذات الماء العذب البارد اللذيذ في الحلق، فهو شـــفاء للظمآن، وعيون حواجل غائرات بين الصـــخور، فجاء هنا اللون الأزرق بطريقة غير مباشـــرة؛ ليمثل دلالته الإيجابية في إعطاء الراحة، والهدوء، والسكينة.

وقد اختار الشنفرى طريقة غير مباشرة للتعبير عن اللون الأزرق، حيث قال:[2]

نَمُرُّ بِرَهْوِ المَاءِ صَفْحَاً وَقَدْ طَوَتْ شَمَائِلُنَا والزَّادُ ظَنٌّ مُغَيَّبُ

قصد الشاعر أنه يمر برهوٍ به ماء صافي اللون، يكتفون بشربه؛ لأن الزاد غائب، ولا يستطيعون الوصول إليه في هذا الوقت، ويفخر الشاعر بأخلاقه وأخلاق أصدقائه، فهم أصحاب أخلاق عالية، ولا يهمهم غياب الزاد، فجاء هنا اللون الأزرق في صفاء الماء؛ ليدلل على القوة، والصبر، والتحمل، والأخلاق الحسنة.

وقال أبو خراش الهذلي يفخر بنفسه:[3]

وَإِنِّي لأُثْوِي الْجُوعَ حَتَّى يَمَلَّنِي حَيَاءً وَلَمْ تَدْنَسْ ثِيَابِي وَلا جِرْمِي

وَأَصْطَبِحُ الْمَاءَ الْقَرَاحَ فأكتفي إِذَا الزَّادُ أَمْسَى لِلْمُزَلَّجِ ذَا طُعْمِ

أي أن الشـاعر يتحمل الجوع، ويحرم نفسـه الطيبات، ويكتفي بشـرب الماء القراح الصـافي، ولا يدنس ثيابه بالذل، وَوضْـعَة الشـأن، فجاء اللون الأزرق رمزاً للصبر، والتحمل، وعزة النفس.

أما في بيت آخر يفخر تأبط شراً بفرسه، بقوله:[4]

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص326 – 327 .

(2) ديوان الشنفرى، ص28 (رهو: مكان يجتمع به الماء، الشمائل جمع شميلة وهي الخلق) .

(3) شعراء العصر الجاهلي، أبو خراش الهذلي، ص9.

(4) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص82.

وَأَشْقَرُ غَيْدَاقُ الجِرَاءِ كَأَنَّهُ عُقَابٌ تَدَلَّى بَيْنَ نِيقَيْنِ كَاسِرُ

جُمُومَ البَحْرِ، طَالَ عُبَابُهُ إِذَا فَاضَ مِنْهُ أَوَّلٌ، جَاشَ آخِرُ

نلحظ عند ذهاب الشاعر للهجوم على خصومه؛ ليأخذ بثأر صديقه الشنفرى، فهو كالبحر الهائج، عالي الأمواج، دلالة على قوة الفرس وشراسته، فجاء اللون الأزرق متمثلاً بالبحر، ولكنه لم يكن هادئاً، بل جاء هائجاً غاضباً، وهذا يوضح لنا مدى التأثر النفسي للشاعر، فجاء اللون الأزرق؛ ليدلل على حالة غضب الشاعر، وحقده، وتعطشه للفتك، والقتل، والبطش، والأخذ بالثأر.

أما عند عمرو بن براقة الهمذاني فشبه الهموم بالبحر، بقوله:[1]

ألا هَل لِلهُمومِ من انفِراجِ وَهَل لي من رُكوبِ البَحرِ ناجِ

وهنا يظهر لنا اللون الأزرق بدلالته السلبية، فشبه همومه، وحزنه، وآلامه بالبحر المظلم الكبير، حيث يتساءل هل يمكن أن ينجو من البحر؟ فجاء اللون الأزرق هنا في لون البحر رمزاً لضيق الشاعر وحزنه.

وبهذا يتبين لنا أن:

اللون الأزرق قد قل استخدامه عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي؛ لأنه من الألوان الباردة التي تثير الشعور بالاسترخاء، والراحة، والسلام، ويناقض الإثارة، وأنه " يؤثر على جسم الإنسان، حيث ينتج مادة كيميائية تسبب تخدراً في المشاعر، واستقراراً في العواطف "[2]. وعلى الرغم من تلك الدلالات الإيجابية، فإنه يرمز –أيضاً– للحزن، والكآبة، والخوف، لذلك لم يرد عند الشاعر أبو الطمحان القيني إلا أربع مرات، وكانت (سماء، ساحل، يسلسلن، الماء)، فجميع الكلمات جاءت رمزاً للصفاء، والهدوء، والسكينة، وورد عند الشاعر تأبط شراً أربع مرات (زرق، البحر،

---

(1) عمرو بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص90.

(2) حاجي، آبادي وآخرون: الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي، (مقالة) مجلة فصيلة، دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة،ع9، 1971م، ص88 .

الماء، المياه)، فكانت ثلاث مرات منها رمزاً للماء الصافي النقي، والأخيرة جاءت رمزاً للبحر الهائج، فهذا التنوع والتضاد من الهدوء، والصفاء، والنقاء إلى الثورة، والضجر، يمثل حال الشاعر البعيدة عن الاستقرار والهدوء. أما عند الشنفرى، فقد ورد اللون الأزرق مرتين (أزرق، الماء صفحاً) الأولى كانت صفة للسهم، وعلامة واضحة على القتل والموت، والثانية صفة للماء، دلالة على الصفاء. أما عند قيس بن حدادية، فورد اللون الأزرق مرتين، وكلاهما بلفظة البحر، رمزاً للكرم والعطاء، وورد اللون الأزرق عند أبي خراش الهذلي مرتين (زرق، الماء القراح) فالأولى صفة للنصال، والثانية ذَكَرَ بها الماء الصافي أيضاً، وهنا جاءت اللفظتان متضادتين؛ دلالة على اضطراب نفسية الشاعر. أما عند الشاعر عمرو بن براقة الهمذاني، فورد اللون مرة واحدة بلفظة (البحر) فكان رمزاً للهموم، والحزن، والكآبة المسيطرة على الشاعر.

واللون الأزرق، لم يذكر عند كل من عروة بن الورد، والسليك بن السلكة، وفضالة بن شريك الأسدي، ومالك بن حريم الهمذاني، وهذا ما يؤكد أن الشعراء الصعاليك لم يعرفوا الهدوء والسكينة في حياتهم؛ ولأن دلالته شؤم مكروه ينفر منه، وذلك للربط بينه وبين عيون العدو، حيث اقتصر اللون الأزرق على عيون أعدائهم، ولون الذباب، وعيون الجوارح من الطير، والحيات، وبعض الهوام، " فقالوا: عدو أزرق، نسبة إلى زرقة عيون الروم وتشبيهاً بهم "[1]، وقد تشاءم العرب من البسوس، وهي زرقاء العينين، والزباء صاحبة الأبرش(زرقاء العينين)، وزرقاء اليمامة لهذه

(1) الثعالبي، أبو منصور: فقه اللغة وسر العربية، مطبعة الحلبي، ط3، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، مصر، 1972، ص107.

الصفة، كما تشاءم الجاهليون من كل أزرق العينين "[1]، وفي تفسير الأحلام عند ابن سيرين " عُدَّ الأزرق في المنام كله هماً وغماً "[2].

3- اللون الأصفر:

الأصفر كغيره من الألوان لا يحمل وجهاً واحداً، فهو كما يحمل دلالات الدفء، والنشاط، والحيوية، والسطوع، والنورانية، ودلالته على آلات الحرب،فلونه الفاقع يسر الناظرين، حيث قال تعالى:(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ)[3]. يحمل- أيضاً- دلالات مغايرة تماماً، فهو يعبر عن الحقد، والحسد، والضغينة، والخيانة، والغيرة، كما ارتبط الأصفر الداكن بالمرض، والشحوب، والجدب، والقحط، فقال تعالى في سورة الروم:(وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ)[4]، فالريح الصفراء دليل على الفساد، والجفاف، والدمار، فأصبح زرعهم بعد خضرته مصفراً، وأيضاً للون الأصفر دلالة على الخوف، والمرض، والانقباض، والهزال.

وقد ذكره شعراء الصعاليك الجاهليين بطريقة مباشرة وغير مباشرة، وبدلالتيه الإيجابية والسلبية، حيث نلحظ ذلك من خلال ما يلي:-

آلات الحرب:

ذكرها تأبط شراً في رثاء صديقه الشنفرى، فقال في ذلك:[5]

يُفَرِّجُ عَنْهُ غُمَّةُ الرَّوْعِ عَزْمُهُ وَصَفْرَاءُ مِرْنَانٌ وَأَبْيَضُ بَاتِرِ.

---

(1) الجاحظ: عمرو بن بحر (ت 255هـ): الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد باسل، مج2، ج5، بيروت، لبنان، 2003م، ص300 -301 .

(2) ابن سيرين: تفسير الأحلام الكبير، دار الحرف العربي، لبنان، بيروت، (د.ت)، ص 119 .

(3) سورة البقرة، آية 96.

(4) سورة الروم، آية 51.

(5) ديوان تأبط شراً وأخباره: ص81 (صفراء: القوس، مرنان: كثيرة الرنين، باتر: قاطع، غمة: ورد اللفظ في معجم المعاني الجامع في مادة غَمَّ وهي الحزن والحسرة والكرب).

نلحظ أن الشاعر جسد حياته بذكره للغم مع شدة الروع والخوف؛ بسبب الحياة القاسية المشردة التي يعيشها في هذه الصحراء الموحشة، إلا إن قوة عزمه وإصراره، وقوسه الشديدة المرنة، وسيفه القاطع يخفف عنه الهم، ويحل مكانه الأمل في تحقيق النصر بقوس صفراء تشع كالشمس، وسيف أبيض بتّار.

كما أن للون الأصفر دلالة على " التحفز والتهيؤ للنشاط... والإثارة والانشراح "[1]، فجاء الشنفرى في وصف قوسه ذات العنق الطويل بأنها صاحبته؛ لقوتها، وشدتها، فقال:[2]

ثَلاَثَةُ أَصْحَابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّعٌ وأَبْيَضُ إِصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ

يقول الشاعر إن أصحابه ثلاثة: فؤاده الشجاع، وسيفه المجرد من غمده، وقوسه طويلة العنق، لقد وصف الشاعر القوس الصفراء بصاحبته؛ لقوتها، وشدتها، ومرونتها في طاعته وقت الحاجة، فهي كالمرأة طويلة العنق، الجميلة التي تدعو للإثارة والتحفز، والنشاط، واستمرارية الغزو.

وقال الشاعر صخر الغي يفخر بقوسه:[3]

وسَمحةُ من قِسِيّ زارَةَ صَفرا ءُ هَتوفُ عِدادُهَا غَرِدُ

يقول الشاعر إن قوسه الصفراء قوية، فهي تزأر كالأسد في السراة، ويسمع صوتها من بعيد، وهي رمز لقوة صوتها وحِدَّته، فجاءت كلمتا هتوف وغَرِدُ مترادفتين؛ لتأكيد صوتهما القوي، والتغريد للطائر، فقد اعتبر الشاعر قوسه بلبلاً يغرد ويطربه بصوته الرنان، فجاء اللون الأصفر صفة للقوس؛ ليدلل على القوة والراحة في نفس الشاعر أيضاً.

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 229 .

(2) ديوان الشنفرى، ص60 (مشيع: شجاع، الإصليت: السيف المجرد من غمده، عيطل: طويلة العنق)

(3) ديوان الهذليين، القسم 2، ص60، (زارة: من أسد السراة، عدادها: صوتها، هتوف: القوس المرنة المصوتة، وجاء في معجم المعاني الجامع: حمامة هتوف: أي كثيرة الهتاف، سحابة هتوف: راعدة).

الطبيعة:

لقد ذكر الشعراء الصعاليك اللون الأصفر بطريقة غير مباشرة في ذكر بعض مكونات البيئة الطبيعية، ومنها:

الشمس:

وصف أبو الطمحان القيني الطبيعة من خلال رسم صورة متكاملة لها، فوصف السماء، والعيون الغائرة بين الصخور والشمس المشرقة، فقال:[1]

أربَّ عَلَيهَا قَارِبُ المَاءِ بَعْدَمَا رَأى الشَّمْسَ قَد كَانَت مَدَى المُتَناولِ

لقد وصف الشاعر صغير الحمار الذي يقترب من الماء ليرتوي تحت أشعة الشمس القريبة، والتي تبعث الحيوية، والنشاط، بسبب أشعتها القوية، فجاء اللون الأصفر متمثلاً بلون الشمس؛ ليدلل على النشاط، والقوة، والحيوية.

ولأن " الأصفر مركز الكون كما تقيم الشمس مركز السماء "[2]، فهي أم النجوم (الشمس) حيث تستغنى عن جميع الكواكب، فجاء تأبط شراً يفخر بنفسه، فقال:[3]

يَرَى الْوَحْشَةَ الأُنْسَ الأَنِيسَ ويَهْتَدِي بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

لقد شبه الشاعر نفسه بالشمس من حيث: مركزها، وإشراقها، وإشعاعها، وقوتها، ونورها الذي يضيء الكون، فالصحراء المظلمة هي أُنسُهُ الأنيس، فلا يحتاج لدليل، فهي أم النجوم التي تستغني عن جميع الكواكب، فجاء اللون الأصفر في الشمس رمزاً للقوة، والسيطرة، والتملك.

كذلك ذكر السليك بن السلكة الشمس بما ترمز له من فرح وبهجة، فيقول:[4]

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي: ج1، ص327 (أرب: الحمار الصغير)

(2) عبيد، كلود: الألوان، ص111 .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره: ص156.

(4) السليك بن السلكة أخباره وشعره، ص46 (ذر قرن الشمس: طلعت الشمس)

فما ذَرَّ قَرنُ الشَمسِ حتى أَرَيتُه قُصارَ المَنَايَا ، والفؤادُ يذوبُ

يقول الشاعر إنه عندما أشرقت الشمس بدأت بمشاهدة القتلى الذين خلَّفتهم المعركةُ وقلبي فرح مسرور، فجاءت الشمس هنا بلونها الأصفر رمزاً للانتصار، والفرح، والبهجة، والسرور.

الصحراء :

من المتعارف عليه أن الصحراء صفراء اللون برمالها ونباتها الجاف، فقد استخدمها الشعراء بعدة ألفاظ؛ لتجسد حياتهم البائسة، فذكر الشنفرى الصحراء، وقحطها، والأرض الجدب فقال:[1]

أَلا هَل أَتَى عَنَّا سُعادَ وَدُونَها مَهامِهُ بِيدٌ تَعْتَلي بالصَّعالِيكِ

لقد جاء الشاعر باسم محبوبته سعاد مع وصف الصحراء، أو المهامة، أو البيد، وهي مليئة بالصعاليك، حيث الصحراء الواسعة البعيدة التي لا ماء فيها ولا كلأ، فينتشر بها الجفاف، والقحط، والجدب، فالنبات ذابلٌ جاف؛ بسبب قلة الماء، وشدة حرارة الشمس، فجاء اللون الأصفر مع ذكر الحبيبة؛ ليجسد مدى قسوة الحياة في الصحراء، وشوق الشاعر لحياة هادئة مستقرة.

كذلك جاء الشاعر عمرو بن براقة الهمذاني؛ ليصف حياة الصعاليك في الصحراء، حيث الفقر، والقحط، والمكان القفر الذي لانبت فيه ولا مرعى، فقال:[2]

وَهُم يَكُدّونَ وَأَيُّ كَدٍّ
من دارةِ الذّئب بمجرهدّ

---

(1) ديوان الشنفرى، ص57.

(2) عمرو بن براقة الهمذاني، سيرته وشعره: ص95، (دارة الذئب: موضع في الصحراء، مجرهد:واجرهدّت الأَرضُ: لم يوجد فيها نبت ولا مرعى. واجرهدّت السنة: اشتدّت وصعبت ورد في لسان العرب مادة:جرهد) .

قصـــد الشـــاعر هنا الصـــعاليك الذين لا يتوقف كدهم وجهدهم في هذا المكان الجدب الخالي من أي نبات، فهو مجرهد لا نبت فيه ولا مرعى، حيث نلحظ أن اللون الأصـــفر الدال على الجدب والقحط جاء مع الكد والتعب؛ ليدلل على شـــدة الذبول، والفقر، وحياتهم الصعبة.

العسل:

أشار تأبط شراً للون الأصفر بطريقة غير مباشرة بإيراد لفظة العسل، فقال:[1]

وَحَرَّمْتُ السِّبَاءَ وَإِنْ أُحِلَّتْ بِشَوْرِ أَوْ بِمِزْجٍ أَوْ لِصَابِ

يقصد الشاعر إنه حَرَّم على نفسه الخمر وإن مُزِجَت بالعسل والماء العذب إلى أن يأخذ بثأره، فجاء هنا بالخمر الممزوج بالعسل؛ لأنه شراب يعطي الشعور بالراحة، والانتعاش، واللذة، فحرمه الشاعر على نفسه إلى أن يأخذ بثأره حتى يستطع الراحة، والسكينة، والهدوء، فجاء اللون الأصفر متمثلاً بلون العسل؛ ليرمز للراحة والهدوء بعد الأخذ بالثأر.

ولقد ذكر فضالة بن شريك الأسدي* لفظة جديدة للعسل ليفخر بفرسه، فقال:[2]

أَنَاصِحُ إِنّ الخَيْلَ مَجْلوبةٌ غَداً وَمَالَك إِنْ لم يَجْلُبِ اللهُ جالِبُ

---

(1) ديوان تأبط شـراً وأخباره: ص68 .(السـباء: الخمر، شـور: العسـل، مزج: الماد البارد الذي يخلط مع الخمر) .

* **فضالة بن شريك بن سلمان بن خويلد الأسدي** (غير معروف تاريخ ميلاده – توفي بعد 64 هـــ – بعد 648م)، شاعر من أهل الكوفة، أدرك الجاهلية، واشتهر في الإسلام، وكان من الصعاليك، شعره حجة عند اللغويين. وكان يهجو عبد الله بن الزبير، وتنسب إليه أبيات في رثاء يزيد بن معاوية، إن صح أنها له، فتكون وفاته بعد سنة 64 هـ . ينظر: الزركلي، خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ط5، مج5، بيروت، 2002م، ص146

(2) الشمشاطي (أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر): كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، ج1، تحقيق: صالح مهدي الغزاوي، العراق، 1987م.ج1، ص289.

لقد شبه الشاعر فرسه بالعسل الخالص، دلالة على قوته، ونشاطه، حيث إن " الناصح: هو العسل الخالص الذي يعطى القوة والشفاء"[1]، كيف لا وهو أنيسه في وحدته، وفي الصحراء القفر الموحشة، فجاء اللون الأصفر أو لون العسل لوناً للحصان؛ ليدلل على قوته ونشاطه باستمرار.

الذهب:

ذكر الشنفرى اللون الأصفر المشع المشرق بطريقة غير مباشرة في مدح أصدقائه، وهم يجابهون عدوهم، فقال:[2]

سَراحينُ فِتيانٍ كَأَنَّ وُجوهَهُم مَصابيحُ أَو لَونٌ مِنَ الماءِ مُذهَبُ

نلحظ هنا أن الشاعر قد شبه أصدقاءه بالسراحين، وهي الذئاب والأسود، فوجوههم مصابيح مضيئة بلون ماء الذهب الأصفر المشرق، فجاء اللون الأصفر في وجوه أصدقائه المحببين دلالة على الجمال، والبهجة، والسرور.

المرض والفناء:

لقد دل اللون الأصفر " على الذبول والنحول "[3]، ودل أيضاً على " صفرة الوجه من الإعياء أو المرض"[4]، فقيل:" فإذا هم أصابهم وباء واصفروا "[5]، وقد استخدم تأبط شراً هذه الدلالة؛ ليجسد ذبوله، وشحوب وجهه، فقال:[6]

---

(1) دقة، محمد علي: الشاعر المخضرم فضالة بن شريك أخباره وشعره: بحث في مجلة أدباء وشعراء، مطبوعات، 2011م.

(2) ديوان الشنفرى، ص 28 .

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص214 .

(4) المرجع نفسه، ص221 .

(5)المرجع نفسه، ص221 .

(6) ديوان تأبط شراً وأخباره: ص120 (الجناجن: عظم الصدر / ورد في معجم المعاني الجامع في مادة (تنجنج): تحير واضطرب، ناشز: ورد في لسان العرب مادة نَشَزٍ من الأَرض، وهو ما ارتفع وظهر، ورد

مَا إِنْ أَرَاكَ وَأَنْتَ إِلَّا شَاحِبٌ بَادِي الجَنَاجِنِ نَاشِزُ الشُّرْسُوفِ

وصف الشاعر نفسه وهو شاحب الوجه، حيث إن الشحوب في الوجه يضفي اللون الأصفر عليه من قلة الزاد، وبادي الجناجن؛ أي بارز عظام الصدر، والشرسوف هو رأس الضلع مما يلي البطن، وهذا كناية عن الضمور والهزال من شدة الفقر والجوع، وهنا تتجسد دلالة اللون الأصفر السلبية للإعياء، والذبول، والمرض.

وقد ذكر السليك بن السلكة نبات الحنظل المر الذي تتم صفرته، فالأصفر هنا " يبشر بالزوال، وبِدنُو الموت، ذاهباً إلى أقصى مدى له، فيصبح الأصفر بديلاً عن الأسود "[1]، حيث نلحظ ذلك من خلال قوله:[2]

كَأَنَّ مَفَالِقَ الهَامَاتِ مِنهُم صَرايَاتٌ تَهَادَتْهَا الجَوَارِي

لقد شبه الشاعر الرؤوس المهشمة في الحرب كأنها نبات الحنظل، الذي تمت صفرته، فالرؤوس أصبحت صفراء اللون؛ لكثرة فقدان الدماء، فجاء الشاعر بنبات الحنظل بالتحديد؛ لأنه يمثل حياة الصعاليك المريرة القاسية، فكان اللون الأصفر رمزاً و دلالةً على الذبول، والهلاك، والموت.

وبهذا يتبين لنا أن:

- اللون الأصفر ورد بدلالات إيجابية وسلبية، حيث ورد عند الشعراء الصعاليك الجاهليين ما يقارب من تسع عشرة مرة، حيث جاء اسماً للقوس القوية، ولوناً للصحاري الجرداء، وجاء لوناً للشمس، وجاء في العسل، والذهب، وجاء رمزاً للمرض، والشحوب، لكنه لم يكثر في ألسنة الشعراء , إذ لم يرد في شعر تأبط شراً إلا ست مرات (صفراء، سنبل، شور وهو العسل، شاحب، أم النجوم وهي الشمس) حيث جاء

في القاموس المحيط في مادة (شُرْسوفُ):غُضْروفٌ مُعَلَّقٌ بكلِّ ضِلَعٍ، أو مَقَطُّ الضِّلَعِ؛ وهو الطَّرَفُ المُشْرِفُ على البَطْنِ، والبعيرُ المُقَيَّدُ، والذي عُرْقِبَتْ إحْدى رِجْلَيْهِ، والداهيةُ، وأوّلُ الشِدّةِ).

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص110 .

(2) السليك بن السلكة أخباره وشعره، ص58 (الصاريات: ثمار الحنظل) .

للدلالة على قوة القوس، ولوناً للشمس، وللعسل، واللون الشاحب– أيضاً– فتعددت الدلالات؛ لتعبر عن نفسيته المتقلبة غير المستقرة، وفي شعر الشنفرى لم يرد سوى أربع مرات (صفراء، الماء المذهب، الأرض، تراب الأرض) للدلالة على القوة والنشاط، فهو من الألوان طويلة الموجة نسبياً، وبالتالي فإن أثره التحفيزي يتفاوت بحسب الطيف، فالأصفر بدرجاته المناسبة يدل على الثقة بالنفس، وروح التفاؤل. أما عند مالك بن حريم الهمذاني فقد ورد مرتين في لفظتي(الخطاب وهو الحنظل، بلقعا) فجاءت الكلمتان دلالة على حياة الشاعر المريرة القاسية الجرداء، ولم يرد إلا مرة واحدة عند كل من السليك بن السلكة، وأبو الطمحان القيني، وصخر الغي، وعمرو ذو كلب، وعمرو بن براقة الهمذاني، حيث ذكر السليك لفظة (صرايات) بمعنى الحنظل، وعند أبي الطمحان القيني لفظة (الشمس) رمزاً للإشراق والنشاط، وعند صخر وعمرو كان لوناً للقوس القوية، والهمذاني في لفظة (مجرهد) وهو المكان الخالي من النبات، فكان رمزاً للقحط والجدب. أما كل من قيس بن حدادية، وعروة بن الورد، وأبو خراش الهذلي، فلم يرد عندهم اللون الأصفر؛ ربما لأنه من أشد الألوان فرحاً، أو لأنه يظهر الخوف والقلق.

المبحث الثاني

سيميائية الألوان الأساسية عند الشعراء

الصعاليك في العصر الإسلامي

لقد ذُكِرت الألوان الأساسية عند صعاليك العصر الإسلامي بالطريقة المباشرة وغير المباشرة، وبدلالتيها الإيجابية، والسلبية، وقد حملت الألوان في هذا العصر دلالات جديدة لم نجدها في العصر الجاهلي، وجاءت في الأشعار كالتالي:

اللون الأحمر:

الإنسان:

لقد جاء اللون الأحمر للتعبير عن الحب، والشهوة، واللذة، فالأحمر لون الروح، ولون الشهوة، ولون القلب "[1]، حيث تغزل الشعراء بمحبوباتهم، ومنهم القتال الكلابي* الذي تغزل بمحبوبته، فقال:[2]

وَإنّي لَيَدْعُونِي إلى طاعَةِ الهَوى كَوَاعِبُ أَتْرابٌ مِرَاضٌ قُلُوبُها
كَأَنَّ الشِّفَاهَ الحُوَّ مِنهُنَّ حُمِّلَتْ ذَرَى بَرَدٍ يَنهَلُّ عَنها غُرُوبُها
بِهِنَّ مِنَ الداءِ الَّذي أَنا عارِفٌ وما يَعرِفُ الأَدْواءَ إلّا طَبِيبُها

---

(1) الألوان، ص74 .: عبيد، كلود

* **القتال الكلابي:** اسمه عبد الله بن محبب بن المضرحي، سمي القتال لتمرده وفتكه، وهو شاعر إسلامي أموي، وهو شبيه بخلعاء الجاهلية، وقد تمرد على حياته، فهو مشرد سياسي . ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج20، ص165.

(2) الكلابي، عبدالله عبيد عبادة بن مجيب بن المضرحي: ديوان القتال الكلابي: حققه وقدم له: إحسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1989م، ص30.

فالشـــاعر هنا يبرز مفاتن الجارية الفاتنة، ذات الشـــفاه الحو أي الحمراء " فالأحمر في الشفاه دلالة على الرقة "[1] واللون الأحمر جاء دالاً على الحب، والشهوة، واللذة.

أما عند المرّارُ بنُ سَـعِيدٍ الفَقْعَسِـيُّ*، فقد جعل اللون الأحمر دلالة على الخجل والحياء، فقال:[2]

يَمشِيْنَ وَهْناً وبَعْدَ الوَهْنِ منْ خَفَرٍ ومِنْ حَياءٍ غَضِيضِ الطَّرْفِ مَسْتُورِ

فالشـاعر هنا أحب المرأة الخجولة التي تمشـي بوهنٍ من الحياء والخجل، فخجل المرأة واحمرار وجهها، ومحاولتها جاهدة إخفاء خجلها ما هو إلا دليل أنوثتها، فنظرتها الخجولة التي تسـتحي رفعها في عيون آدم سـر انجذاب آدم لها، فالرجل يعشـق المرأة الخجولة، فهي تثير ذهنه في رزانتها، وهدوئها في مشـــيتها، لذلك نجد الشـــاعر هنا شغوف بكشف الستار عن هذا الاختلاف بين النساء، فجاء اللون الأحمر بطريقة غير مباشرة؛ ليكون رمزاً للخجل والحياء عند المرأة.

أما عن اللون الأحمر في بشـرة الإنسـان، فله دلالة جديدة وهي الجمال، حيث قال الدكتور أحمد مختار عمر في كتاب (اللغة واللون):" ومن الإيحاءات الجمالية

---

(1) أحمد مختار: اللغة واللون، ص214 . عمر،

* **المرار بن سعيد الفقعسي:** من شعراء الدولة الأموية، ويقال إن عثمان بن حيان والي الدولة حبس أخوه، ثم حبس المرار لســـرقة طريدة، فمات أخوه في الســـجن، ثم أفلت المرار، وبدأت صـــعلكته. ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج10، ص317-318 .

(2) ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج2، ص231 (الخفر: شـدة الحياء ورد في معجم المعاني الجامع مادة خفر، غضـيض:جمع أغِضّـاءُ وأغِضـة صـفة مشـبَّهة تدلّ على الثبوت من غَضَّ طَرْفٌ غضيض :مسترخي الأجفان).

خدود مثل شقائق النعمان "[1]، فجاء القتال الكلابي يفخر بلون بشرته التي ورثها عن أبيه وأجداده، فقال:[2]

وَرِثْنَا أبانَا حُمْرَةَ اللَّونِ عَامِراً ولا لونَ أَدْنَى للهِجَانِ مِنَ الحُمْرِ

هنا نلحظ أن الشاعر يفخر بنفسه وبآبائه، فوجوههم حمراء جميلة، فلا لون يضاهي الهجان، وهي أجود وأكرم الأشياء، فالرجل الهجان كريم الحسب، فجاء اللون الأحمر عند القتال الكلابي رمزاً للحسن والجمال.

الحيوان:

لقد فضل العرب الحيوان الذي يتسم باللون الأحمر عن غيره– كما ذكرنا سابقاً– فقالوا:" دهم الخيل ملوكها، وشقرها، وكمتها شدادها "، وقالوا أيضاً:" صهباء: صفة الحيوان الضارب لونه على حمرة، وهو الذي يمتاز بالصبر، والتحمل، وأشد الخيل حوافر "[3]؛ فالخيل أو الناقة الحمراء تمتاز بقوتها وشدتها. ونظراً لأهمية الدور الأساسي الذي تؤديه الناقة في حياة الصعاليك في هذه الصحراء، جعل الشاعر لها وصفها الخاص بلونها المميز، فقال القتال الكلابي في وصفها:[4]

يَسُوقُونَ أَنْضَاءً بِهِنَّ عَشِيَّةً وَصَهْبَاءَ مَشْقُوقًا عَلَيْهَا جِلَالُهَ

لقد وصف الشاعر ناقته صهباء اللون، فهي على الرغم من قوتها وشدتها، فإنها تعبت، وظهر عليها الإعياء، وعليها جلالها مشقوق دلالةً على الاهتراء والقدم، وقد جسد الشاعر هنا حياته بإضفائه الصور على الناقة، فهو الصعلوك الفاتك القوي

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص213 .

(2) ديوان القتال الكلابي، ص64 .

(3) الألوسي، محمود شكري: رسالة في الألوان، دمشق، مجلة المجمع العلمي الغربي، ج3، آذار 1992، ص79.

(4) ديوان القتال الكلابي: ص80.(الأنضاء: الإبل المهزولة من التعب، الصهباء: ناقة حمراء يخالطها بياض)

مثل هذه الناقة، لكنه بسبب الفقر والتشرد في الصحراء أصبح هزيلاً، وظهر عليه الإعياء والتعب، فجاء الشاعر بلون الناقة الصهباء (الحمراء) ليكون رمزاً للقوة، والصبر، والتحمل.

وقال مالك بن الريب* في فرسه الكميت:[1]

وَأَنيابٌ سَيُخلِفهُنَّ سَيفي وَشَدّاتُ الكَمِيِّ عَلى التِجارِ

يتحدث الشاعر هنا عن لصوصيته، فيقول: إن ذهب مني شيء تركته ورائي، فإن سيفي سوف يعيد لي أفضل منها، إلى جانب فرسه الكميت. نلحظ أن الشاعر يعتمد على فرسه كما يعتمد على سيفه؛ لشدته وقوته، كيف لا، فهو ساقه الذي ينطلق بها، فلا يئن ولا يمرض، فتجسد اللون الأحمر بلون الفرس الكميت رمزاً للقوة، والصبر، والتحمل، والشدة، والأصالة وقت الحاجة.

أما جعفر بن علبة الحارثي* فيأتي بالناقة الصهباء لسرعتها، فقال:[2]

وسَيْرِي مع الفِتْيَانِ كُلَّ عَشِيَّةٍ أُبَارِي مَطاياهُمْ بِصَهْباءَ سَيْلَقِ

---

* **مالك بن الريب:** شاعر أموي عاش في البادية، فأثرت في نفسيته وسلوكه، فالحرية عشقه الأول، ولكنه فهمها بطريقة البدوي الذي لا يحكمه أحد، وهذا سبب صعلكته، حيث تزعم مجموعة لصوص، وسجن في مكة نتيجة ذلك، ثم هرب في الصحراء . ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج22، ص286 .

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص160 (أنياب جمع ناب، وهي الناقة المسنة، الكمي: الفرس الأحمر)

* **جعفر بن علبة الحارثي:** من مخضرمي الدولة الأموية والعباسية، شاعر مقل غزل، وفارس، وكان أبوه شاعراً، وسبب لصوصيته أنه كان يحدث نساء، فنهوه أهلها، فلم ينتهِ، فرصدوه في الطريق وقاتلوه، فقتل منهم رجلاً، فاستعانوا عليه بالسلطان، فأغووه، فشرب حتى سكر، فأخذه السلطان فحبسه . ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج13، ص45-46.

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص189.(سيلق ورد في معجم الرائد في مادة سَلَقَ: وهي الناقة السريعة)

يفخر الشاعر في هذا البيت بناقته الصهباء، حيث إنه عندما يباري، ويسابق الفتيان في مطاياهم يختار ناقته الصهباء؛ لأنه واثق من الفوز لشدة سرعتها، فجاء اللون الأحمر صفة للون الناقة، ليكون رمزاً للقوة، والسرعة، والانتصار أيضاً.

وقد استخدم جحدر العكلي* اللون الأحمر في مدح الوالي، حيث شبه الوالي بالأسد الورد فقال:[1]

وأعظَمَ النَّاسِ عَفواً عِندَ مَقْدِرَةٍ ولَيثَ غابٍ على أعدائِهِ ضارِ

وَرْدٌ هِزْبَرٌ يُمِيْتُ القِرنَ صولَتُهُ وضَمَّهُ بيْن أنيابٍ وأَظْفَارِ

نلحظ أن الشاعر هنا قد جاء بخُلق من الأخلاق التي أمرنا بها الدين الإسلامي، وهي العفو عند المقدرة، حيث شبه الشاعر الوالي بالهزبر الورد، فهو أحمر اللون يضرب إلى صفرة حسنة، والأحمر في الحيوان أقوى الأنواع، فجاء الشاعر ليستجدي ويستعطف الوالي؛ ليفرج عنه فمدحه، فقال إنه أعظم الناس عفواً، فهو كالليث الذي اعتاد الضراوة في الصيد، فاعتاد على الفتك والانتصار، فلا يتأثر إذا اعتقه لوجه الله، وعفى عنه، فجاء اللون الأحمر لون الليث ليرمز للقوة والسيادة.

أما عن ظهور اللون الأحمر على بعض أعضاء الجسم نتيجة انفعالات معينة مثل ظهور الأحمر في العين كما نقول: " أظهر له العين الحمراء: إذا بدا الغضب في وجهه، وتطاير الشرر "[2]

فجاء الشاعر المرار الفقعسي ليجسد هذه الحقيقة، فقال:[3]

---

* **جحدر المحرزي العكلي:** شاعر وفاتك شجاع في عصر الحجاج بن يوسف، وقد بلغه جرائره، فأمر بحبسه، ثم هرب، وغويَّ به فوقع في السجن، فأمر الوالي أن يوضع في قفص أسد جائع لثلاثة أيام ومعه سيفه، فقتل جحدر الأسد، ونظم شعراً في ذلك . ينظر الآمدي، الحسن بن بشر: المؤتلف والمختلف، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، 1961م، ص157 .

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص160.

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص214 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص219 .

لَيْثاً هِزَبْراً ذَا سِلاحٍ مُعْتَدِي

يرمي بِطَرْفٍ كالحَرِيْقِ الموقَدِ

فالشـــاعر هنا يمدح نفســـه بعدما تعرض للإهانة، فقال إنه كالليث ذا ســـلاح، وقوة يعتدي على من يشاء، وله نظرةً عند الغضب بطرف عينه، كأنه الحريق الموقد، فاختار الشاعر الليث المفترس بلونه الأحمر؛ ليجسد القوة والسيادة، وجاء بلون الحريق في عينيه رمزاً للغضب، والحقد، والانفعال.

وقال المرار الفقعسي أيضاً:[1]

أَبْصَرْتُ ثُمَّ جامِعاً قَدْ هَرَّا

وَنَثَّرَ الجَعْبَةَ وَازْمَهَرَّا

وَكانَ مِثْلَ النَّارِ أَو أَحَرَّا

إِنّي إِذا طَرْفُ الجَبانِ احْمَرَّا

يصف الشاعر نفسه في غارة من غاراته، حيث أبصر خصمه يرميه بالقوس التي صـــوتت؛ أي علا صـــوتها؛ لحدتها، وقوة انطلاقها، فنثر الشـــاعر الجعبة عنه، وغضب فأصبح كالنار، أو أكثر حرارةً، فإذا ببياض عينيه قد احمر من الغضب، فقد جاء الشاعر هنا باللون الأحمر في وصفه عدة مرات، فجعله لوناً للنار وحرها، ولوناً للعيون الغاضبة، فتشكلت صورة متكاملة من اللون الأحمر؛ لترمز للقوة، والشجاعة، والغطرسة.

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص219. (ازمهر الوجه: كلح وعبس، ورد في المعجم الوسيط في مادة (ازمهر) فلان: اشتد غضبه، ازمهرتا عيناه: احمرت من الغضب، ازمهرت الكواكب: لمعت أو اشتد ضوؤه)

أما الشـــاعر مســـعود بن خرشـــة المازني التميمي* فوصـــف البعير الأحمر، بقوله:[1]

أَيَا جُمْلُ لا تَشْقَي بأَقعَسَ حَنكَلٍ قَليلِ النَّدَى يَسعَى بِكِيْرٍ ومِحْلَبِ

لَهُ أَعْنُزٌ حُوٌّ ثَمانٍ كأنَّما يَراهُنَّ غُرَّ الخيلِ أَوْ هُنَّ أَنْجَبُ

فالشـاعر هنا ينادي ويسـتجدي محبوبته جُمَّل، ويقول لها: أن لا تتزوج وتشـقى مع من هو أقعس نذل لئيم قليل العطاء والكرم، له أعنز حمراء يشـوبها السـواد، ويغتر بها، ويتباهى وكأنها من كرام الخيل، فجاء الشـــاعر هنا بالعنز، وهي قليلة اللحم، وصـغيرة الرأس؛ ليقلل من مكانة من سيتزوج محبوبته، كما نلحظ أن الشاعر قد جسد الخصال الحسنة السائدة في عصره وأضدادها من الخصال المنبوذة المكروهة، وأضفى تلك الخصـال برمزيتها على حيوانات البيئة، حيث إن أفضـلها هي الخيل حمراء اللون، وأسوأها هي العنز الحمراء ذات الرأس الصـغير قليلة اللحم، فجاء اللون في الخيل رمزاً للأصـــالـة، والكرم، والخير، أمـا لونـه في العنز فجـاء رمزاً للغرور الكـاذب، والفقر، والبخل، واللؤم، ولا ننســى أن الشـــاعر قد جاء باللون الأحمر ليكون رمزاً لحرقة قلب العاشق في الهجر، والقطيعة، وفقدان المحبوبة.

---

* **مسـعود بن خرشـة المازني التميمي:** هو أحد بني قوص بن مازن التميمي، شـاعر إسـلامي بدوي، وكان يهوى امرأة من قومه تُدعى جُمل بن شـــراحبيل، فانتجع قومها، ونأوا عن بلادهم، فذكرها مســـعود في شعره، ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج21، ص250 .

(1) ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج2، ص275 (الأقعس: الذي برز صـدره، ودخل ظهرهِ في جسمه / جاء في معجم المعاني الجامع في مادة قَعَسَ القَعْسُ: التُّرابُ المُنْتِنُ، الحنكل: القصـير القامة واللئيم النذل، الحو: ما اختلط حمرته بسواده، وجاء في المعجم الوسيط في مادة الحُوُّ: نَمْلٌ أَحمر، وغر الخيل: أكرم الخيول، العنز: الأنثى من الغنم / وجاء في معجم المعاني الجامع في مادة المعَنَّزُ: الصـغيرُ الرأَسِ المعَنَّزُ :القليلُ لحمِ الوجهِ) .

الخضاب:

إن الزينة بالحناء كانت وستظل طقساً مجتمعياً من طقوس استجلاب البركة، والفرح، والحظ الجيد، فهي سنة من سنن الرسول محمد- صلى الله عليه وسلم- اعتادها فكان يصبغ لحيته الشريفة بالحناء، والمسلمون رجالاً ونساءً يسيرون على نهجه، ويطبقون سنته في الزينة بالحناء، حيث قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: (إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم)[1]، كما يستخدم الحناء في التقاليد الشعبية الموروثة، والخاصة بالأعراس وطقوس الزواج، إذ تستخدمه العرائس تعبيراً عما يغمرهن في لحظة الزواج من فرح، وأمل بحياة سعيدة، وحظ حسن.

ولقد ذُكِر الخضاب بلونه الأحمر في مجال الزينة، فقد تغزل الشعراء الصعاليك بالمرأة مخضبة البنان، حيث وصف عُبيدُ بن أيوب العنبري* محبوبته التي كانت تتخضب بالحناء، بقوله:[2]

تَقُولُ وَقَدْ أَلْمَمْتُ بِالإِنْسِ لَمَّةً مُخَضَّبَةُ الأَطْرَافِ خُرْسُ الخَلاخِلِ

أَهَذا خَلِيْلُ الغُولِ والذِّئْبِ والذِي يَهِيْمُ بِرَبَّاتِ الحِجالِ الهَرَاكِلِ

---

(1) البخاري، محمد بن اسماعيل (أبو عبد الله ت 256هـ): حديث صحيح البخاري، الطبعة الأميرية، تحقيق وإشراف: محمد زهير الناصر، باب الخضاب، ج4، حديث5559 .

* **عبيد بن أيوب العنبري:** هو أبو المطراب، أحد بني العنبر بن عمرو ابن تميم، كان جنى جناية، فطلبه السلطان، وأباح دمه، فهرب في مجاهل الصحراء؛ لشدة الخوف، وكان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسعلاة، ويبايت الذئاب والأفاعي، ويأكل مع الظباء والوحش . ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، ط3، دار المعارف، ج2، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مصر، 1977م، ص668 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، 407.(حجال: ورد في معجم المعاني الجامع:حَجَّلَتِ الْمَرْأَةُ أَصابِعَها: لَوَّنَتْ خِضابَها، هراكل: جمع الهركلة، وهي المرأة الحسنة الجسم، والخلق، والمشية) .

نلحظ هنا أن الحالة الشعورية المسيطرة على الشاعر هي حالة من اليأس، والتحسر، فهو الذي كان يهيم بالنساء، ويعشق النساء الشريفات الحرات، فكانت محبوبته مخضبة البنان، وخرساء الخلاخل، فلا صوت لمشيتها، فهي ممتلئة الساقين، أما الآن فأصبح مشرداً في الصحراء القاحلة يصادق الغيلان والوحوش. وقد استخدم الشاعر اللون الأحمر في الخضاب، فهو قبل أن يصبح الخضاب أحمر، يكون أخضر اللون، فجاء الشاعر به لما طرأ عليه من تغيير لحياته من الرفاهية، والعشق، والحب إلى التشرد وعدم الاستقرار، وأيضاً جاء اللون الأحمر في أطراف محبوبته رمزاً للزينة والجمال، حيث وصف المرار الفقعسي حبيبته مخضبة البنان، بقوله:[1]

بِمَا قَدْ تَسَقَّى مِنْ سُلَافٍ وَضَمَّهُ بَنَانٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ خَضِيبُ

لقد وصف الشاعر أطراف أصابع محبوبته، وهي تسقيه السلاف الذي يميل للحمرة، بأنها مخضبة بالحناء للزينة، فجاء اللون الأحمر رمزاً للزينة، والنشوة، و" للغواية والشهوة "[2]، والمتعة، واللذة.

ولم يغفل الشعراء تشبيه الناقة بالمرأة المخضبة كعوبها بالحناء، فقال المرار بن سعيد الفقعسي:[3]

فَأَلقَى إِلَيْها دِرْهَمَيْنِ وَقَلَّصَتْ بِهِ ضامِرُ الكَشحَينِ لَدنٌ عَسِيبُها

كَمَا لاحَ تِبْرٌ فِي يَدٍ لمَعَتْ بِه كَعَابٌ بَدا إِسْوَارُهَا وخَضِيبُها

يشبه الشاعر ناقته– وهو يضع لها الطعام، فتأتيه ضامرة البطن رشيقة في مشيتها– بالمرأة التي تقبل عليه، وهي ترتدي الذهب، وأطرافها مخضبة بالحناء، لتزيد

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص209(السلاف: أول ما ينزل من الخمر، الهداب: الثوب، الدمقس: الحرير الأبيض) .

عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص212 . (2)

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص210.(الدرهمين: طعام الناقة، التبر: الذهب) .

في زينتها وإغرائها، فاجتماع اللون الأحمر مع الأصـــفر على نحو قليل في اليد أقام صورة متكاملة للمرأة العاشقة التي تجيد فعل الغواية.

الخمر:

لقد وصف الشعراء الخمر ومجالسها، فهي مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية في العصــر الأموي، ودليل واضــح على قلق الإنســان، وحيرته بين حقائق المصــير والتصرف، فيسعى إلى التخفيف من حدة وعيه بعد أن تستحيل عليه الحقيقة، ومن هنا رأى فيها القدماء أنها وسيلة للهرب من وطأة الذات، فكان من هؤلاء الشـعراء الشـاعر عبيد بن أيوب العنبري، حيث وصف الخمر وأثر لذته، فقال:[1]

لَها فِتْيَةٌ ماضونَ حَيثُ رَمَتْ بِهِمْ شَرابُهُمُ غالٍ منَ الجَوفِ أحْمَرُ

إذا اِفتَقَرَتْ راشَتْهُمُ بِغِناهُمُ عَطاءً لَهُمْ حَتَّى صَفا ما يُكَدَّرُ

يصـف الشـاعر أصـدقاءه الصـعاليك وهم في الصـحراء، فشـرابهم من الخمر الأحمر، فإذا تناولوها أنعشــتهم، وحســنت حالهم، فلم يكدر مزاجهم شــيئاً، وقد اختار الشـــاعر الخمر أحمر اللون؛ لأنه أكثر الأنواع تأثيراً، فهو مســـكرٌ جداً، فجاء اللون الأحمر لوناً للخمر رمزاً للذة، والمتعة، وهروباً من الواقع الأليم الذي يعيشـه الصـعاليك في هذه الصحراء.

وجاء الشـاعر جحدر العكلي ليشـبه أصـحاب الإبل الذين سيطر عليهم النعاس بمن شرب الخمر، فقال:[2]

وَرَكبٍ تَعادَوا بِالنُعاسِ كَأَنَّما تَساقَوا عُقاراً خالَطَت كُلَّ مَفصَلِ

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص393.

(2) المرجع نفسه، ص167 (عقار: الخمر / ورد في معجم الرائد في مادة (عقار): صبغ أحمر).

لقد وصف الشاعر أصحاب الإبل الذين سيطر عليهم التعب والنعاس، بالذي تعاطى الخمر المسكر، وسرى في جسمه دبيبها، وسيطر على كل مفصل في جسدهم، فجاء اللون الأحمر في العقار " للتعبير عن المشقة والشدة "[1]

وهذا المرار بن سعيد الفقعسي في حنينه إلى الماضي يتذكر كيف كان يتناول الخمر ليلاً، حيث قال:[2]

فَضَلَتُ عَن عَفرِ الدِّيارِ كَأَنَّما مِن خَمرِ أَذْرَعَةٍ سقيتُ بِأَكؤُسِ

نلحظ أن الشاعر يتحسر على ماضيه في هذا الموضع، حيث كان ينعم بالراحة والترف، فكان يشرب كؤوساً من الخمر، أما الآن فهو مشردٌ، وجاء بلفظة ضللت لترمز للضلال وعدم الهداية، فجاء الشاعر باللون الأحمر لوناً للخمر؛ ليدلل على الراحة والمتعة التي كان يعيشها، ورمزاً للضلال والتشرد الذي وصل إليه حاله.

ونلحظ القتال الكلابي يتفاخر بأنه كثير شرب الخمر، بقوله:[3]

لكان رداءً قليلاً واعتجنت لَهُ صَهْبَاءَ مَقّعَها حاجي و أَسْفَارِي

هنا نلحظ أن الشاعر يتفاخر بكثرة شربه للخمر الأحمر، فهي أنيسته في حِله وترحاله، فجاء الشاعر هنا باللون الأحمر؛ رمزاً للسيادة والقوة.

الدم:

ذكرنا أن اللون الأحمر هو لون الانفعال، والقوة، والخطر، والدم، فقيل: إنه " يثير النظام الفيزيقي نحو الهجوم والغزو، وهو مرتبط بالمزاج القوي، وبالشجاعة،

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص212 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص236 (أذرعه: بلد في أطراف الشام ينسب له الخمر، أكؤس جمع كأس) .

(3) ديوان القتال الكلابي، ص59 (اعتجن الشيء: اعتمد عليه، الصهباء: الخمر / وجاء في لسان العرب مادة (صهب) الصهيب والصهبة لون الحمرة في شعر الرأس واللحية، مقع مقعاً: شرب أشد الشرب).

والثأر "[1]، فالأحمر مرتبط بالدم بشكل مباشر، فهذا المرار بن سعيد الفقعسي يفتخر بأنه زين أعداءه بالدم، فيقول:[2]

تُعادِي نَواحِيَ مِنْ قَبْصِها عَنِ المَرْوِ تَخْضِبُهُ بالدِّماءِ

يفتخر الشاعر هنا بقوته وسطوته في الحرب، حيث إن الخيل تعدو، وتتابع الهروب في جميع النواحي خوفاً من الموت، وعلى الرغم من ذلك فإنه خضّبها ولوّنها بالدماء، وهنا نلحظ تجلي الحياة الجاهلية عند الشاعر، وتأثره بها؛ لأن العرب في العصر الجاهلي كان من المحبب لديهم تخضيب الخيل بالدماء؛ دلالة على القوة، والشجاعة، والحماسة للحرب، فجاء الشاعر بلفظة الخضاب؛ ليفخر بنفسه وقوته، فاللون الأحمر هنا يرمز للقوة، والسيادة، والانتصار.

ولقد فخر القتال الكلابي بنفسه بأنه فارسٌ شجاع لا يهاب الأعداء، بقوله:[3]

ضَارِ بهِ عَلَقُ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ رِئْبَالُ ملكٍ في قِبَاءٍ مُجَسَّدِ

لقد شبه الشاعر نفسه بالأسد الشجاع، يمشي بسكينة ووقار، لا يخيفه شيء، فهو الملطخ بالدماء، فأثر قضائه على فريسته باقٍ على جسده، وقد شبه الشاعر الدماء بالزعفران، فهي باقية على جسده، كما صبغ الثوب بالزعفران، فجاء اللون الأحمر مع ذكر الأسد، وهو أقوى وأشرس الحيوانات؛ ليدلل على الشجاعة، والقوة، والبطش.

أما مالك بن الريب فيفخر بسيفه الصارم من خلال قوله:[4]

فركِبتَ رَدَّعَكَ بَينَ ثنيّي فائرٍ يَعلُو بِه أثرُ الدّماءِ وسائِلِ

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص184 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص203.(القبص: الخيل السمين، تعادي: تتوالى)

(3) ديوان القتال الكلابي: ص44 .

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص171.

قصد الشاعر هنا سيفه الذي يعلو به أثر الدماء، فقال (فائر، وسائل) دلالة على كثرة الدماء في لحظة الغضب، فجاء اللون الأحمر رمزاً للقتل والفتك بالخصم.

وفي فخر الشاعر جعفر بن علبة الحارثي بشجاعته، يقول:[1]

تركْتُ بأَعْلىَ سَحْبَلٍ ومَضِيقِهِ مُرَاقَ دَمٍ لا يَبْرحُ الدَّهْرَ ثَاوِيَا

شَفَيتُ به غَيْظي وجُرّبَ مَوْطِني وكانَ سناءً آخرَ الدَّهْرِ بَاقِيَا

يقصد الشاعر أنه اشتفى من أعدائه يوم معركة سحبل، وترك أثراً عندهم، وهو الدم المراق، فلا يبالي بدنو موته، حيث إن أثر شجاعته وبطشه بهم باقي على طول الدهر. فجاء اللون الأحمر متمثلاً بلون الدم المراق دلالة على كثرة القتلى.

أما عند حجدر العكلي، فجاء الدم ليحمل له الحياة ويجددها، حيث نلحظ ذلك من خلال قوله:[2]

فَفَلَقْتُ هَامَتَهُ فَخَرَّ كَأَنَّهُ أَطُمٌ هَوَى مُتَقَوِّضَ الأَبْرَاجِ

ثُمَّ انْثَنَيْتُ وَفِي قَمِيصِي شَاهِدٌ مِمَّا جَرَى مِنْ شَاخِبِ الأَوْدَاجِ

جاء الشاعر بهذه الأبيات يفخر بشجاعته، وقوته في مبارزة الأسد وقتله، وكأن الليث حصناً منيعاً، حيث سقط من قوة ضربته، وكان الدم على قميص الشاعر شاهداً على قوته التي تفوق بها على الليث، فكان اللون الأحمر أيقوناً للانتصار، فجاء ليرمز للقوة، والحياة، والنصر.

أما عند عبيد بن أيوب العنبري، فعبر عن اللون الأحمر في لفظة القتل، حيث قيل الموت قتلاً لما يخرج منه من دماء، فقال:[3]

إِن يَقتُلوني فَآجالُ الكُماةِ كَما خُبِّرْتُ قَتلٌ وَما بِالقَتلِ مِن عارِ

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص197.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص154.(فلقت الهامة: شققتها، الأطم: ورد في معجم لسان العرب في مادة (أطم) وهو الحصن المتين، الأوداج: عرق العنق يقطع عند الذبح)

(3) المرجع نفسه، ج1، ص396.

لقد فضل الشاعر الموت قتلاً على العيش في الذل والعار، فالقتل لفارس شجاع مثله لا يُعَدُّ وصـمة عار، بل شـرف يتباهى به، فجاء اللون الأحمر ليدلل على رفعة الشأن والسيادة.

أما المرَّار الفقعسي فوصف مناسم البعير التي تنزف دماً، فقال:[1]

إِنْ رَعَفَتْ مَناسِمُها بِنَقْبٍ تَرَكْنَ جَنادِلاً منه يُنُوعا

تتجسد هنا حياة الصعاليك القاسية في الصحراء الحارة الجرداء، فمن شدة الحر وكثرة السـير تنزف البعير الدماء من مناسـمها، وتصـطبغ بلونها الأحمر الصـخور والحجارة، فجاء الأحمر هنا رمزاً للشقاء، والجهد، والتعب.

النار:

لم يقتصـر ظهور النار في اللوحات الشـعرية القديمة على كونها ناراً حقيقية فقط، وإنما كانت– في أحيان كثيرة– معادلاً شـعورياً غنياً بالدلالات، ورمزاً فنيّاً خصـباً بالإيحاءات، فقد ارتبط اللون الأحمر بلون النار، فاسـتخدم " للتعبير عن المشـقة، والشدة، والخطر "[2]، حيث استخدم الشعراء النار بعدة دلالات منها دلالة الكرم، فقال الخطيم المحرزي*:[3]

خَليلي الفَتَى العُكْلِي لَمْ أرَ مِثْلَهُ تَحَلَّبُ كفاهُ النَّدَى شَائِعُ القِدرِ

كَأَنَّ سُهَيلاً نارُهُ حينَ أُوقِدَتْ بِعَلياءَ لا تَخفَى عَلى أَحَدٍ يَسرِي

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي، ج2، ص243 (مناسم: طرف خف البعير، رعف: سال الدم)

(2) عمر، أحمد المختار: اللغة واللون، ص212 .

* **الخطيم المحرزي:** هو الخطيم بن نويرة العكلي من بني عبشـمس، حياته غير معروفة؛ لأنها حياة تشـرد وضـياع يسـودها القلق والبؤس والفقر، وله قصـيدة يسـتعطف الوالي، وغلب على شـعره الحنين إلى وطنه وأحبته. ينظر: طريفي، محمد نبيل: ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص 226 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص242 (الندى: الكرم والجود) .

لقد جاء الشاعر يستعطف قومه ويمدحهم، حيث يشبه كرمهم وسخاءهم بنار كوكب سهيل، التي تضيء عتمة الليل للساري فيه، فجاء اللون الأحمر لوناً للنار مع لفظة الندى، وهي رمز للكرم، والجود، والعطاء.

وقد شبه الشعراء الحرب بالنار الموقدة، فقال الخطيم المحرزي يفخر بنفسه:[1]

وَمُسعِرُ حَربٍ كُنتُ مِمَّن أَشَبَّها إِذا ما الجَبانُ النِكسُ هابَ وَعَرَّدا

يؤكد الخطيم المحرزي أنه هو من يسعر الحرب ويشعلها، فهو القوي الذي لا يهرب من الحرب، فجاءت النار رمزاً للحرب، وما تحتاجه من قوة وشجاعة من فرسانها.

ولقد كانت النار مؤنسة للصعاليك في عتمة الليل، فقال القتال الكلابي:[2]

أَقولُ لِأَصْحَابِي الحَدِيْدِ تَرَوَّحوا إِلى نارِ لَيلى بِالعُقوبَينِ نَصْطَلي

يُضِيءُ سَنَاهَا وَجْهَ لَيْلَى كَأَنَّمَا يُضِيءُ سَنَاهَا وَجْهَ أُدْمَاءَ مُغْزِلِ

يقول الشاعر لأصحابه ارجعوا في العشي؛ لنصطلي النار، فيضيء سناها وجه ليلى، فيجعلها جميلةً مثل الظبية البيضاء، لقد جاء الشاعر بالمرأة هنا مع لفظة النار فكلاهما أنيستان للرجل، فجاء اللون الأحمر رمزاً للألفة والحب.

ولقد تغزل جحدر العكلي في النار، فألبسها ثوباً أرجوانياً، وكأنها أنثى فقال:[3]

أنارٌ أوقِدَتْ لِتُنَوِّراها بدتْ لكما أمِ البَرقُ اليمانِي

وكيفَ ودُونها هضبات سِلعٍ وأعلامُ الأبارق تَعلمانِ

كَأَنَّ الرِّيحَ تَرْفَعُ مِن سَناها بنائِقُ حُلَّةٍ من أَرْجُوانِ

---

(1) المرجع نفسه، ج1، ص238 (المسعر: الفارس الذي يوقد الحرب، النكس: الضعيف، عردا: هرب)

(2) ديوان القتال الكلابي: ص75.(تروحوا: ارجعوا في العشي، العقوبان: مكان، نصطلي: نستدفأ بنارها، أدماء: الظبية بيضاء اللون).

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص173.

نلحظ أن الريح في الصحراء تساعد على اشتعال النار، وارتفاع سناها، فبدت كأنها امرأة تتزين بثوبها الأرجواني، فهو من درجات اللون الأحمر، فالشاعر هنا قد تأثر بعادات الحياة الجاهلية حيث " كانت النساء مشتملات في الثياب الحمراء، مما يعني أنهن من النساء الملوك؛ لأن الحمرة في لون ملابس الأشراف عندهم "[1]، فجاء اللون الأرجواني هنا– وهو من درجات اللون الأحمر – لوناً للنار، ولم يذكر هذا اللفظ في العصر الجاهلي، فكان رمزاً للسيادة والشرف.

ولقد شبه الشاعر عبيد العنبري شدة حرارة الصحراء بالتنور، فقال:[2]

ويومٍ كتَنُّورِ الإماء سَجَرْنَـهُ حَمَلْنَ عليه الجِذْلَ حتى تَأَجَّمَا

رَمَيْت بنفْسي في أَجِيج سَمُومِه وبالعَنْسِ حَتَى جَاشَ مَنْسِمُها دَمَا

وصف الشاعر يومه الحار في الصحراء، بالتنور المشتعل، الذي ألقين الإماء فيه الحطب القاسي كي يزدن في لهيبه، فالشاعر لا يحتمل حره، أما الناقة فأصبحت تنزف الدماء من مناسمها بفعل شدة الحرارة، فجاء الشاعر بالتنور المتأجم، والسموم، والدماء في منسم ناقته؛ دلالة على اللون الأحمر الذي جاء ليدلل على الجهد، والمشقة، والتعب الشديد في هذه الصحراء شديدة الحرارة.

---

(1) البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، ص 114 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص410. (سجره: حماه وأشعله، تأجم: اشتد حره، العنس: ورد في لسان العرب لعَنْسُ العُقابُ والعَنْسُ الناقةُ القويةُ: شُبِّهَتْ بالصخرة لصلابتِها. والجمع: عِناسٌ، وعُنُوسٌ)

ولطالما كان اللون الأحمر رمزاً " لجهنم في كثير من الديانات، حيث توصف جهنم بأنها حمراء"[1]، فذكرها شعراء العصر الإسلامي في أشعارهم، وكان لها عدة دلالات، فقال أيوب العنبري:[2]

ويا رَبِّ إلاَّ تَعْفُ عَنّي تُلْقِنِي مِن النَّارِ في بُعْكُوكِها المُتَدانِي

من المتعارف عليه أن اللون الأحمر يعني دلالة القوة، والسيادة، لكن الشاعر استطاع من خلال التركيب اللغوي، وحالة اليأس، والخوف المسيطرة عليه أن يجعل هذا اللون بدلالات مختلفة، وهي الضعف، والخوف من غضب الله، وليس معنى ذلك أن هذه الدلالة دلالة قاطعة؛ لأنها حالة شعورية خاصة، حيث جاء اللون الأحمر؛ ليرمز لنار جهنم، وربما أراد الشاعر به التقرب إلى الله ليغفر له ذنوبه.

ذكرنا أن الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي كانت جل حياتهم في الصحراء، فهم يعيشون على الكر والفر، على النقيض من حال الصعاليك في العصر الإسلامي، فكان منهم من يتعرض للسجن ويموت وهو سجين، فجاء الشاعر جحدر العكلي ليصف السجن كأنه سقر، حيث نلحظ ذلك من خلال قوله:[3]

يا رب أبغض بَيْتِ أَنْتَ خَالِقُهُ بَيْتُ بَكُوفَانٍ منه أُشتعِلَتْ سَقَرُ

يصف الشاعر سجن كوفان بأنه أبغض البيوت، فهو شديد الحرارة؛ فكأنما أشعلت سقر منه، كما نلحظ تأثر الشاعر بالدين الإسلامي، حيث ذكر سقر وهي اسم من أسماء جهنم، ذكرها الله في كتابه الكريم، فجاء اللون الأحمر لوناً للنار، وحر لهيبها الشديد؛ ليرمز للعذاب والضيق الذي يسيطر على الشاعر في سجنه.

الدمار والخراب:

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص226 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص413 (بعكوك: ورد في معجم الرائد في مادة (بعكوك): شدة الحر و كثرة الماشية وآثارهم حيث نزلوا) .

(3) المرجع نفسه، ج1، ص157.

لقد جاءت دلالة اللون الأحمر في الريح للخراب والدمار أيضـــاً، حيث " جاءت الحمرة وصفاً للريح، وإيحاء بما تحمل معها من دمار، وخراب، وعذاب "[1].

فوصف القتّال الكلابي الريح الحمراء بقوله:[2]

ولا مَوْقِفي بالعَرْجِ حتى أَجنَّها عَليَّ من العَرْجَينِ أسْتِرَةٌ حُمْرُ

تنيرُ وُتُسْدي الريحُ في عَرَصاتِها كما نَمْنَمَ القِرْطَاسَ بالقَلَمِ الحِبْرُ

يصف الشاعر الريح الحمراء القوية التي ضربت الصحراء بالأسترة الحمراء، فمن شـــدتها وقوتها نســـجت على البقعة الواســـعة كأنها قرطاس حبر يرســـم باللون الأحمر، فمن المتعارف عليه أن الرياح الحمراء تأتي للدمار والخراب، فهي رياح شؤم على الكائنات الحية جمعاء، وذكر هنا الشـــاعر الريح وليس الرياح، فالريح في القرآن الكريم جاءت للعذاب حيث قال تعالى: (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ)[3] ، فجاء اللون الأحمر لوناً للريح ، حيث ترمز للشؤم، والخراب، والدمار .

وبهذا يتبين أن اللون الأحمر عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي، قد كثر اســـتخدامه، فكان لوناً للدم، والنار، والخمر، وجاء في الإنســـان رمزاً للحياء، والخجل، ودالاً على الشـــهوة، واللذة، والجمال، والزينة. أما في الحيوان، فجاء رمزاً لقوته، وصلابته، وسرعته، وجاء لوناً للعين عند الغضب، وجاء رمزاً للشؤم، والخراب، والدمار عندما جاء مع الريح، ولم يرد اللون الأحمر في آلات الحرب في هذا العصـر كما ذكر في العصر الجاهلي، لكنه كان أكثر وروداً في أشعار الصعاليك الإسلاميين، حيث ذكر ما يقارب من ثمانٍ وتسعين مرة، أكثرها عند الشاعر القتال الكلابي، حيث ورد عنده عشـــرين مرة، فذكره في جمال وجهه، ولوناً للشـــفاه وللخمر، ولوناً للحيوان،

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 228 .

(2) ديوان القتال الكلابي، ص49 .

(3) سورة الحاقة، آية 6 .

والدماء، والنار، فنلحظ تنوع استخدام هذا اللون عند القتال الكلابي؛ لكثرة حبه للقتل والفتك، كيف لا وهو " ما ارتبط به لقب القتال لتمرده وفتكه "[1]. يقول جواد العلي عن علاقة العرب بالدم والنار: " إن العرب الجاهليين استخدموا الدم– أيضاً– للحلف، فكانوا يغمسون أيديهم بالدم عند برم العهد على المناصرة في القتال، وقد استعاضوا عن الدم–أحياناً– بالنار، فكانوا يقسمون عندها؛ لتأكيد الحلف، وهذا لقداستها في المعتقدات الوثنية "[2]. أما عن ارتباط الأحمر بالنار، فهناك إشارات كثيرة منها أن " عبدة الشمس في الجزيرة اتخذوا لها صنماً بيده جوهرة بلون النار، وله بيت باسمه، فلون النار– وهو أقرب الألوان للأحمر– يدل على الشمس عندهم، ومن هنا أصبح اللون مقدساً لدلالته على الشمس من جهة، وعلى النار من جهة ثانية "[3].

أما المرار بن سعيد الفقعسي، فقد ذُكِر الأحمر في شعره بلفظه المباشر أو غير المباشر ثماني عشرةَ مرة، فقد جاء لوناً للزينة في الحناء، ولحياء المرأة وخجلها، وجاء لوناً للعين كناية عن الغضب، وجاء في الخمر المسكر لذةً لشاربها، وجاء لوناً للدم رمزاً للقتل، والموت، والتعب الشديد، وفي النار كناية عن حر الصحراء والسجن، وجاء أيضاً في النار كناية عن الكرم.

أما عند الشاعر مالك بن الريب، فقد ورد اللون الأحمر عنده سبع عشرة مرة، حيث كان لوناً للفرس الكميت، وللنار، والدماء، وذلك يدلل على مدى حقد الشاعر على حياته، وحبه في القتل والموت للانتقام ممن حوله.

---

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج24، ص169 .

(2) المصدر السابق، ج24، ص 73– 74.

(3) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص159.

أما عند أيوب العنبري، فورد اللون الأحمر ست عشرةَ مرة، وكان الأغلب فيها للدم والنار، حيث يدل على مدى قسوته بسبب حياته التي " عاشها بين الغول، والذئاب، والأفاعي في الصحراء، فاصطحب الظباء، والوحوش، وتعايش معها "[1].

أما عند الشاعر جحدر المحرزي العكلي، فقد ورد اللون الأحمر خمس عشرةً مرة، فكان وصفاً للدم، والنار، والسجن الذي شبهه بسقر.

أما عند الشاعر الخطيم المحرزي، فقد ورد اللون الأحمر عنده أربع مرات، مرة في لفظة الدم، وثلاث مرات كانت وصفاً للنار، كذلك عند الشاعر جعفر بن علبة الحارثي، حيث ورد عنده اللون الأحمر أربع مرات، حيث جاء وصفاً للناقة الصهباء، ووصفاً للدم المراق؛ ليدلل على شجاعته وقوته.

ولقد ورد اللون الأحمر عند الشاعر الأحيمر السعدي مرتين، وكانت دلالته على شدة حر الشمس وحمرتها، و ورد عند الشاعر السمهري العكلي مرةً واحدة، وكانت دلالة على الدم والأخذ بالثأر، ولم يذكر اللون الأحمر عند الشعراء طمهان الكلابي، وحريث الطائي، وقران بن عطارد، ولعل السبب في ذلك حلمهم بتغيير واقعهم الأليم الذي يحوي القتل والنهب.

اللون الأزرق:

هو أعمق الألوان، يدخله النظر دون أي عوائق، صافٍ بارد، وله عمق، ووقار، وجاذبية، واحتفالية فوق دنيوية، فهو لون الماء، والسماء، والأسنة الزرقاء، " وعلى الرغم من أنه لم يذكر كثيراً في تعبيرات العرب "[2]، فإنه جاء بدلالات متنوعة، فجاء للتعبير عن آلات الحرب، وللدلالة على صفاء الماء ونقائه، ودلالة على المرض، وقد

(1) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، ج2، ص668

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص78 .

ارتبط بالغول، والجن، والقوى السلبية في الأرض، ولقد ورد اللون الأزرق، أو الكلمات الدالة عليه في نصوص الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي من خلال ما يلي:-

آلات الحرب:

لقد أطلق حريث بن عناب الطائي* لفظة زرق على النصال، فقال:[1]

وَزُرْقٍ كَسَتْها رِيْشَها مَضْرَحِيَّةٌ أَثِيْثٌ خَوَافِي رِيشِها وَقَوَادِمُهْ

فشبه الشاعر السهام القوية الشديدة بالصقور ذوات الجناح الطويل، حيث اختار الشاعر هذا النوع من الصقور؛ لأنه صلب المنقار، ومخالبه شديدة السواد قاطعة، تلسع لسع العقارب، وجاء الشاعر بها زرقاء؛ لشدة صفائها وحدتها، فرمز اللون مع تشبيهه لها بالصقر تدل على القوة والغدر، فهي تصل للخصوم على حين غرة فتقضي عليهم.

---

* **حريث بن عناب الطائي:** شاعر أموي وصعلوك، أحب امرأة اسمها حبى، فخطبها، حيث وعده أهلها بالزواج، فتقدم لها رجل من بني ثعل، فمالت إليه، وتركت حريثاً، فطفق يهجو قومها وقوم زوجها، وقد وقع فريسة للفقر، فاتهم بسرقة بعير من رجل وباعه فحبس، أيضاً سرق إبل لبني أسد، فطلبه الوالي، فهرب من المدينة إلى جبلين في بلاد طيء. ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج14، ص382-384 .

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص224.(الزرق: النصال، المضرحي: الصقر الذي طال جناحه، الأثيث: الكبير، خوافي: ريش في جناح الطائر يخفى إذا ضم الطائر جناحه / جاء في المعجم الوسيط (الخيفة) السكين أو عرين الأسد)

الطبيعة:

لقد جاء اللون الأزرق لوناً للسماء عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي، فقد وصف الطمحان الكلابي* سهمه، وهو مرتفع في السماء، فقال:[1]

صَعْلاً تَذَكَّر بِالسَّفَاءِ وعَرْدَةٍ غَلَسَ الظَّلامِ فَآبهُنَّ رِئَالا

يا ويحَ ما يفري كأنَّ هويَّهُ مريخُ أعسَرَ أفرطَ الإرسَالا

حُبَّ النجاءِ بمنكبٍ وسما بآخر في السماء فطالا من َ أَلَحَّ

لقد أبدع الشاعر في وصفه لسهمه، فهو كالظليم في سرعته، فلقد أحب سهمه المكان المرتفع، فسما وارتفع في السماء، فجاء اللون الأزرق لوناً للسماء؛ ليدلل على العلو والسمو، فهو " يعكس الثقة والتميز "[2].

ولقد شبه المرار بن سعيد الفقعسي الفلاة الخالية التي لا يستدل فيها بالسماء الواسعة المرتفعة فقال:[3]

إذَا نَظَر القَوْمُ مَا مِيْلُها رَأَى القَوْمُ دَوّيّةً كَالسَّمَاءِ

يُسِرُّ الدَّلِيْلُ بهَا خِيْفَةً وَمَا بِكآبَتِهِ مِنْ خَفَاءِ

لقد وصف الشاعر الفلاة الواسعة الأطراف كأنها السماء، فلم يستطع المسافر أن يهتدي بها، فتُدخِل الكآبة والحزن إلى قلب المسافر، فيصبح خائفاً محزوناً، وعلى الرغم من أن السماء تعطي الهدوء والسكينة، فإن الشاعر هنا أتى بها مع التيه،

---

* **طمهان بن عمرو الكلابي:** شاعر وصعلوك أموي، مات في خلافة عبد الملك بن مروان، أن الحرورية أسَرَته، فهرب راكباً ناقة من أحسن إبلهم، فاتبعوه، وأسروه، وقطعوا يده، يتمتع بشخصية قوية قاسية، وعندما يهدد ينفذ تهديده حتى من أقرب الناس إليه . ينظر: البكري، أبو عبيد (عبد الله بن عبد العزيز): سمط اللآلى في شرح أمالي القالي وذيل اللآلي، تحقيق: عبد العزيز الميمني، دار الحديث، ط2، بيروت، 1984م، ص473 .

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص345.

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص228

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص202 .

والحزن، والكآبة؛ ليجسد الشاعر الحالة المسيطرة عليه، فجاء اللون الأزرق لوناً للسماء؛ ليدلل على الحالة الشعورية التي يعيشها الشاعر في هذه الصحراء، فرمز للحزن والكآبة، والخوف من المستقبل.

ولقد ذكر الشعراء البحر كثيراً في أشعارهم، وكان دليلاً على اللون الأزرق الذي يعطي جمالاً ورونقاً للطبيعة، حيث إن الأحيمر السعدي* فضل الماء الذي يقابل الحمى (المحمية الطبيعية) على غيره، فقال:(1)

أَلا حَبَّذا المَاءُ الَّذي قابَلَ الحِمَى وَمُرْتَبَعٌ مِنْ أَهلِنا وَمَصِيْرُ

فالشاعر هنا يحبذ ماء الحمى، فهو صافي اللون، لم تصله يد لتعكره، فيتخذ الماء اللون الأزرق لشدة صفائه، فجاء اللون الأزرق لوناً للماء الصافي ليرمز للهدوء، والصفاء، والنقاء.

ويقول الأحيمر أيضاً في وصف بحور بلاده:(2)

سُقيتُنَّ مَا دَامَت بِكَرمانَ نَخلَةٌ عَوامِرَ تَجْرِي بَينَهنَّ بُحُورُ

يدعو الشاعر لهذه البلاد بالسقيا والخير الوفير ما دام بها نخيل يطرح ثمره، وبحورٌ تجري بينها، فجاء الشاعر بالبحور بصيغة الجمع، فضلاً عن لونها الأزرق، ليكون رمزاً للخير والكرم.

أما مالك بن الريب، فقد شبه الصحاري بالبحر الذي يتيه فيه الإنسان، فقال:(3)

---

* **الأحيمر السعدي**: هو الأحيمر بن فلان بن يزيد السعدي، كان من شعراء الدولتين، و لصاً خارجاً، اقترف كثيراً من الجنايات بسبب فقره، فخلعه قومه، و خاف من السلطان، فخرج في الفلوات و قفار الأرض بعد عيشته في مدينة البصرة . ينظر: ابن قتيبة، محمد بن مسلم: الشعر والشعراء، ج2، ص671 .

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص59.

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص60.

(3) المرجع نفسه، ج2، ص160.(الليحان: جانبا الفم: عامت: ورد في لسان العرب مادة (عوم: عام في البحر، الخطار: السباق، تفصم: تكسر، السفار: حبل يشد على خطم البعير المراح: المرح والنشاط، الضغن: الحقد والعداوة والبغضاء) .

وإنْ ضَرَبَتْ بِلَحْيَيْها وعَامَتْ تَفَصَّمَ عَنْهما حَلَقُ السِّفارِ

مِراحاً غَيْرَ ما ضِغْنٍ وَلَكِنْ لَجاجاً حِيْنَ تَشْتَبِهُ الصَحَارِي

أراد مالك هنا أنه إذا أسرع في الصحاري، ظن إبله سفينة تعوم في لجاج البحر، فتكسر جبل السفار من شدة سرعتها ونشاطها، فجاءت هنا لفظة اللجاج (البحر)، وفي (عامت) دلالة على اللون الأزرق الذي جاء أيقوناً للنشاط والسرعة، وهذا ما يجسد حياة الصعاليك التي تحتم عليهم السرعة الشديدة في العدو، ليسبق خصمه، أو للهروب من السلطة

وهذا جحدر العكلي يتذكر ماضيه وهو حرٌ طليق يجوب الصحاري التي شبهها بالبحر حيث نلحظ ذلك من خلال قوله:[1]

فَصِرْتُ فِي السِّجْنِ وَالحُرَّاسُ تَحْرُسُنِي بَعْدَ التَّلَصُّصِ فِي بَرٍّ وَأَمْصَارِ

وسَيْرِ حَرْفٍ تجُوبُ اللَّيلَ جَافِلَةً عَوْمَ السَّفِيْنَةِ في ذي اللُّجَّةِ الجارِي

يسترجع الشاعر ماضيه وذكرياته، فبعد أن كان يجوب جميع الأقطار، ويتلصص في البر مثل الناقة الصلبة الشديدة، التي كانت كالسفينة العائمة في البحر المتدفق، أصبح اليوم في السجن لا حول له ولا قوة، فجاء البحر هنا بلونه الأزرق ليجسد حجم الهم، والكآبة، واليأس الذي يسيطر على الشاعر في سجنه الذي لا أمل من الخروج منه ولا مفر.

وقال مسعود بن خرشة المازني التميمي يصف القطيعة بينه وبين المحبوبة: [2]

كِلانا يَرَى الجوزاءَ يا جُمْلُ إذْ بَدَتْ ونَجْمَ الثُّريا والمَزارُ بَعيدُ

فكيفَ بكُمْ يا جُمْلُ أَهْلاً ودونَكُمْ بُحُورٌ يُقَمِّصْنَ السَّفينَ وَبِيْدُ

إذا قُلتُ: قَدْ حانَ القُفُولُ يَصُدُّنا سُليمانُ عنْ أهوائِنا وسَعِيدُ

---

(1) المرجع نفسه، ج1، ص159.(ذي اللجة: البحر) .

(2) المرجع نفسه، ج2، ص276 .

نلحظ هنا أن الشاعر أضفى مشاعره على مكونات البيئة المحيطة به، فهو من العراق صـــاحبة الأنهار، وجاء بالبحور بصـــيغة الجمع؛ ليدلل على البعد والقطيعة، وليجسـد حالة الغضـب والكآبة التي تسـيطر عليه في بعده عن المحبوبة، وليبث هذا الحزن والغضـب في نفس المتلقي، لكن نجد الشـاعر قد جاء بنجم الجوزاء اللامع في الســـماء، ولفظة (كلانا يرى) حيث أنه ومحبوبته رأيا نجم الجوزاء ونجم الثريا فكأنما رأى كل منهما الآخر، فكأنه يقول إن كانت زرقة البحر تفرق بيننا فزرقة الســـماء تجمعنا؛ وبهذا يجدد الأمل والتفاؤل للحصـول على العفو عنه، وعودة محبوبته له. أما اللون الأزرق في لفظة البحور فجاء رمزاً للغضـــب، والحزن، والقطيعة، والكآبة التي تسيطر على الشاعر.

أما القتال الكلابي فقال في مدح آبائه وأجداده:[1]

بَحْرَاً تُنَازِعُهُ البُحُورُ تُمِدُّه إن الْبُحُورَ تَرَى لهُنَّ شَرَائِعَا

أراد الشـــاعر أن يصـــف أبيه بأنه بحرٌ من بحورٍ ســـبقته، أي أنه ورث الكرم والعطاء عن أبيه وأجداده، فهم كالبحور لهم روافد ممتدة من الماء، فجاء اللون الأزرق في تكرار كلمة بحر بصـيغة المفرد، وتكرارها مرتين بصـيغة الجمع؛ ليدلل على الكرم، فالأزرق أيقون في البحر، وهو أيقون العطاء والكرم بلا انتظار مقابل.

الحيوان:

أما عن ورود اللون الأزرق في الحيوان فجاء لوناً للأنياب، حيث قيل: " نابه أزرق: ماكر بارع"[2]، حيث إن جحدر العكلي وصـف نيوب الليث عندما كشـر عنها، فقال:[3]

---

(1) ديوان القتال الكلابي، ص69 .

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص78 .

(3) ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج1، ص153(شـثن: خشـن، البراثن: ظفر السـبع، المعابل: جمع معبلة نصل طويل عريض، الشذاة: الطرف) .

شَثْنٌ براثِنُهُ كَأَنَّ نُيوبَهُ زُرقُ المَعابِلِ أَو شَباةُ زِجاجِ

يصـف الشـاعر براثن الليث بالخشـونة، وأنيابه حادة الطرف كالنصـال، فجاء اللون الأزرق لوناً للأنياب، ورمزاً للمكر، والخداع، والغدر، والأذى.

الإنسان:

ولقد جاء اللون الأزرق في الموروث الجاهلي في عين الإنسـان دلالة على الشؤم والمكر، حيث قالوا " عدو أزرق، نسبة إلى زرقة عين الروم وتشبيهاً بهم "[1] ، فاستخدم المرار بن سعيد الفقعسي هذا التشبيه، من خلال قوله:[2]

بِنَظرَةِ أَزْرَقِ العَيْنَيْنِ بَازٍ عَلَى عَلْياءَ يَطَّرِدُ اليُفُوعا

إِلَيْكُمْ يا لِئَامَ النَّاسِ إِنّي نُشِعْتُ العِزَّ في أَنْفِي نُشُوعا

لقد جعل الشـاعر اللون الأزرق صـفة لعيون خصـمه، وأكد هذه الصـفة بلفظة اللئام في البيت الثاني أيضـاً، ومن المتعارف عليه أن اللون الأزرق في العينين يرمز للجمال في وقتنا الحاضـر، لكن الشـاعر اسـتطاع من خلال التركيب اللغوي، والحالة القصدية التي أرادها أن يجعل هذا اللون أيقوناً للمكر، والغدر، والحقد.

الجن:

لقد دل اللون الأزرق في التراث على الجن والغول، و" لقد جاء اللون الأزرق بمدلول اجتماعي في كتاب ألف ليلة وليلة مشيراً إلى الجن "[3]، وقد ذكر الشاعر عبيد العنبري الغول في الصحراء ليلاً، فقال:[4]

وسَاخِرةٍ مِنّي وَلَوْ أَنَّ عَيْنَها رَأَت مَا أُلاقِيهِ مِنَ الهَولِ جُنَّتِ

---

(1) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: فقه اللغة وسر العربية، ص107 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص241.

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص218 .

(4) ديون اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص387 .

أَزَلُّ وسِعْلاةٌ وغُوْلٌ بِقَفْرَةٍ إذا اللَّيلُ وارَى الجِنَّ فِيْه أَرَنَّتِ

أي أنه إذا أظلم الليل يرى الشـــاعر الجن والغول في هذه الصـــحراء القاحلة الواسعة الجرداء، وسعلاة ترن بصوتها العالي المفزع، فجاء الجن والغول هنا ليجسد اللون الأزرق القاتم المائل للسواد الذي يرمز للخوف والضيق من هذه الحياة.

نلحظ مما سبق أن ورود اللون الأزرق عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي كان قليلاً، حيث جاء صفة لآلات الحرب، ووصفاً للسماء الزرقاء، وجاء لوناً للبحر، والماء الصافي، وجاء لوناً لأنياب الليث كناية عن الغدر، وجاء لوناً للعين رمزاً للخبث، والمكر، واللؤم، وجاء لوناً للسعلاة، والغول في الصحراء. ولم يرد اللون الأزرق عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي إلا سبع عشرة مرة، حيث ورد عند الأحيمر السعدي أربع مرات وصفاً لبعض مظاهر الطبيعة، كالبحور الجارية، والغدير، والماء الصافي، ليدلل على ثقته بنفسه وبقوته. أما عند الشاعر جحدر العكلي، فقد ورد ثلاث مرات، صفة لنيوب الليث البراقة بالغدر والمكر، ومرة صفه للسماء بلفظة (جوزاء)، ومرة للبحر الذي وصفه باللجة الجاري رمزاً للحرية. أما عند القتال الكلابي فورد ثلاث مرات في لفظة البحر والبحور، وكانت كناية عن الكرم، ورمزاً للعطاء.

أما عند الشاعر المرار الفقعسي، فقد ورد اللون الأزرق مرتين: مرةً في وصف السماء التي لا يستدل بها، وكانت رمزاً للضياع والتيه، أما اللفظة الأخرى فكان الأزرق صفة للعين، كناية عن الغدر والمكر. أما عند الشاعر مالك بن الريب، فقد ورد اللون الأزرق مرة واحدة في تشبيه الصحراء في البحر اللجاج، وجاء اللون عند الطمهان الكلابي مرة واحدة، في لفظة السماء فكان رمزاً للارتفاع والشموخ ، وعند الشاعر جعفر بن علبة الحارثي، ورد مرة واحدة أيضاً، فكان رمزاً للماء، دلالة على الصفاء والنقاء، وورد عند حريث بن عناب الطائي مرة واحدة في لفظة زرق، فكانت كناية عن النصال شديدة الصفاء، وكان ورود اللون الأزرق عند الشاعر مسعود بن

خرشـــة التميمي مرة واحدة في لفظة البحور، ليكون رمزاً لبعد المحبوبة والغضـــب، والحقد. أما عند الشـاعر السـمهري العكلي، والخطيم المحرزي، وقران بن عطارد، فلم يرد عندهم اللون الأزرق؛ ربما لبعد حياتهم عن الراحة والهدوء، فجل حياتهم كانت في القتال والسجن.

1- اللون الأصفر:

يمثل الأصـفر درجات مختلفة؛ فمنه الأصـفر الفاقع الذي يسـرُّ الناظرين، ومنه الباهت الذي يدل على الجفاف، والمرض، والقحط، ومن الأصـفر ما يدل على الخيانة واللؤم، ومنه الدال على آلات الحرب أيضاً، ولقد نوَّع الشعراء الصعاليك في ذكر اللون الأصفر ودلالاته فجاء في:

آلات الحرب:

وصف الشاعر عبيد العنبري سهمه القوية، فقال:[1]

أَلَمْ تَرَنِي حَالَفْتُ صَفْرَاءَ نَبْعَة تَرِنُّ إِذَا مَا رُعْتُهَا وَتُزَمْجِرُ

لقد شـبه الشـاعر القوس القوية التي ترن عند الرمي بها، كالأسـد الذي يزمجر على فريسته، فجاء اللون الأصفر اسماً للقوس، وأيقوناً للنشاط والقوة.

وقال عبيد العنبري أيضاً في القوس: [2]

لَهَا رَبَذِيٌّ لَمْ تُقَلَّلْ مَعابِلُه نَبْعَةً أَلم تَرَني حالفتُ صَفْراء

يقصد الشاعر أنه قد صاحب القوس التي صنعت من شجر النبع، وهو شجر قوي صـلب ينمو فوق الجبل، ولهذه القوس وترٌ قوي شـديد الحركة عند رمي السـهام، كما نلحظ أن الشاعر سار على منوال الشعراء في العصر الجاهلي، حيث إنه اختار

---

(1) ديون اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص404.

(2) ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج1، ص404 (ربذي: الوتر شـديد الحركة / جاء في لسان العرب في مادة (ربذ) والرَّبَذُ :خفة اليد والرجل في العمل والمشي، معابل: السهام)

شـجر النبع؛ لصـناعة قوسـه لتكون الأقوى، فجاء اللون الأصـفر اسـماً للقوس؛ ليدلل على القوة والصلابة.

الطبيعة:

الشـمس: لقد ذُكِر اللون الأصـفر عند الشـعراء متمثلاً في لفظة الشـمس، فالأصفر هنا " مركز الكون كما تقيم الشمس في مركز السماء "[1]، وقد ذكر الشعراء الشمس دلالة على الإشراق والنشاط، فقال المرار الفقعسي:[2]

فَأَقْبَلَها الشَّمسَ راعٍ لَها رَهِيْنٌ لَها بِجَفاءِ العَشاءِ

يصف الشاعر النوق وهي تسير في الشمس وقت الظهيرة، فلا تتأثر بِحَرِّها، بل زادتها نشـاطاً وقوة في السـير، فجاء اللون الأصـفر لوناً للشـمس؛ ليدلل على النشـاط والقوة.

وقال الطمهان الكلابي أيضاً يصف شمس الضحى:[3]

قَطَعْتُ وَحِرْباءُ الضُّحَى مُتَشَمِّسٌ وَلِلْبُرْقِ يَرْمَحْنَ المِتَانَ نَقِيْقُ

هنا نلحظ أن الشـاعر قد اختار الحرباء (لأنها تتلون حسـب المكان)، وهي تستقبل الشمس برأسها، وتقفز وتجري تحت أشعة الشمس الساطعة، لتكون دلالة على تقلب حال الصعاليك في الصحراء، وعدم استقرارهم، وقد اختار –أيضاً– الشمس وقت الضحى؛ لأنه وقت النشاط، والجد، والعمل، فجاء اللون الأصفر هنا مع حركة الحرباء المستمرة، رمزاً لنشاط الصعاليك المستمر في الصحراء.

---

(1)عبيد، كلود: الألوان، ص111 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص205.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص341.(البرق: الجنادب، نقيق: صرير).

أيضــاً ذكر مالك بن الريب الشــمس كمصــدر للنشــاط، والحيوية، والحياة على سطح الأرض، فقال:[1]

وصَوْتُ حَمامَةٍ بِجِبالِ كِسّ دَعَتْ مَعْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ الحَماما

أراد الشـاعر هنا أن الحمامة دعت بقية الحمام مع شـروق الشـمس، لتبدأ يومها في تعاون ونشاط، فالأصفر هنا في الشمس المشرقة " مرتبط بالتحفز والتهيؤ للنشاط "[2]، فجاء الأصفر مع طلوع الشمس أيقوناً للنشاط، والتجدد، والاستمرار.

أما المرار الفقعسي، فقد شبه الصبر على الظلم بالمسافة البعيدة عن الشمس، فقال:[3]

ولَلْحِلْمُ خَيْرٌ فَاعْلَمَنَّ مَغَبَّةً مِنَ الْجَهْلِ إِلَّا أَن تَشَمَّسَ مِنْ ظُلمِ

أي أن الصـــبر على الظلم مســـتحيل، ولا يحتمل، فكيف لنا الاســـتغناء عن الشـمس، فهي الحياة بأكملها، فجاء اللون الأصـفر هنا؛ ليجسـد الحياة والعيش بكرامة بعيداً عن الظلم، فجاء الأصفر رمزاً للعدل والصفاء.

الصحراء:

لقد لون الجغرافيون الصـحراء في خرائط الكرة الأرضـية باللون الأصـفر؛ لما بها من قحط، وجدب، وشـــح النبات والماء، مما يجعلها جافة قاحلة، ولقد ذكر الشـــعراء الصحراء بعدة ألفاظ دالة ومسميات، حيث قال مالك بن الريب:[4]

فإنّي سَوفَ يَكْفِيْنِيْكَ عَزْمِي ونَصُّ العِيْسَ بالبَلَدِ القِفَارِ

---

(1) ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج2، ص173.(كس: بكسـر الكاف مدينة تقارب سمرقند)

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 229 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص265.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص159.

القفار هنا هي البلد التي لا حياة بها، ولا نبات، ولا ماء، يقول الشاعر إنه يكفيه رب العالمين، وعزيمته القوية، وإبله الكرام في هذه الصحراء الجرداء، فجاء هنا اللون الأصفر غير مباشر، دلالة على القحط والجدب، وأيضاً جاء رمزاً للقوة، والتحمل، والصبر.

ووصف الأحيمر السعدي نفسه في ظلمة الليالي، فقال:[1]

لَوْ تَرانـي بِذي المَجازَةِ فَرْدا وذِراع ابنـةِ الفَلاةِ وِسادِي

أي أن الشاعر يرتكز في هذه الصحراء على ناقته، فهي بنت الفلاة، فجاء اللون الأصفر لون الصحراء مع الحالة المسيطرة على الشاعر رمزاً للوحدة والحزن.

ويصف الأحمير نفسه وهو يتيه في الصحاري فيستصرخ الشاعر، ويطلب النصرة هرباً من الموت والهلاك في الصحراء الجرداء، وحر الشمس الذي يشتد فوق الصخور، فقال:[2]

وتَيْهاءَ يَزْوَرُّ القَطا عَنْ فَلاتِها إذا عَسْبَلَتْ فوقَ المِتانِ حَرُورُ

فجاءت الصحراء بلفظة (تيهاء) رمزاً للتيه، والبعد، والوحدة التي تسيطر على أحاسيس الشاعر في هذه الصحراء.

وقال الخطيم أيضاً: [3]

نَزَلْنا بِمَخْشيّ الرَّدَى آجن الصَّرَى تناذَرَهُ الرُّكْبانُ جَدبِ المُعلّلِ

أي أنه نزل بأرض جدب قحط جرداء لا تعطي شيئاً من خيرها، فلا يوجد بها سوى الغربان التي تشرب الماء الآجن متغير اللون، فقد جسد الشاعر صورة متكاملة لحالة الحرمان، والفقر، والقحط الذي يعيشها في الصحراء، فجاء اللون الأصفر في لفظة الجدب ليرمز لحالة اليأس والتشاؤم التي تسيطر على الشاعر.

---

(1) المرجع نفسه، ج1، ص56.

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص60.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص249.

الحيوان:

لقد ذكر المرار الفقعسي اللون الأصفر في لبن الإبل، فقال:[1]

لَها نَسَقاتٌ كَالقَطا نَشَطَتْ بِهِ مِنَ الدَّوِّ صَفْراءُ اللَّبانِ طَمُومُ

أي أنه يأخذ اللبن أصفر اللون من ناقته، دليلاً على غزارته، وكثرة الدسم فيه، فجاء اللون الأصفر هنا بدلالة الخير الوفير والكرم.

أما الشاعر جعفر بن علبة الحارثي، فقد وصف لعاب ناقته بصفار البيض، فقال:[2]

إذا كَلَحَتْ عَنْ نابِها مَجَّ شِدْقُها لُغاماً كَمُحِّ البَيْضَةِ المُتَرَقْرِقِ

بَرَى لحمَ دفَّيْهِ وأَدْمَى أَظَلَّهُ اجْـ تِيَابِي الفيافي سَمْلَقاً بعدَ سَمْلَقِ

أي أن ناقته برّية اللحم من كثرة الارتحال في الصحاري، والأرض الجرداء، وتخرج من فمها لغاماً أصفراً كصفار البيض، فجاء اللون الأصفر مع الأرض الجرداء؛ ليدلل على شدة التعب، والذبول، والحرمان، والجهد، والمشقة التي يعيشها الشاعر.

ووصف مالك بن الريب إبله المريضة، فقال:[3]

بِهِزْمارٍ تُرادُ العَيْسُ فيها إذا أَشْفَقْنَ مِنْ قَلَقِ الصُّفارِ

لقد قصد الشاعر بالصفار الدود الذي يكون في بطن الإبل المريضة، فيشفق ويقلق على ناقته من هذا المرض، فجاء اللون الأصفر هنا رمزاً للمرض.

---

(1) المرجع نفسه، ج2، ص262.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص190 (كاحت: كشرت، مج: قذف، السملق: الأرض الجرداء).

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص161 (هزمار: اسم موضع، ترّاد: تذهب وتجيء، العيس: الإبل الشقراء، الصفار: دود في البطن / جاء في المعجم الوسيط في مادة (الصُّفار) لصُّفَارُ دُودُ البَطن الصُّفَارُ ماءٌ أَصْفَر يجتمِعُ في البطنِ.، الصُّفَارُ صفرة تعلو اللون من شحوب ومرض)

الإنسان:

لم يغفل الشعراء الصعاليك عن ذكر الذهب، فهو أجمل ما يتزين به، فقيل في مدح الأصفر " لوني في الوجود عزيز مثل الذهب الإبريز "[1]، فذكره المرار الفقعسي، فقال:[2]

كَمَا لاحَ تِبْرٌ فِي يَدٍ لمَعَتْ بِه كَعَابٌ بَدا إِسْوَارُهَا وخَضِيبُها

هنا شبه الشاعر الناقة إذا أقبلت ضامرة البطن لينة الذنب، بالمرأة التي تلبس الذهب اللامع في يدها، متخذاً من اللون الأصفر رمزاً للزينة واللذة والإثارة.

المرض والشحوب:

لقد استخدم اللون الأصفر دلالة " على الذبول، والنحول، والخوف "[3]، وصفرة الوجه من الإعياء أو المرض " وقيل: " ذلك الرجل مصفر اللحم "، وقيل " فإذا أصابهم وباء اصفرّوا"[4]، ولقد استخدم الشعراء هذه الدلالات، حيث وصف مالك بن الريب نفسه بالشحوب، فقال:[5]

مَن يَشهَدِ الحَرْبَ يَصْلاها وَيُسعِرُها تَراهُ مِمَّا كَسَتْهُ شاحِباً وَجِلا

هنا نلحظ أن الشاعر قد جسد لنا حياته المليئة بالحروب والقتال، فهو الذي يشعل الحرب، فأصبح شاحب الوجه من شدة الخوف بسبب الحروب المستعرة، فجاء اللون الأصفر في الوجه هنا رمزاً للخوف.

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص216 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص210.

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص214 .

(4) المرجع نفسه، ص 221 .

(5) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص168.

وقيل: إن " الأصـــفر يبشـــر بالزوال، وبالشـــيخوخة، وبدنو الموت "[1]، فجاء الخطيم المحرزي ليجسد هذا المعنى من خلال قوله:[2]

فَذاكَ الَّذي اِستَنكَرْتُ يا أُمَّ مالِكٍ وَأَصبَحتُ مِنهُ شاحِبَ اللَونِ أَسوَدا

وَإِنّي لَماضي الهَمِّ لَو تَعلَمِينَهُ وَرَكَّـابُ أَهوالٍ يُخافُ بِهـا الرَّدَى

يقول الشـــاعر إنه أصـــبح في غربته شـــاحب اللون، وأنه بات أقرب للموت والهلاك، فجاء اللون الأصـــفر في (شـــاحب اللون) مع الســـواد رمزاً للزوال، والفناء، والموت.

وقد وصف عبيد العنبري جسده النحيل، فقال:[3]

نُطُوعاً وَأَنساعاً وَأَشْلاءَ مُدْنَفٍ بَرَى جِسْمَهُ طُولُ السُّرَى في المَخاوِفِ

أي أن الشـاعر أصـبح في هذه الصـحراء مشـرداً، مريضـاً، نحيلاً، مقبلاً على الموت، حيث نلحظ كمية اليأس المسيطرة على الشاعر بسبب حياة الفقر والتشرد التي يعيشـها، فكان اللون الأصـفر غير المباشـر رمزاً للمرض، والإعياء، والخوف، وقرب الهلاك.

وقال المرار الفقعسي يصف نفسه بعد الكبر:[4]

لَمّا رَأى الشَّيْبَ قَدْ هاجَتْ نَصِيَّته بَعدَ الحَلاوَةِ حَتَّى أَخْلَسَ الشَّعَرُ

يصف الشاعر لنا نفسه بعد أن كبر في السن، وهاجم الشيب رأسه، فأصبح بعد الحلاوة والجمال مثل النصـي، وهو نبات أصـفر يابس، فجاء اللون الأصـفر هنا رمزاً لقرب الأجل والموت.

---

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص110 .

(2) ديون اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص237.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص400 (المدنف: المريض المشرف على الموت، بَرِيَ جسمه: أنحل وأهزل).

(4) المرجع نفسه، ج2، ص223 .

الخيانة والكذب:

لقد دل اللون الأصفر بسلبيته على الكذب، فوُصِفت بعض الأخبار " بالصحافة الصفراء: أخبار مسمومة ومدسوسة "[1]، حيث إن الأحيمر السعدي قد وصف اليمين الكاذب

بالبردة البالية المخططة بالصفرة، فقال:[2]

إذا حَلَّفوني باليَمينِ مَنَحْتُهُمْ يَميناً كَشَقِّ الأَتْحَمي الُمَمزَّقِ

أي أنهم إذا ألحّوا عليه، وحلفوه بالغالي الثمين، أعطاهم يميناً كاذباً كالبردة البالية الممزقة المخططة بالصفرة، دليلًا على القدم، فجاء اللون الأصفر هنا باهتاً رمزاً للكذب.

أما الشاعر حريث بن عناب الطائي، فيأتي لنا بدلالة جديدة للون الأصفر وهي الخيانة، حيث قيل قديماً:" ارتبط اللون الأصفر بالخيانة "[3]، فقال:[4]

يا وَيْحَ كُلِّ مُحِبٍّ كَيفَ أَرحَمُهُ لِأَنَّنِي عارِفٌ صِدقَ الَّذي يَصِفُ

لَا تَأْمَنَنْ بَعْدَ حُبَّي خُلَّةً أَبَدًا عَلَى الخِيَانَةِ إِنَّ الخَائِنَ الطَّرِفُ

كَأَنَّها رِيْشَةٌ في أَرضِ بَلَقَعةٍ مِن حَيثُما وَاجَهَتْها الرِّيحُ تَنْصَرِفُ

يتحدث الشاعر عن حبيبته التي غدرت به، لذلك فهو لا يأمن مكر الأحبة، فهم كالريشة في البلقع، وهي الصحراء الجرداء، فجاء الشاعر بالخيانة مع الصحراء الجرداء الصفراء، لتظهر الدلالة السلبية للون الأصفر، وهي الخيانة والغدر.

---

(1) عبيد، كلود: الألوان: ص112

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص62. (الأتحمي: ضرب من البرود، جاء في القاموس المحيط مادة (تحم) التحمة شدة السواد، والبردة المخططة بالصفرة).

(3) عبيد، كلود: الألوان، ص112 .

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص222.

أما الشاعر الخطيم المحرزي، فجاء بدلالة اللؤم ، من خلال قوله: [1]

وَقائِلَةٍ يَوماً وَقَد جِئْتُ زائِراً رَأَيتُ الخَطيمَ بَعدَنا قَدْ تَخَدَّدا

أَما إِنَّ شَيْبِي لا يَقُومُ بِهِ فَتىً إِذا حَضَرَ الشُحُّ اللَئِيمَ الضَّفَنْدَدا

فَلا تَسخَرِي مِنّي أُمامَةُ أَن بَدا شُحُوبِي وَلا أَنَّ القَميصِ تَقَدَّدا

فَإِنّي بِأَرضٍ لا يَرَى المَرءُ قُربَها صَديقاً وَلا تَحلَى بِها العَينُ مَرقَدا

جاء الشاعر هنا بكل الكلمات التي تشير للون الأصفر (الشح، اللؤم، شحوبي، تقددا، تخددا) فجاء اللون الأصفر في هذه الأبيات؛ ليحمل جميع الدلالات السلبية من مرض، وإعياء، وذبول، وبخل، وفقر، ولؤم، وقرب الأجل، وهذا يُظهر لنا مدى قسوة الحالة الشعورية اليائسة التي يعيشها الشاعر.

وبهذا يتبين لنا أن اللون الأصفر جاء بدلالات مختلفة، منها الإيجابية، ومنها السلبية، حيث ذكر عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ما يقارب من أربع وخمسين مرة، حيث ورد لوناً للشمس، والذهب، والشهد، ولوناً للصحراء، والقحط، والجدب، وجاء في الإنسان لوناً للجسد والوجه، ليكون رمزاً للمرض والذبول، وجاء في الحيوان؛ ليدلل على التعب الشديد، وجاء أيضاً رمزاً للكذب، والخيانة، واللؤم.

ولقد كثر ورود اللون الأصفر عند الشاعر عبيد بن أيوب العنبري، حيث ورد احدى عشرة مرة، فكانت منها سبع مرات ذكر خلالها الصحراء القفر الجرداء، وثلاث مرات جاءت رمزاً للشحوب، والذبول، والمرض، وورد اللون الأصفر مرة في ذكر آلة الحرب، وهي السهم القوية. أما عند الخطيم المحرزي، فقد ورد اللون الأصفر عنده ثماني مرات، وجميعها كانت تدلل على الصحراء القفر، والشحوب، والذبول، والهزال. أما عند المرار بن سعيد الفقعسي، فقد ورد اللون الأصفر سبع مرات، فتنوعت دلالاته، فجاء لوناً للشمس، ورمزاً للنشاط، كما جاء لوناً للشهد والذهب أيضاً، وجاء رمزاً للخير

(1) المرجع نفسه، ج1، ص235.

الوفير عند وصـــفه للبن الناقة، وجاء في لفظتين ليدلل على الشـــحوب، والذبول، والإعياء.

أما عند الشـــاعر مالك بن الريب، فقد ذكر اللون الأصـــفر ســـت مرات، واحدة منها جاء لوناً للشمس، وباقيها كانت صفة للصحراء، والشحوب، والذبول. وكذلك ورد عند القتال الكلابي ست مرات، أربع مرات جاء لوناً للشمس، دلالة على النشاط والقوة، وجاءت لفظة المهامة وهي الصحراء الواسعة، وجاء عنده –أيضاً– اللون الأصفر في لفظة اللؤم.

أما عند الشـــاعر جعفر بن علبة الحارثي، فقد ورد اللون الأصـــفر عنده أربع مرات، ذكر الصـحراء الجرداء ثلاث مرات، وفي المرة الرابعة وصـف لعاب ناقته كأنه صفار البيض، وورد عند الأحيمر السعدي أربع مرات، منها لون الشمس، والصحراء، وجاء بلفظة الأتحمي، وهي البردة المخططة باللون بالأصـفر، حيث جاءت رمزاً للوعد الكاذب. أما عند الشاعر طمهان الكلابي، فقد ورد عنده اللون ثلاث مرات: حيث جاء مرتين للشمس المشرقة، ومرة صفة للذهب، وهذا يدلل على أن الشاعر كان نشيطاً متفائلاً رغم حياته القاسية، وكذلك اللون الأصفر عند حريث الطائي، حيث ورد ثلاث مرات: جاء مرتين في لفظة الخائن والخيانة، ومرة جاء صـــفة للصـــحراء الجرداء في لفظة بلقعة. وجاء عند الشـــاعر الســـمهري العكلي مرة واحدة في لفظة الفيافي، دلالة على الجدب والقحط، وحياته التائهة في هذه الصـــحراء. وورد عند الشـــاعر جحدر المحرزي العكلي مرة واحدة أيضـــاً لوناً للكثيب، وهو التل من الرمال، ولم يرد اللون الأصفر عند الشاعر قران بن عطارد، ونلحظ أن اللون الأصفر جاء عند شعراء هذا العصر؛ ليدلل على حياة الفقر التي سيطرت عليهم نتيجة للممارسات والضرائب التي فرضها الولاة على الشعب.

ونخلص في نهاية القول إلى أن شعراء العصرين اتفقوا في استخدام الألوان الأساسية (اللون الأحمر، واللون الأزرق، واللون الأصفر) لكن الشعراء الصعاليك في

العصـــر الإســـلامي زادوا في اســـتخدامها وتكرارها، واختلفوا في دلالة بعضـــها، حيث اســتخدم الشــعراء الصــعاليك في العصــر الإســلامي اللون الأحمر أكثر من الشــعراء الصــعاليك في العصــر الجاهلي، وزادوا فيه معنى الحب، والشــهوة، والجمال، والزينة، والصبر، والسيادة، والانتصار، والغواية، والحرية، والجهد، والشقاء، ورفعة الشأن. وقد أضــاف أصــحاب العصــر الإســلامي في اللون الأزرق معاني الثقة والتميز، والنشــاط، والكرم، والســرعة، والغدر، والكآبة، والمكر والخداع، والأذى، والخوف، والضــيق. وفي اللون الأصـــــفر ظهرت دلالات جديدة في العصـــــر الإســـــلامي تتمثل في التجدد، والصفاء، والصبر والكرم، والجمال، واللذة، والزينة، والعدل، والوحدة، والحزن، واليأس، والتشاؤم، والموت والفناء، والفقر، والكذب، والخيانة والخداع، والبخل.

الفصل الثاني
سيميائية الألوان الفرعية في شعر الصعاليك

المبحث الأول: سيميائية الألوان الفرعية عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي.

المبحث الثاني: سيميائية الألوان الفرعية عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي.

المبحث الأول

سيميائية الألوان الفرعية عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي

اللون الأبيض:

جاءت دلالة اللون الأبيض عند الشعراء الصعاليك لتحمل الصفاء، والنقاء، والطهارة،

وجاء أيضاً للدلالة على التفاؤل، والكرم، والعطاء، وكثيراً ما ارتبط ذكر اللون الأبيض بالشيب، بما يحمله من دلالة على الحزن، وقرب الأجل، والضعف، والوهن، وظهر اللون الأبيض عند الصعاليك الجاهليين في وصف الطبيعة مثل: البرق، والمطر، ووصف الحيوان، والماء، والضوء، والنجوم، وجاء في وصف المرأة، وبياض الشرف، كيف لا والمرأة الشريفة خيط النور الذي يزرع الأمل في نفس الشاعر في ظلام البيد الدامس، وجاء أيضاً اللون الأبيض في آلات الحرب، والتي لا غنى عنها في حياتهم المشردة.

آلات الحرب:

لقد جاء اللون الأبيض في لفظه المباشر اسماً للسيف، وهو من أهم الأدوات التي رُبطت بالمقاتل كبطل، إذ يُعد السيف من أعرق أدوات القتال الحربية وأقدمها، وقد تعددت أسماؤه في الدواوين الشعرية، وتنوعت صوره، فهو " أشرف أسلحة العرب، وأفضلها عندهم حتى امتلأت بذكره أشعارهم، وأطلقوا عليه أسماء، وَأَوْصَافاً جاوز عدد المائة، مما يدل على اعتزازهم بهذا السلاح الذي يعدونه عنوان البطولة، والفروسية " [1] فبواسطته يدافع المرء عن نفسه وعرضه، وبه تُحمى الأرض، وبه تنال الشعوب سيادتها، وتحافظ على أمجادها التاريخية، ففيه دلالة على النقاء، والشرف، والتفاؤل، والانتصار. وقد ورد

(1) الجاني، خالد جاسم: تنظيمات الجيش العربي الإسلامية في العصر الأموي، ط2، دار الحرية، بغداد، 1986م، ص44.

اللون الأبيض في التراث العربي القديم " فأطلقوا الأبيض على السيف "[1]، فلم يفارق اللون الأبيض صفات سيف الصعلوك المتحرر، الذي يمارس الغزو والإغارة من أجل الانتصار للحياة.

قال تأبط شراً عندما أصابه غلام في يده، فوجه له سيفه فقتله:[2]

فَإِنْ تَكُ نَالَتْهُ خَطَاطِيفُ كَفِّهِ بِأَبْيَضَ قَصَّالٍ نَمَى وَهْوَ فَادِحُ

أي أن الغلام غدرت به مخالب كفه، وأودت به للأبيض القصال، وهو السيف شديد القطع، فجاءت الخطاطيف مع الأبيض القاطع النامي المرتفع، وصيغة المبالغة قصال؛ ليكون أيقوناً للعزة، والبطش، ورفعة الشأن، حيث إن الأبيض في التراث جاء" في الطير رمزاً إلى الخير، والعزة، ورفعة الشأن "[3]، فالشاعر الصعلوك يتباهى بقوته وعزة نفسه.

ولقد فخر الشنفري بسيفه فقال:[4]

إذا فَزِعُوا طارَتْ بِأَبيَضَ صارِمٍ وَرامَتْ بِما في جَفْرِها ثُمَّ سَلَّتِ

حُسَامٌ كَلَوْنِ المِلْحِ صَافٍ حَدِيدُهُ جُرَازٍ كَأَقْطَاعِ الغَدِيرِ المُنَعَّتِ

أي إذا اشتدت الحرب، وثب بالأبيض القاطع، لونه كلون الملح، حيث صُنع من الحديد النقي، وهو أجود الأنواع، فكان كأنه قطع الغدير، وهي قطع الماء يضربها الهواء فتنكسر وتبرق، فهي متجددة لا تنقطع، وهنا دلالة على قوة السيف، فهو يقطع العظام، ويبرق في السماء، وبريقه جاء دلالة على عدم الصدأ، فهو دائم الاستعمال، أيضاً قال (المُنَعَّت) أي بالغ الجودة، فجاء الشاعر بالكلمات (أبيض، كلون الملح،

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 69 .

(2) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص239 (الخطاطيف: مخالب السباع).

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص207 .

(4) ديوان الشنفرى، ص36 .

صـــافٍ، حديده، أقطاع الغدير، المنعت) جميعها دلالات للون الأبيض، وترمز للقوة، والتجدد، والنقاء، والعزة، ورفعة الشأن.

وقال الشنفرى:[1]

وأبْيضُ مِنْ مَاءِ الحَدِيدِ مُهَنَّدٌ مُجِدٌ لأطْرافِ السَّوَاعِدِ مِقْطَفُ

فالسـيف مصـنوع من ماء الحديد، أبيض اللون، قوي حاد؛ ليقطع الأطراف بكل حرفية، فجاء اللون الأبيض رمزاً للقوة والنقاء.

أما عروة بن الورد، فوصف السيوف بالخفاف، وذات لون واضح، فقال:[2]

نُطاعِنُ عَنْهَا أَوَّلَ القَوْمِ بِالقَنَا وَبِيضٍ خِفافٍ ذاتِ لَونٍ مُشَهَّرِ

لقد استخدم عروة الجمع في الكلمات مع صيغة الجماعة، دلالة على التضـامن الاجتماعي، فلم يعش الصـــعلوك وحيداً، بل اتخذ له أهلاً ونســباً، ولكن على أســاس المذهب والمعتقد لا على أســاس الدم. أما لون السـيف الواضــح، فهو دلالة على حدة السيف، وقوته، ورمز للقوة، والجاه، ورفعة الشأن.

وجاء اللون الأبيض لوناً للسيف عند الشاعر صخر الغي فقال:[3]

وصَارِمٌ أُخْلِصَت خَشيبتُه أبيضُ مَهوُ في مَتنِه رُبَدُ

يفخر صـــخر الغي بســيفه الصـــارم، فمتنه أبيض لامع صـــافي اللون، وجاء الشاعر بصيغة التصغير في(خشيبته) إيحاء بالمحبة القوية للسيف، وليوحي أيضاً أن خشــبته صــغيرة، ونصــله طويل حاد قاطع، ليترك أثراً من الخوف في نفس المتلقي، وهذا ما كان يعتاد عليه العرب، فجاء اللون الأبيض رمزاً للقوة، والحدة، والمحبة أيضاً.

---

(1) المصدر نفسه، ص53.(مجد: قاطع)

(2) شرح ديوان عروة بن الورد، ص84.

(3) ديوان الهذليين، القسم2، ص60،(ربد: يلمع)

ووصف عروة بن الورد سيفه بالصفاء، فقال:[1]

بِكَفِّي مِنَ المَأْثُورِ كَالمِلْحِ لَوْنُهُ حَدِيْثٌ بِإِخْلَاصِ الذُّكُورَ قَاطِعُ

فالشاعر يحمل بكفه السيف النقي على الدوام، فهو كلون الملح لا يشوبه شيء، فجاء اللون الأبيض دلالةً ورمزاً للحدة والقوة من جهة، و" للإخلاص، والطهارة، والنقاء "[2] من جهة أخرى.

ويفخر الشاعر عمرو ذو الكلب بسيفه، من خلال قوله:[3]

تَمّناني وأَبْيَضَ مَشْرفِيَّاً أُشاحَ الصَّدرِ أُخلِصُ بالصِّقَالِ

يفخر الشاعر بطول سيفه الذي يصل لصدره، حيث أصبح السيف وشاحاً يتزين به، فجعل الشاعر سيفه في هذا الموضع القريب من القلب بالذات دليلاً على أنه محبب لقلبه، فيترك أثراً لهذه المحبة في نفس المتلقي، ولم يكتفِ الشاعر بتلك المحبة، فقد فخر في بداية البيت الشعري بسيفه المشرفي الأبيض القصال، وهو أفضل أنواع السيوف في هذا العصر، ليعطي لهذا الوصف قوة وصلابة، فجاء اللون الأبيض لوناً للسيف، ليدلل على العزة، والكرامة، ورفعة الشأن.

وقال عمرو بن براقة الهمذاني:[4]

فَلا صُلْحَ حَتَّى تُقْدَعَ الخَيلُ بِالقَنا وتُضْرَبَ بالبيضِ الخِفَافِ الجَماجِمُ

أي لا صلح حتى يؤخذ بالثأر، فتقرع الخيول بالرماح، وتفلج الرؤوس بالسيوف الخفيفة، ولقد جاء الشاعر بصفة الخفة للسيف لسهولة استخدامه، وخفته في اليد، فهو

---

(1) شرح ديوان عروة بن الورد، ص 178.

(2)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 229 .

(3) ديوان الهذليين، القسم3، ص 117 .

(4) ديوان عمرو بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص115.

سريع القتل، أيضاً من المتعارف عليه أن " الأبيض يأتي مع المهادنة والمسالمة "[1]، لكن في هذا التعبير جاء للبطش، والقوة، والأخذ بالثأر.

وقال عمرو بن براقة أيضاً:[2]

فَأَذْرَكنَا دُعاهُم مِنْ بَعيدٍ نَهُزُّ البِيْضَ يَشفِينَ الغَلِيلا

لقد جاءت لفظة البيض بصيغة الجمع دلالة على الكثرة، وقال نهز البيض، دلالة على الفرح، والسرور، وحب الشاعر للقتال، فالأبيض جاء ليشفي الصدور من الغل، ويطهر النفس من الحقد، فعندما يدرك الأعداء من بعيد تهتز السيوف استعداداً وطرباً لسفك دمائهم.

وقد نهج الشاعر مالكُ بن حريم الهمذاني* نهج أصدقائه الصعاليك في الفخر بسيفه فقال:[3]

مُتَشَنِّعُونَ لِأَنْ يَشُنُّوا غَارَةً بِيضُ الصَّوَارِمِ فِيهُمُ وَالغَابُ

أي أنهم يتسمعون تحرك الخصم وإبلهم إلى المرعى في الصباح؛ ليشنوا الغارة من كلِّ صوب بالبيض الصوارم القواطع، التي لا تخفق في هدفها، واختيار الشاعر

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص205 .

(2) عمرو بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص 104(الغليل: ورد في معجم مختار الصحاح في مادة (غ ل ل) الغَلَّةُ واحدة الغَلاَتُ والغِلاَتُ شِعار يُلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضا والغِلُّ بالكسر الغِش والحقد أيضا وقد غَلَّ صدره يغِلُّ بالكسر غلاًّ إذا كان ذا غِش أو حقد .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص125.

* **مالك بن حريم:** شاعر مخضرم جاهلي إسلامي، وهو لص مشهور، يروى عنه، أنه كان في صحراء هو ونفر من قومه، فاصطادوا ظبياً، وكان قد أصابهم عطش كثير فانتهوا إلى مكان، فجعلوا يفصدون دم الظبي ويشربونه من العطش حتى نفد دمه فذبحوه . ينظر: البكري، أبو عبيد(عبد الله بن عبد العزيز): سمط اللآلي في شرح أمالي القالي وذيل اللآلي، ج2، ص749 .

التوقيت (الصـــباح) مع لفظة البيض " دلالة على تفاؤلهم وثقتهم بالنصـــر "[1]، وهي عادة لهم في الإغارة.

ويفخر قيس بن حدادية* بنفســه ومن معه، في قتالهم للضــريس القشــيري حتى هزموه وانصرف، ولم يفز بشيء من أمولهم، فقال:[2]

رَمَيْنَاهُمْ بِالحُوّ وَالكُمْتِ والقَنَا وَبيضٍ خِفَافٍ يَختَلينَ السَّوَاعِدَا

تعـددت هنـا آلات القتـال، ومنهـا الســـيوف البيض الخفـاف، فهي خفيفـة بالاســـتعمال، تقطع الســـواعد دون جهد ولا مشـــقة، وكانت الدلالة للون الأبيض في السيوف على الشجاعة والنصر.

وقد فخر قيس بن حدادية بنفسه وسيفه، فقال:[3]

وَأَنّا بِلا مَهرٍ سِوى البيضِ وَالقَنا نُصيبُ بِأَفناءِ القَبائِلِ مَنكَحا

أي أنه لا مال لديه، وســـيفه والقنا هي رأس ماله، وعلى الرغم من ذلك فإنه يدخل القبائل، ويأخذ ما يريد، فاللون الأبيض في الســـيف جاء؛ ليدلل على القوة والانتصار على الخصوم.

الطبيعة

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص205 .

* **قيس بن الحدادية الخزاعي،** شـاعر جاهلي من الصـعاليك، كان شـجاعاً فتاكاً كثير الغارات، تبرأت منه خزاعة في سوق عكاظ، وأخبرت أنها لا تحمل جريرة له، أو تطالب بجريرة عليه، كان يهوى أم مالك بنت ذؤيب الخزاعية، وله فيها شـــعر بديع. قتله بنو مزينة في غارة لهم. والحدادية أمه وهي من بني حداد من كنانة، شـــارك في غارات بين قيس عيلان وخزاعة، وبين هوازن و خزاعة . ينظر: الأصـــفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج14، ص143 .

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج 14، ص150 .

(3) المصدر نفسه، ص146.

لقد وصف تأبط شراً السحاب في الطبيعة في فصل الشتاء فقال:[1]

بِهِ مِنْ نِجَاءِ الدَّلْوِ بِيْضٌ أَقَرَّهَا جُبَارٌ، لِصُمِّ الصَّخْرِ فِيهِ قَرَاقِرُ

يصف الشاعر هنا السحاب المحمل بالماء الذي يصب الماء، وبقايا الماء تصدر صوتاً حسناً عند الاصطدام بالصخر، لقد جاء الشاعر بالمطر، والسحاب، والماء بين الصخور أبيض اللون، ليدلل على صفاء الماء أولاً، وعلى الرزق والخير ثانياً.

وقال تأبط شراً يدعو لصديقه الشنفرى بالسقيا بعد موته:[2]

عَلَى الشَّنْفَرَى سَارِي الْغَمَام فَرَائِحٌ غَزِيرُ الكُلَى أَوْ صَيِّبُ الْمَاءِ بَاكِرُ

لقد جسد الشاعر دلالة اللون الأبيض الإيجابية بالسحاب الغدَّاق، والماء المنهمر على قبر صديقه، فجاء الشاعر باللون الأبيض رمزاً للمحبة، ودلالة على " طهارة ونقاء وصدق "[3] مشاعر تأبط شراً نحو صديقه، فاللون الأبيض " دليل الوضوح، والنقاء، والجمال، ويمثل الفطرة الأولى للأشياء على وجه الأرض، فحقيقته تدل على معانٍ سامية، أعلاها الطهر، والصفاء، والبراءة، والحرية، والسلام، والاستقرار، ويبعث على الأمل، والتفاؤل، والتسامح، ويدل على النقاء، كما يبعث على الود والمحبة "[4].

---

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره، 95.(نجاء: سحاب يصب المطر، البيض: بقايا الماء، جبار: جاء في معجم المعاني الجامع: الجُبَار: الهَدَر، وهو ما لا قِصاص فيه ولا غُرْمَ حَرْبٌ جُبارٌ :لا دِيَةَ فيها ولا قصاص الجُبَار:البريءُ، الجُبَار :اسمُ يوم الثلاثاء في الجاهلية)

(2) المصدر نفسه، ص78.(ساري الغمام: السحاب الممطر ليلاً، صيب الماء: المنهمر منه)

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص229 .

(4) الزواهرة، ظاهر: اللون ودلالاته في الشعر: الشعر الأردني نموذجاً، ص77.

وجاء اللون الأبيض في إشـــراق الشـــمس، وبداية يوم جديد؛ ليجدد النشـــاط والحيوية، حيث قالت العرب إنهم " أطلقوا البياض على الإشـراق والإضـاءة "[1]، فقال تأبط شراً:[2]

بَادَرْتُ قُنَّتَهَا صَحْبِي وَمَا كَسِلُوا حَتَّى نَمَيْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ إِشْرَاقِ

نلحظ هنا دلالة الصفاء قد ارتبطت بإشراق الشمس، وبداية الصباح الذي يحمل معه النور، وبداية يوم جديد، يوم صـافٍ ونقي، قد غُسل فيه ألم الأمس، فيأتي إشراق الشمس، وبداية الصباح بلونه الأبيض حاملاً معه التفاؤل، والنشاط، وبَكُوره للعمل.

ولقد وصف أبو الطمحان الطبيعة، فقال:[3]

تـراءى نُـجومُ الأَخذِ فـي حُـجُراتِهِ وَتَـفهَقُ فـي إِتراعِها في الجَداوِلِ

يقول الشـاعر إن النجوم التي تتراءى في السماء تلمع وتفهق؛ أي تتأنق وتتسـع توهجاً في انعكاس صـــورتها على جداول الماء، وقد خص هنا " نجوم الأخذ؛ لأخذ القمر كل ليلة في منزل منها "[4]، فهي تظهر وتختفي ويأتي القمر بديلاً، وكل هذه الدلالات تأخذنا لدلالة الوضـــوح والصـــفاء، فكون صـــورة النجوم تنعكس على الماء بصورتها المتسعة، فهذا دلالة على صفائه، ومجيء القمر بديلا من النجوم دلالة على الوضـــوح، فجاء اللون الأبيض لوناً للنجوم والقمر؛ ليدلل على الصـــفاء، والنقاء، والوضوح.

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص41.

(2) ديوان تأبط شراً وأخباره: ص139.

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص326 – 327 .

(4) الأزهري، أبو منصـــور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط1، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2001م، ص154.

ولقد قام تأبط شراً بتوظيف اللون الأبيض من خلال إضفاء صورة المرأة على الغول، فقال:[1]

وَقَد لَهَوتُ بِمَصقولٍ عَوارِضُها بَكرٍ تُنازِعُني كَأساً وَعِنقادا

نلحظ أن الشاعر قد تعايش مع بيئته، وأصبحت الغول مقرّبة له، فجاء " الأبيض هنا رمزاً للمهادنة والمسالمة"[2] مع الغول والوحوش في الصحراء، حيث إن الشاعر قد لهى بمصقول عوارضها، وهي عارضة الفم الثنية من الأسنان المهذب اللامع " [3]، فقد تزوجها بكراً، وشرب الخمر معها، وهنا نلحظ في هذه الصورة مدى شوق الشاعر للمرأة، رغم حياته المشردة القاسية التي يعيشها.

الإنسان:

يعد اللون الأبيض من الألوان التي تحمل دلالة على الجمال، وخاصة الجمال عند المرأة، حيث إن الإنسان العربي قد عاش في بيئة صحراوية واسعة مهيأة لاستقبال أشعة الشمس بلا حدود، فاكتسبت بشرته طبقة سمراء لتقاوم حرارة الجو، فأصبحت سمة يتميز بها، ولوناً يعرف به " وندر وجود البشرة البيضاء في بلاد العرب "[4] لذا أصبح اللون مرغوباً ومحبباً إلى النفس، فضلاً عما ينطوي عليه من دلالات جمالية حسية ومعنوية لكونه " رمزاً للصفاء، ونقاء السريرة، والهدوء، والأمل، والسلام"[5]

---

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص 77 .

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص205

(3) السنجلاوى، إبراهيم موسى: الغول في التراث الغربي القديم، مجلة أبحاث اليرموك، مج6، ع1، 1988م، ص42– 52.

(4) الهاشمي، علي: المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد، 1960م، ص90 .

(5) طالو، محي الدين: الرسم واللون، مكتبة أطلس، دمشق، 1961م، ص171 .

وفي هذا قال عمرو بن براقة في وصفه للسبايا:[1]

كَأَنَّ نِسَاءَ هُمْ بَقَرٌ مِرَاجٌ خِلَالَ شَقَائِقٍ تَطَأُ الوحولا

يصف الشاعر السبايا كأنهن بقر مراج مضطربات في السير لشدة السرعة، وشبههن بالشقائق، أي السحائب التي تبعجت بالأمطار الغدقة، وهذا يدل على سمنة النساء، وكثرة بياضهن، " فقد كان العرب يفخرون بأن سباياهم من النساء البيض "[2] وهي صفة للجمال.

ولقد وصف عروة بن الورد الفتيات اللاتي وقعن في الأسر، فيقول:[3]

تَرى كُلَّ بَيضاءِ العَوارِضِ طَفلَةٍ تُفرّي إِذا شَالَ السِمَاكُ صِدَارَها

يصف الشاعر الفتاة التي خلبت لبه، حيث أسنانها البيضاء اللامعة، وجسدها الناعم الرطب، وصدرها الذي ارتفع، حيث شبه ثديي الفتاة بالنجم النيّر" فالأبيض هنا جاء رمزاً للطهر، والبراءة، والتفاؤل، والجمال "[4]، فالطفلة البريئة رمزاً للطهر والنقاء.

وتغزل الشاعر أبو الطمحان القيني بمحبوبته، فقال في ذلك:[5]

وَبَيضَاْءَ مِثلِ الرّئمِ قَدْ كُنتُ خِدْنَها رَبَتْ في نَعِيمٍ جِيدُها غَيرُ عاطِلِ

نلحظ أن الشاعر قد أقر هذا الوصف، وأكده في اختياره للمرأة البيضاء، الحرة الكريمة من بين النساء لمصاحبتها، فهي كالريم خالص البياض، مزينة العنق، فكانت له مثالاً للسكينة واللهو في آنٍ واحد.

---

(1) ديوان عمرو بن براقة الهمذاني، ص103 .

(2) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء، ص256 .

(3) شرح ديوان عروة بن الورد، ص170 (السماك: نجمان نيران)

(4)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص205 .

(5) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص327.

وقال تأبط شراً أيضاً في وصف المرأة:[1]

وَإِذَا تَجِيءُ تَجِيءُ تَسْحَبُ خِلْتَهَا كَالأَيْمِ أَصْعَدَ فِي كَثِيبٍ يَرْتَقِي

يصـف الشـاعر المرأة في مشـيتها، وتهاديها، وحركتها كأنها الأيم، وهي الحية البيضـاء، فجاء الأبيض رمزاً للرقة واللين، فالمرأة رمزٌ للإغراء، والهدوء، والسـكينة، فيتكاسل الشاعر عن الغزو؛ ليظل تحت عرشها الهادئ، وهنا جاء اللون الأبيض رمزاً للمهادنة والمسالمة .

وقال قيس بن الحدادية يقسم أيامه:[2]

فيوْمَاي يَوْمٌ فِي الحَدِيْدِ مُسَرْبَلَا وَيَوْمٌ مَعَ البِيْضِ الأَوَانِس لَاهِيَا

أي أن الشاعر الفارس الغازي يعيش نوعين من الأيام، يوم حرب، وقتال، وغزو بالحديد وبآلات الحرب، ويوم يلهو مع النسـاء البيض المؤنسـات، فجاء بالبيض مع لفظة الأوانس لتكتمل السكينة والهدوء عند الشاعر.

ولقد جاء اللون الأبيض في المدح دلالة على الصدق، فقال تأبط شراً يمدح ابن عمه شمس بن مالك:[3]

إِنّي لَمُهدٍ مِن ثَناءِ فَقاصِدٌ بِهِ لِابنِ عَمِّ الصِدقِ شَمسِ بنِ مالِكِ

أَهُزُّ بِهِ في نَدوَةِ الحَيِّ عِطفَهُ كَما هَزَّ عِطفي بِالهِجانِ الأَوارِكِ

أي أن الشـاعر يُطرب لذكر ابن عمه فيحرك جانبيه بالثناء مسـروراً فرحاً بسـيرته، وكأنه ينظر للهجان البيض (كرام الإبل)، وهذه عادة عند العرب الفخر بإبلها الهجان، فهذا يترك في نفس المتلقي أثراً من الفخر والعزة، فجاء المدح هنا مع الهجان البيض " رمزاً للطهارة، والنقاء، والصدق "[4]، والمحبة، ورفعة الشأن.

---

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص146 .

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج14، ص156.

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص148-150.

(4) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص229 .

وقد مدح مالك بن حريم رجل آواه وأكرمه، فقال في ذلك:[1]

وأَغَرَّ مُنْخَرِقُ القَميصِ سَمَيْدعٌ يَدْعُو ليَغْزُو ظَالِماً فَيُجابُ

لقد انصرفت رؤية الشاعر اللونية إلى بيان كرم الممدوح وشجاعته، لهذا كانت صورته اللونية معنوية، حيث استدعى فيها اللون الأبيض في لفظة (الأغر) وهو المشهور بالكرم، وأكد ذلك في دلالته غير المباشرة في لفظة (سميدع) وهو الرجل الكريم السخي، منخرق القميص، كناية عن كثرة العطاء، وهو الذي يهب لنصرة المظلوم، فجاء اللون الأبيض على طول البيت ليدلل على الرفعة، والتميز بالكرم، والخلق الحسن، والعزة.

وقد جاء اللون الأبيض " دلالة على نقاء العرض "[2]، فقد كان الشنفرى عند سابيه، فجعله مع ابنته، فاقترب الشنفرى ليقبلها فصفعته على وجهه، فقال الشنفرى في ذلك:[3]

إذا مَا أَرُومُ الوُدَّ بَيْنِي وبَيْنها يَؤُمُّ بَيَاضُ الوَجْهِ مِنِّي يَمِينَهَا

يطلب الشاعر القرب والود من الفتاة، إلا أنها رفضت، فهي النقية الشريفة طاهرة العرض، فقد جاء الشاعر بالبياض مع الوجه للدلالة على نقاء عرض هذه الفتاة.

وقال عروة بن الورد يفخر بالصعاليك ويمدحهم، فقال:[4]

ولَكِنَّ صُعْلُوكَاً صَحِيْفَةُ وجْهِهِ كضَوْءِ شِهَابِ القَابِسِ المُتَنَوِّرِ

يصف الشاعر الصعلوك بأنه مُضِيء الوجه مثل ضوء الشهاب المنير، فهو فقير مشرق الوجه صافي اللون، لا يتذلل إذا أثر الدهر فيه، فكأن ضوء وجهه ضوء

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص125 .

(2)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص41 .

(3) ديوان الشنفرى، ص78.

(4) شرح ديوان عروة بن الورد، ص78 .

شــهاب متوهج، إذا نظرت له اســتضــاء بنورها، فجاء " الأبيض هنا رمزاً للعزة ورفعة الشأن "[1].

ولقد فخر عروة بنقاء نسبه وشرفه فقال:[2]

تَدارَكَ عَوذاً بَعدَ ما سَاءَ ظَنُّهَا بِماوانَ عِرقٌ مِن أُسامَةَ أَزهَرُ

يفخر الشاعر بنسبه وعزته، فشبه نقاء نسبه بالبياض المنير، حيث إنه " يقال أزهر لمن كان بياضه عتيقاً نيراً حسناً، وهو أحسن البياض "[3]، فجاء اللون الأبيض رمزاً لنقاء العرض من العيوب، والعزة، ورفعة الشأن.

أما فضالة بن شريك الأسدي، فعبر بطريقةٍ غير مباشرة عن اللون الأبيض في مدحه لبني أمية، فقال:[4]

مِن الأعَيَاصِ أو مِنْ آل حربٍ أغَرَّ كغُرة الفَرَسِ الجَوَادِ

وكَيْفَ بأنْ يسوسَ الأمرَ منهم أغرُّ مُقابَل واري الزِّنادِ

يتباهى الشاعر ويفخر ببني أمية، حيث شبههم بالفرس الجواد الأغر، فهو أكرم أنواع الخيل، فجاء باللون الأبيض في جبهة هذا الفرس؛ ليؤكد أنهم من الأشـــراف، وكرماء النسب، وهو دلالة على الجمال، والكرم، ونقاء العرض، والعزة، ورفعة الشأن.

وقد تحدث (الأغربة) عن لونهم ملء الســـمع والبصـــر؛ لعلمهم أن محامدهم ومناقبهم تتعدى المظهر الخارجي، فتساموا على واقعهم المزري، مسلطين عليه أسواط ألسنتهم الحادة؛ لإثبات تفوقهم أولاً، ثم الانتقاص من شأن الآخر، وإضفاء مسحة من الجمال والتميز على ثوبهم الأســود القشــيب، فقارنوا بين أصــحاب المظهر الأســود والجوهر الأبيض، وأصحاب المظهر الأبيض والجوهر الأسود، فاللون شاسع بين بشرة

---

(1)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص207 .

(2) شرح ديوان عروة بن الورد، ص 130.(عوذ و أسامة قبيلتان في عبس)

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص46 .

(4) الأصفهاني، أبو الفرج:الأغاني، ج12، ص78.(الأغر: البياض في الجبهة)

بيضاء تحمل تحتها المقت والخبث، وأخرى سوداء تحمل الحب والخير، فقال السليك بن السلكة في ذلك يفخر بنفسه رغم لونه الأسود:[1]

فَإِنّي يا اِبنَةَ الأَقوامِ أُربِي عَلى فِعلِ الوَضيِّ مِنَ الرِجَالِ

يفخر الشاعر هنا بنفسه بأنه يزيد عن أفعال الرجل الأبيض بالكرم، والشجاعة، والإيثار، " فالأبيض في الوجه هو رمز لنقائه، وصفائه، وإشراقه "[2]، وجاء الشاعر بالبياض دلالة على أخلاقه التي تجمع بين الكرم، وطيب الأعمال، وعلو الهمة، حيث نلحظ أن الشاعر قد حاول الهروب من نكد السواد الذي يلاحقه، فاتخذ سبيلاً بالفخر بالأخلاق، والقوة، والشجاعة.

وقال قيس بن الحدادية يمدح أسد بن كرز الذي آواه، فقال:[3]

وَقَد حَلَلنَا بِقَسرِيَّ أَخي ثِقَةٍ كَالبَدرِ يَجْلُو دُجَى الظَلماءِ وَ الأُفُقَا

لقد شبه الشاعر ممدوحه بالبدر الذي يضيء الليل، ويزيل دجى ظلمته، فجاء البدر بنوره الأبيض رمزاً للكرم ونقاء العرض، وجاء أيضاً بكلمة الأفق دلالة على رفعة الشأن والعزة.

وقال أبو الطمحان في مدح أهل لأم بن عمرو:[4]

يَكادُ الغَمَامُ الغُرُّ يُرْعِدُ أنْ رَأَى وُجُوهَ بَنِي لأمٍ وبَنْهَلُّ بارِقُهْ

يقول الشاعر أن الغمام يرعد إذا رأى وجوههم، وينسكب المطر، ويزداد البرق، فجاءت هنا الكلمات (الغمام، الغر، وجوه، بارقه) جميعها دالة على اللون الأبيض، والذي جاء رمزاً لجمال وجوههم، وخيرهم، وصدقهم، وكرمهم، ونقاء عرضهم.

---

(1) ديوان السليك بن السلكة، ص61.(أربى: أزيد، الوضي: الرجل الأبيض)

(2)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص41 .

(3) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج14، ص149.

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص322.

وجاء اللون الأبيض بدلالة العدل، والصدق، والرأي السديد، فقال مالك بن حريم في قائده:[1]

ومِنَّا رَئيسٌ يُسْتَضاءُ بِنُورِهِ سَناءً وحِلْماً فيهِ فاجْتَمَعا مَعَا

شبه الشاعر رأي قائده، وعدله بالنور الذي يستضاء به، فجاء اللون الأبيض لوناً للنور؛ ليدلل على العدل والصدق.

ولقد ذكر أبو الطمحان القيني المدينة البيضاء، فقال:[2]

وبالحِيْرَةِ البَيْضَاءِ شَيْخٌ مُسَلَّطٌ إذا حَلَفَ الأيْمانَ باللهِ بَرَّتِ

البيضاء هي مدينة سكنها الملوك في الجاهلية، فيقول الشاعر إن الشيخ فيها إذا حلف صدق يمينه، فجاءت لفظة بيضاء مع صدق اليمين رمزاً للصدق، ونقاء العرض، والعزة، والجاه، ورفعة الشأن.

ولقد ذكر تأبط شرا المشيب، فقال:[3]

ثُمَّ انْقَضَى عَصْرُهَا عَنِّي وَأَعْقَبَهُ عَصْرُ المَشِيبِ فَقُلْ فِي صَالِحٍ بَادَا

أي أن الشاعر قد كبر في السِّن، واعتصر الشيب رأسه، فجاء الشيب دلالة على الكبر؛ ليرمز للون الأبيض في دلالته السلبية على التشاؤم في تقدم العمر واقتراب الموت.

قال قيس بن حدادية في نسيبه في معشوقته نُعَم:[4]

وَإِنَّ الَّذي أَمَّلتُ من أُمَّ مالِكٍ أَشابَ قَذَالِي وَاِستَهَامَ فُؤَادَيا

---

(1) المرجع نفسه، ج2، ص133.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص311 .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص77.

(4) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج14، ص157.

يقصد الشاعر أنه كبير في السن، وشاب رأسه، وتعب فؤاده من فراق محبوبته، فالشـــيب هنا جاء دلالة على الحزن والهم، وقد جاء اللون الأبيض رمزاً للكبر واليأس واقتراب الأجل.

وقال أبو الطمحان القيني يبث حزنه من انتشار الشيب في رأسه:[1]

دَنَتْ حَفْظَتِي وَنَصَّفَ الشَّيْبُ لِمَّتِي وَخَلَّيْتُ بالِي لِلأُمورِ الأَثاقِلِ

لقد جمع الشـــاعر بين الشـــيب الذي غطى رأســـه، وبين الهموم التي تثاقلت عليه، وأيقن أن موته بات قريباً، فجاء الأبيض هنا دلالة على اليأس، والهم، واقتراب الأجل.

الحيوان:

قال الشنفرى يصف وجوه الذئاب في الصحراء:[2]

سَراحينُ فِتيانٍ كَأَنَّ وُجوهَهُم مَصَابِيْحُ أَو لَوْنٌ مِنَ المَاءِ مُذهَبُ

لقد شبه الشاعر وجوه الذئاب كأنها مصابيح مضيئة، فقد استخدم الشاعر" بياض الوجه للإشارة إلى نقائه، وصفائه، وإشراقه "[3]، وكأن الشاعر يتحدث عن صديق حميم مقرب، وهذا دلالة على حب الشاعر لبيئته وألفته معها.

ولقد وصف الشنفرى الذئاب الجائعة الباحثة عن الطعام، فهي نحيلة من شدة الجوع، وبيضاء شعر الوجه، فقال:[4]

مُهلّلَةٌ شِيبُ الوُجُوهِ كأنَّها قِدَاحٌ بأيدي ياسِرٍ تَتَقَلْقَلُ

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص327.

(2) ديوان الشنفرى، ص28.

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص41 .

(4) ديوان الشنفرى، ص64.

لقد شبه الشاعر الذئاب بالقِدح، وهو السهم قبل بريه، وهو أيضاً أداة للقمار، فالذئاب مضطربة كسهام القمار من شدة الجوع، فجاء البياض في شعر الوجه لهذه الوحوش دلالة على المرض، والإعياء، وقرب الموت من قلة الزاد.

اللبن:

لقد جاء الأبيض بطريقة غير مباشرة مع لفظة اللبن، فقال تأبط شراً:[1]

طَرَحْتُ لَهُ نَعْلًا مِنَ السِّبْتِ طَلَّةً خِلَافَ نَدًى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُخْضِلِ

لقد رأى الشاعر في آخر الليل ذئباً يلهث من شدة العطش، فناوله شربة من اللبن، فكانت له كرشفة الخمر، وقد بردها الندى آخر الليل، وآخر الليل هو بداية الفجر، حيث شبه اللبن بالخمر الذي روى الذئب وأسكره، وهنا اللون الأبيض متمثل في (اللبن، ندى، الفجر) فدلالات اللون الأبيض متنوعة الدلالة على كرم الشاعر وعطفه على الذئب الظمآن، وأيضاً دلالة على التفاؤل مع بزوغ فجر جديد.

وذكر السليك بن السلكة اللبن بلفظ آخر بعد انتصاره على خصومه فقال:[2]

سَيَكْفِيكَ فَقْدَ الحَيِّ لَحْمٌ مُغَرَّضٌ وَمَاءُ قُدُورٍ فِي الجِفَانِ مَشُوبُ

يتباهى الشاعر هنا بانتصاره على خصمه، فيقول إنه يكفيه اللبن الحامض الطري المخلوط بالماء والخمر، فهذا الشراب يجعل الشاعر يشعر باللذة والانتعاش، فجاء الشاعر بلفظة (اللبن، الماء، الخمر) وكلها دالة على اللون الأبيض، فجاء اللون الأبيض رمزاً للفخر، والكرم، والعزة، ورفعة الشأن.

ويذكر عمرو بن براقة الهمذاني اللبن، فقال:[3]

شَتْوَةٌ تُوسِعُ الجِمَالُ لهَا الرِّسْلَ ونَسْقِي عِيالَنا تَصْدِيدَا

---

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص185.(الطلة: شربة اللبن) .

(2) ديوان السليك بن السلكة، ص45.(فقد الحي: اللبن الحامض، المغرض: الطري، جفان مشوب: المخلوط بالخمر)

(3) ديوان عمرو بن براقة الهمذاني، ص93 (الرسل: اللبن)

لقد فخر الشـــاعر بكرمهم، واهتمامهم بإبلهم، ومحافظتهم عليها، فقال إنهم يشبعون إبلهم من اللبن، ويسقون أبناءهم القليل منه، فجاء اللون الأبيض دلالة على الكرم والعطاء.

وقد أطلق العرب القدماء اللون الأبيض على " الأرض إذا كانت ملساء لا نبت فيها"[1]، فجاء عروة بن الورد بكنية (أم بيضاء) للقدر الفارغة، فقال:[2]

وقُلْتُ لَهَا يَا أُمْ بَيْضَاءَ فِتْيَة طَعَامَهُمْ مِن القُدُورِ المُعَجَّلُ

لقد جسد الشاعر من خلال البيت الشعري السابق ما يتحمله من جوع وفقر في الصحراء، حيث إن قدرهم فارغة بيضاء اللون، أما جيران هؤلاء الفتية فطعامهم من اللحم، فجاء اللون الأبيض رمزاً للجدب والقحط.

وبهذا تبين أن اللون الأبيض قد كثر في العصر الجاهلي، حيث استخدمه الشعراء في معظم دلالاته، فكان لوناً للسيف دالاً على حدته، وورد في الطبيعة نجومها، وسحابها، ومطرها، وبرقها، وجاء لوناً لنبات الكافور، والأقحوان، ونوار الريحان، وورد في الحيوان، حيث جمال الذئاب المشرق، والإبل الهجان، ولبنها الغزير وهي أكرم الإبل، أما في الإنسان فكان دلالة على الجمال، والكرم، والصدق، ونقاء العرض، والعزة، ورفعة الشأن، وفي المقابل جاء دلالة على التشاؤم، والكبر، واقتراب الأجل في ذكر الشيب، وجاء أيضاً رمزاً للجدب والقحط، وجاء اللون الأبيض- أيضاً- في الصفات السائدة في الجاهلية من مكارم الأخلاق، والكرم، والصدق، والاعتزاز متمثلاً بأدوات القتال، كالسيف الذي ألبسوه كثيراً من التشبيهات والصفات، لكن لم نجده في لباسهم أو راياتهم.

وقد ورد اللون الأبيض عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ما يقارب من مائة وخمسة وأربعين مرة، أكثرها وروداً عند الشنفرى، حيث ذكر اللون الأبيض

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص41 .

(2) شرح ديوان عروة بن الورد، ص116.

في شـعره خمسـاً وعشـرين مرة، وهذا يؤكد صـفة الطهارة، والنقاء، والصـدق عند الشـنفرى، فكانت أربع مرات منها يذكر السـيف وقوته، وذكر الصـباح، وماء الحديد، ونوار الزهر، وذكره في الحيوان أيضاً، وورد عند الشاعر تأبط شراً ثلاثاً وعشرين مرة، منها ثلاث مرات للسيف، وجاء لوناً للماء، واللبن، والبرق، والسحاب، وإشراق الصباح، ولوناً لكرام الإبل، ولون الشـيب الذي جاء رمزاً للكبر وقرب الأجل، وقد ورد اللون الأبيض عند الشـاعر عروة بن الورد إحدى وعشـرين مرة، فكان لوناً لسـيفه وللماء، وذكره في شـيب الرأس، وغزارة اللبن، فكـان اللون الأبيض عنـد عروة رمزاً للكرم والعطاء.

أما عند الشـاعر قيس بن حدادية، فقد ورد اللون الأبيض عنده حوالي سـبع عشـرة مرة، فكان عنده لوناً للسـيف، والبدر، والسـحاب، والماء، وقطرات المزن، وجاء في الحيوان في كرام الإبل، وجاء لوناً للنعاج، ولوناً للشـيب، ولوناً لدموع العين. أما عند مالك بن حريم الهمذاني، فقد ورد اللون أربع عشـرة مرة، فجاء في السـيف، وفي وصـف المرأة وجمالها، وجاء لوناً للزهور، ورمزاً لغزارة اللبن. أما عند الشـاعر أبو الطمحان القيني، فقد ورد اللون الأبيض عنده ثلاث عشـرة مرة، فكان لوناً للنجوم المضـيئة، ولون الغمام (السـحاب) وجاء في الحيوان، فأكرم الإبل هجانها، وهو لون الرئم، وهي الظبية خالصـة البياض، وجاء لوناً لوجه المرأة الجميلة وجسدها، وجاء في شعر الرأس رمزاً لكبر السن.

أما عند الشاعر السليك بن السلكة، فقد ورد عنده اللون عشر مرات، فجاء لوناً لفرسـه الأغر، وجاء لوناً للبن، ولوناً للشـيب، وصـفة للرجل الكريم. أما عند الشـاعر عمرو بن براقة الهمذاني، فقد ورد اللون الأبيض عشـر مرات، ثلاث مرات منها كانت بلفظة الأبيض الدالة على السـيف، وذكر السـحاب، ولون الماء، والملح، واللبن، وجاء بلفظة جديدة وهي (الهنداوي) وهي صـفة للوجه، حيث شـبهه بالسـيف المصـنوع من حديد الهند، ولم يرد اللون عنده بدلالته السـلبية، حيث كان اللون الأبيض عنده رمزاً

للجمال، والكرم، ونقاء العرض. وذكر اللون الأبيض عند الشاعر صخر الغي ست مرات، فجاء لوناً للفجر، والبرق، والسحاب ولوناً للسيف أيضاً. أما عند الشاعر فضالة بن شريك الأسدي، فقد ورد اللون الأبيض عنده خمس مرات، فكان لوناً للفرس الأغر، ورمزاً للكرم ونقاء العرض، وجاء في السحاب، وفي الوجه، والشعر، ولم يرد في السيف، في المقابل لم يرد اللون الأبيض عند الشاعرين حبيب الأعلم، وأبي خراش الهذلي، حيث كان هذا نتاج تشاؤمهما وسخطهما على حياتهما التي يعيشانها.

اللون الأسود

الأسود لون القوة، وهو اللون المضاد للأبيض، والمعادل له كقيمة مطلقة، وهو كالأبيض من حيث إمكانية وجوده في طرفي السلم اللوني، فهو نهاية للألوان الباردة والحارة أيضاً. وقد قال ابن منظور في معجمه: "السواد: نقيض البياض، سود، وساد، واسودّ، وأسواد، وأسود، واسويداداً، ويُقال للأعداء، سود الأكباد "[1]، فاقتصرت الدلالة النفسية للون في اللغة بقاموس لسان العرب على العداوة والبغضاء، على الرغم من أنه من أكثر الألوان دلالة، فإنه مرتبط بأشياء كثيرة في البيئة والإنسان ، ومن هنا اختلفت الدلالات، فتارة يعد مصدراً للجمال والقوة، وأخرى مصدراً للتشاؤم والحزن، وتارة يدعو إلى الفخر والاعتزاز، وأخرى يكون مدعاة للتشاؤم والطيرة. وإذا تتبعنا دلالات اللون الأسود عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي نجده في:

الإنسان:

يعد اللون الأسود عند الإنسان من أكثر الصفات المحببة، فقد جاء اللون الأسود في جمال العين، " فاللون المحقق في (أحور العين) يحمل داخل النص الشعري دلالة جمالية، فيبرز مظاهر الجمال اللوني عند الحور العين في " شدة بياض البياض مع

(1) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، مادة (سود) .

شدة سواد السواد، وبذلك يتسم حسن العين "[1]، وقد آثر الشاعر عروة بن الورد جمال العينين بِحَوَرِهِما على الصفات الأخرى التي تتمتع بها صاحبته، وذلك لشدة سحرهما وتأثيرهما، إذ أججتا عواطفه الكامنة، فقال في ذلك:[2]

تَقُولُ أَلَا أَقْصِرْ مِنَ الغَزْوِ واشتَكِى لهَا القَوْلَ طَرْفٌ أَحْوَرُ العَيْنِ دَامِعُ

يشكو الشاعر للمحبوبة من يقول له أن يقصر عن الغزو، ويكف عنه، فجاء الشاعر بوصف محبوبته حوراء العيون؛ أي أجملها، ففي هذه الصورة يتحقق الانسجام من التضاد بين الأسود والأبيض من خلال أحور العين، وباستخدام اسم التفضيل أحور يزداد الانسجام، فوجد الشاعر في كنفها السكينة والهدوء، فجاء اللون الأسود في العين دلالة على الجمال، والسكينة، والهدوء.

وجاء اللون الأسود للزينة متمثلاً بالكحل، فقال الشنفرى:[3]

ولا خَالِفٍ دَارِيَّةٍ مُتَغَزِّلٍ يَرُوحُ وَيَغْدُو دَاهِناً يَتَكَحَّلُ

إن الكحل الأسود في العين يدل على الجمال، فهو يبرز جمال العين، فتختال به النساء، وهنا ينفى الشاعر عن نفسه مغازلة النساء، والتشبه بهن بوضع الكحل في العين؛ ليؤكد رجولته، فجاء الأسود في الكحل رمزاً للأنوثة، والجمال، والزينة.

وقد جاء عروة بن الورد باللون الأسود في الكحل دلالة للغواية والفتنة، حيث بعث الكحل الإثارة في نفس الشاعر، لما له من مساهمة لونية فعالة في إبراز جمال عيون المرأة، فقال في ذلك:[4]

فَإِنِّي وَإِيّاكُمْ كَذِي الأُمِّ أَرهَنَتْ لَهُ مَاْءَ عَينَيْهَا تُفَدِّي وَتَحْمِلُ

---

(1) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وضبط: صدقي جميل العطار، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت)، ص111 .

(2) ديوان عروة بن الورد، ص176.

(3) ديوان الشنفرى، ص61 .

(4) ديوان عروة بن الورد، ص117- 118.

فَلَمَّا تَرَجَّتْ نَـفْعَهُ وَشَبَابَهُ أَتَتْ دُونَهَا أُخْرَى جَدِيدَ تُكَحِّلُ

فَبَاتَتْ لِحَدِّ المِرفَقَينِ كِلَيْهِمَا تُوَحْوِحُ مِمّا نَابَهَا وَتُوَلْوِلُ

أراد الشاعر بقوله (تكحل) أي تجعل الكحل في عينيها، وجاء الشاعر بوصف أهل الكنيف بالابن العاق، الذي أنكر تعب أمه، وأدرك زوجته التي تتهيأ له، وتتطيب، وتتكحل، فجاء الأسود أيقوناً " للغواية والخطيئة "[1]، فاللون الأسود في كحل العين قوي الجاذبية والغواية.

وذكر قيس بن الحدادية الكحل في العين الدامعة، فقال:[2]

فَشَدَّتْ عَلَى فَيّهَا اللِّثَامَ وأَعْرَضَتْ وأَمْعَنَ بالكُحْلِ السَّحِيْقِ المَدَامِعُ

نلمس في هذا البيت ألم الفراق، حيث جاءت لفظة (السحيق) لتعطي سمة ملازمة للون العينين، وتؤكد أن السواد فيهما ضارب في القدم، متأصل فيهما، فتكاملت صورة الجمال الأنثوي مشوبة بالحزن، وكان اللون عماد تلك الصورة الجميلة على الرغم من امتلائها بالحزن، فإن اللون الأسود جاء في الكحل رمزاً للجمال، ورمزاً لحزن الفراق في آنٍ واحد.

وجاء الأسود في المسك، فذكر مالك بن حريم حبيبته، التي تتطيب بالمسك، فقال:[3]

كَأَنَّ جَنَى الكَافُورِ وَالمِسْكِ خَالِصًا وَبَرْدَ النَّدَى، وَالأُقْحُوَانَ المُنَزَّعَا

جاء الشاعر باللونين الأبيض والأسود مترافقين، وهما رمزٌ للجمال والزينة، فالكافور طيب يؤخذ من زهر أبيض اللون، ثم جاء بالمسك الخالص، وهو أسود اللون، حيث يؤخذ من دم الغزال، حيث قالت العرب " لولا سواد المسك والعنبر ما كان الطيب

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص202 .

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج14، ص155.

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص129.

يحمل للملوك ولا يذكر "[1]، ثم ذكر الندى، وزهر الأقحوان أبيض اللون، وقد اعتمد الشاعر الأضداد في الوصف؛ ليبرز قوة التعبير، فجاء الأسود في هذا التعبير رمزاً للزينة والغواية، فتضاعف المتعة البصرية عند الشاعر في تفعيل حاستي الشم والبصر معاً من خلال الألوان الزاهية، والروائح العطرة، التي تنطوي عليها معظم العطور والروائح، لذا يبرز الشاعر عطر المرأة بشذاه وألوانه، فأكسب صورة حبيبته جمالاً وفتنةً، فكان من نتيجة ذلك أنه تعلق بها بشكل كبير.

ولقد جاء الأسود لوناً للوجه، فكان نقيضاً للجمال، فأصبح الشاعر الأسود منبوذاً من قبيلته بسبب هذا اللون الذي كساه بالعار، والنقيصة دون غيره من فرسان قبيلته، فلا تشفع له شجاعته وبطولته، فهو الفاتك الذي يخشى نزاله أعتى الفرسان، وبالتالي نلحظ " غلبة اللون الأسود على أشعار الأغربة، ويبدو أن السبب في ذلك هو النظرة السوداوية التشاؤمية القائمة في أعماقهم، والتي تسللت إليهم من جراء معاناتهم الصعبة، فباتوا يندبون حظهم التعيس الذي سلمهم لهذا اللون "[2]، والذي جعل من الشاعر محط سخرية من أقرب الناس إليه بمن فيهم زوجته، فقال أحد الأغربة السود، وهو السُليك بن السُلكة:[3]

هَزِئَتْ أُمَامَةُ أَنْ رَأَتْ بِيِ رِقّـَةً وَفَمَاً بِهِ فَقْمٌ وَجِلْدٌ أَسْوَدُ

لقد هزأت أمامة زوجة السليك منه عند رؤية رقه ونحافته، وفمه الأفقم، حيث تقدمت ثناياه العليا فلا تقع على السفلى، وجلده أسود اللون، فجاء " اللون الأسود رمزاً

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص209 .

(2) عسكر، حيدر مزهر: عبد الكريم، سارة، عقدة اللون عند الأغربة العرب في العصر الجاهلي، مجلة علمية محكمة، كلية التربية الأساسية في الجامعة المستنصرية، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، ج1، العدد 31، 2018/10/1م، ص277 .

(3) ديوان السليك بن السلكة، ص50 .

للفزع والقبح "[1]، فجاء اللون الأســـود رمزاً لخيبة الأمل التي نلحظها مســـيطرة على الشـاعر إثر اسـتهزاء زوجته منه بسـبب لون بشـرته، فسـيطر على الشـاعر الإحسـاس بالنقيصـة، " فتحكم اللون بنفس الشـاعر وإحسـاسـه، مما جعل أشـعاره صـدى لخبايا وجدانه، وتجليات وعيه الجمالي للأشـياء، من خلال ألوانها، فانطبعت بشـخصـياتهم، وامتزج الذاتي بالموضوعي في عقدة القيم الجمالية التي عبروا عنها "[2].

وقد كان الأغربة شـــديدي الإدراك لويلات وجرائر لونهم، وأنها مشـــكلة كانت تنغص عليهم حياتهم، فكانوا كثيري المعاودة لها، والمداومة على ذكر هذه المشـــكلة، كيف لا وهذا اللون الأسود في بشرتهم دليل على عبوديتهم، فيقول السليك بن السلكة في ذلك:[3]

يا صَاحِبِي أَلَا لَا حيَّ بِالوَادِي إلاَّ عَبِيْـد وأمٌ بَيْنَ أَذْوَادِ

فالشـاعر هنا يسـتثني من الأحياء العبيد والإماء؛ لضـعفهم، وعدم اسـتطاعتهم حماية الديار، والذود عن الأموال، ولدلالة ذلك على الهوان والضـعف كان الإحسـاس بسـلبية اللون الأسـود في بشـرته يدفع الشـاعر إلى صـيغة ملامح ذاته وفق الصـور العامة للأســود في البيئة الاجتماعية التي يعد فيها مختلفاً عرقياً، فجاء اللون الأســود هنا رمزاً للذل، والإهانة، والضعف.

وبالتالي كان الأغربة ضـــحية لألوانهم التي كانت نقيض الجمال " فألوانهم أســـقطت حقهم بالوجود الحر الذي يســـمح لهم بمشـــاركة المجتمع حقوقه ورغباته، فشغلتهم مشكلة ألوانهم، فأكثروا من ذكرها تصريحاً وتلميحاً، فولدت هذه المسألة لدى

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص202 .

(2) عسكر، حيدر مزهر: عبد الكريم، سارة: عقدة اللون عند الأغربة العرب في العصر الجاهلي، ص272 .

(3) ديوان السليك بن السلكة، ص32 .

بعضـــهم ما يعرف بعقدة النقص "[1]، وتظهر هذه العقدة عند الســـليك الذي عبر عن حزنه لرؤيته كل أَمَةٍ سوداء مباحة للرجال، حيث قال:[2]

أَشَـــابَ الرَّأسَ أَنِّي كُلَّ يَـــوْمٍ أَرَى لِي خـــالةً وَسْـــطَ الرِّجَالِ

قصــد الشــاعر بالخالة أنها كل أَمَةٍ ســوداء، فلكونهن إماء فهن حق للجميع، حيث بات سواد لون البشرة هاجساً له، كيف لا وهو دليل على عبوديته التي ورثها من أمه، فاللون الأسود " جعلهم أسوأ حظاً وأوضعهم منزلة...، فقد كان العرب يبغضون اللون الأسود بقدر ما يحبون اللون الأبيض "[3]، فكان السليك يشعر بالإهانة والذل، فشاب رأسه من الهم والحزن الذي يسيطر عليه عندما يرى الإماء تهان، فجاء اللون الأسود في البشرة هنا دلالة على الذم، وَوضعة الشأن.

ولقد جاء الأسود في الوجه، حيث وصف عمرو بن براقة الرجال في الصحراء الذين تغير لون وجوههم، فقال:[4]

تقولُ سُلّيمى لِي من القومِ إِنْ رَأَتْ وجوهَ رجَالٍ لوَّحَتْهَا السَمَائِمُ

أي أن السمائم قد لوحت وغيرت وجوه الرجال للون الأسود، فجاء الأسود رمزاً للجهد، والشقاء، وكثرة القتال في حر الصحراء تحت الشمس المحرقة.

أما عند الشاعر عروة بن الورد، فأتى باللون الأسود صفة للأيادي، فقال:[5]

أَبَى الخَفْضَ مَنْ يَغْشَاكِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ وَمِن كُلِّ سَوْدَاءِ المَعَاصِمِ تَعْتَرِي

---

(1) حيدر مزهر: عبد الكريم، ســـارة: عقدة اللون عند الأغربة العرب في العصـــر الجاهلي، ص278 . عسكر.

(2) ديوان السليك بن السلكة، ص62 .

(3) خليف، يوسف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص110 .

(4) عمرو بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص121 .(السمائم: حر الشمس)

(5) ديوان عروة بن الورد، ص72-71 .

يعني الشاعر بقوله من كل سوداء المعاصم ؛ أي مواضع السوار في اليد، لأنه يريد أن يبين أنها جهدت من الجدب، والجهد، والهزال، فلم تلبس قفازين على يديها، ولم تصن نفسها، فجاء اللون الأسود في اليدين رمزاً للجهد، والجوع، والبرد، واصطلاء النار.

وقال عروة بن الورد في اللون الأسود على الأنامل:[1]

قَعِيدَكِ عَمْرَ اللهِ هَلْ تَعْلَمِيْنَنِي كَرِيمَاً إِذَا اسْوَدَّ الأَنَامِلُ أَزْهَرَا

يقسم الشاعر بِعمرِ الله إنه إذا جاء الشتاء واشتد البرد، واسودت أنامل الناس، ومعاصمهم من الوقود، واقشعرت جلودهم، فإنه سيبقى أزهرا، أي أبيض اللون، لا يحتاج إلى الوقود، أي أن عروة كريماً لم يُبقِ بيده طعاماً، ولا مالاً؛ لأنه يعطيه للفقراء، والمحتاجين، فيقعد فقيراً لا يملك الطعام، فلا يستطع اصطلاء النار مثل بقية الناس، فجاء اللون الأسود في الأنامل دلالة على الغنى وسعة العيش، وجاء اللون الأبيض رمزاً للفقر، وأتى الشاعر بالتضاد ليبرز المعنى ويقويه.

وجاء اللون الأسود دلالة على الغدر، فقال الشنفرى:[2]

فَطَعْنَةُ خَلْسٍ مِنْكمُ قَدْ تَرَكْتُها تَمُجُّ على أَقْطَارِها سُمَّ أَسْوَدِ

لقد بث الشنفرى حزنه لموت أبيه غدراً، فشبه طعنة خلس خفية غادرة أصابت أباه بالحية السوداء، التي تبخ سمها الغادر فقضت عليه، فجاء اللون الأسود رمزاً للحزن، والتشاؤم، والغدر، والحداد، فاللون الأسود يجسد "النظرة التشاؤمية إلى الحياة، واعتبار جانب الشر فيها أكثر من جانب الخير ".[3]

---

(1) المصدر نفسه، ص60 .

(2) ديوان الشنفرى، ص45.

(3)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص235 .

وجاء اللون الأسود لون القلب، فقال وبرة بن الجحدر المعني الطائي:[1]

نَعَبَ الغرابُ وَلَيْتَهُ لم يَنْعَبِ بالبَيْنِ مِنْ سَلْمى وأمِّ الحوشَبِ

ليتَ الغُرابَ رَمَى حماطَةَ قَلْبِهِ عَمروٌ بأَسهُمِهِ التي لَمْ تُلْغَبِ

يدعو الشاعر على خصمه (عمرو) بالقتل بسهمٍ فاسد يملؤه السم، فيقول ليت الغراب سهمٌ سام يصيب عمرو في حماطة قلبه؛ أي في قلبه الأسود، فجاء اللون الأسود لوناً للغراب الذي يحمل صفة الشؤم، ولوناً للقلب ليكون رمزاً للحقد، والضغينة، والكره.

الحيوان:

قالت العرب في وصف الحيوان الأسود " ليس في الأرض حيواناً من بقر، وثور، وحمار، وفرس وكلب، وإنسان إلا والسواد أشدها شراً وعصياً، وأظهرها قوة وصبراً "[2]، فنجد الشاعر حبيب الأعلم يصف الضباع السوداء في الصحراء، فيقول:[3]

سُود سَحاليلٍ كـأَنَّ جُلُودَهِنَّ ثِيَابُ رَاهِبُ

يصف الشاعر هنا الضباع سوداء اللون بجلودهن وكأنها رهبان تلبس الرداء الأسود، فزادها اللون جمالاً وقوة، فجاء اللون الأسود هنا رمزاً للقوة.

الليل:

لقد جاء الليل بعدة ألفاظ عند صعاليك العصر الجاهلي، وكان يحمل عدة دلالات، منها التشاؤم من شدة الظلمة في الصحراء " فالأسود لون يثير الحزن،

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص303 (نعب الغراب: صاح وصوت، البين: الفراق والبعد، حماطة قلبه: سواده، ألغب السهم السهم الفاسد) .

(2) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـ): الحيوان، ج1، ص157 .

(3) ديوان الهذليين، القسم 2، ص79 (السحاليل: الضباع)

والتشاؤم، والخوف من المجهول؛ لارتباطه بأشياء منفرة في الطبيعة دون سائر الألوان، فهو مرتبط بالليل والظلام"[1].

وقد مدح تأبط شراً صديقه الشنفرى فقال:[2]

وعَارِي الظَّنَابِيبِ مُمْتَدِّ نَوَاشِرُهُ مِدْلَاجِ أَدْهَمَ وَاهِي المَاءِ غَسَّاقِ

أي أن صديقه لا يهمه بطنه، ولا جوعه، ولا مصالح الأبدان، ولكنه كان من ركاب الليل الغساق، وهو شديد الظلمة، فهو عاري الظنابيب؛ أي لا يكسو حرف عظم الساق لحماً دلالة على شدة النحافة، ومدلاج فيسير ليلاً لا يهاب الظلمة الشديدة، فجاء اللون الأسود في الليل مع الهزال والنحافة دلالة على الشقاء، وحياة الصعاليك الصعبة، وكذلك جاء ليجسد قوتهم، وبطشهم، وشجاعتهم.

وجاء الأسود " رمزاً للعنة، وسوء الحظ، والشؤم، فقيل ليلة سوداء "[3]، حيث وصف الشنفرى ليلته بالنحس، فقال الشنفرى:[4]

وَلَيْلَةِ نَحْسٍ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وأَقْطُعَهُ اللاتِي بها يَتَنَبَّلُ

دعستُ على غَطْشٍ وَبَغشٍ وَصُحبَتي سُعَارٌ وإرزِيزٌ وَوَجْرٌ وَأَفْكَلُ

يذكر الشاعر هنا أن ليلته في الصحراء شديدة الظلمة والبرد، فأشعل فيها قوسه؛ ليستدفئ، وقد جاء الشاعر هنا بهذه الصيغة واللفظ، دلالة على حياته المشردة المتعبة، حيث جسد اللون الأسود الحالة الشعورية للشاعر بالشؤم، وسوء الحظ الذي لحق به.

---

(1) علي، رمضان عبده: تاريخ الشرق القديم وحضارته إلى مجيء الاسكندر الأكبر، دار نهضة الشرق، القاهرة، 1997م، ص150

(2) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص136.

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص203 .

(4) ديوان الشنفرى، ص 69.

وقال الشنفرى يفخر بنفسه وقوته في ظلام الليل:[1]

فأيَّمْتُ نِسْوَانَاً وأيْتَمْتُ إلْدَةً وَعُدْتُ كما أبْدَأْتُ واللَّيْلُ ألْيَلُ

يفخر الشاعر بنفسه وقوته أنه غزا بلدةً، وأَيَّمَ نساواناً، أي جعلهن بلا أزواج، وأيتم إلدةً؛ أي جعل الأطفال بلا آباء، ثم عاد كما بدأ أول الهجوم عندما أليل الليل، واشتدت ظلمته، فجاء الليل شديد الظلمة دلالة على شدة حزن النساء اللواتي فقدن أزواجهن، وحزن الأطفال اليتامى، فجاء اللون الأسود رمزاً للحزن، والضياع، وأيقوناً للحداد.

ولقد جاء عمرو بن براقة الهمذاني، فقال:[(2)]

إِذَا اللَّيْلُ أَدْجَى واكْفَهَرَّ ظَلامُهُ وَصَاحَ مِنَ الأَفْراطِ بُوْمٌ جَواثِمُ

يقصد الشاعر إذا أدجى الليل، وزاد ظلامه، وصاح من الأفراط بوم جواثم، فلا يظل في هذا الليل سوى البوم يصيح، حيث يغزو الصعاليك خصومهم، ويقدموا على غاراتهم، حيث الليل المظلم والناس نيام، ففي هذا الوقت لذة الغزو والطعن، فجاء الشاعر بالليل وشدة ظلامه مع البوم الجواثم؛ ليكون ليلاً أسوداً حزيناً، وشؤماً على خصومه، فجاء الأسود " رمزاً للشر، والإجرام، وإثارة الفزع "[(3)].

ووصف عروة بن الورد الليلة المظلمة في الصحراء بالغبراء، كثيرة الخوف، فقال:[(4)]

وَغَبْرَاءَ مَخْشِيَ رَدَاهَا مَخُوفَةٍ أَخُوهَا بِأَسْبَابِ المَنَايَا مُغَرَّرُ

---

(1) المصدر نفسه، ص 70 .

(2) عمر بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص86.

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص202 .

(4) ديوان عروة بن الورد، ص130.

أي ليلة غبراء مظلمة سوداء، من يسلكها يعرض نفسه للموت والهلاك، ولقد سيطر اللون الأسود على طول البيت، فكان رمزاً للخوف من المجهول، والتشاؤم، والحزن.

وقال تأبط شراً في وصف الليل:[1]

وَلَيلٍ بَهيمٍ كُلَّما قُلتُ غَوَّرَت كَواكِبُهُ عَادَتْ فَمَا تَتَزَيَلُ

الليل البهيم هو شديد الظلمة، فكلما امتلأ قلب الشاعر بالأمل لينجلي الليل، وتظهر النجوم، يعود له اليأس، ويطول ليله، فجاء الشاعر بلفظة الليل مع البهيم؛ ليؤكد للمتلقي شدة اليأس المسيطر عليه، فجاء اللون الأسود رمزاً للتشاؤم واليأس.

وجاء الشاعر حبيب الأعلم يصف ليله في الصحراء الذي جاء ليستره، فقال:[2]

دَلَجي إذا ما اللَّيْلُ جَنَّ على المُقَرَّنةِ الحَباحِبُ

يقصد الشاعر أنه إذا جاء الليل وجنت ظلمته، يذهب ليختبئ في الجبال، حيث نلحظ في هذه الصورة المظلمة في سواد الليل أن الشاعر أثار الرعب والفزع في قلب المتلقي؛ ليوضح الحالة الشعورية التي يعيشها في هذا الجبل المخيف، فجاء اللون الأسود لوناً لليل المظلم ورمزاً للخوف.

وجاء اللون الأسود في الجبل رمزاً للقوة والشجاعة، فقال عمرو ذو الكلب:[3]

فأبرح غازياً أهدِي رعيلاً أوم سوادَ طَودٍ ذي نِجالِ

يقصد الشاعر أنه مستمر في الغزو، وسيكون دوماً في المقدمة مع جماعته، فهو يغوص في بطن جبل طود ليلاً، ولا يهاب شيئاً، فجاء اللون الأسود في الليل والجبل؛ ليدلل على القوة والشجاعة.

---

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص160.

(2) ديوان الهذليين، القسم 2، ص82 . (المقرنة: الجبال القريبة من بعضها)

(3) المصدر نفسه، قسم3، ص114 .

وقد جاء اللون الأسود للسير ليلاً ليكون " رمزاً للعدم والسماء الليلية، والظلمات الأرضية لليل السوء، والغم، والحزن، وعدم الإدراك "[1]، فوصف تأبط شراً سيره في الصحراء ليلاً، فقال:[2]

تَعَسَّفْتُهُ بِاللَّيْلِ لَمْ يَهْدِنِي لَهُ دَلِيلٌ وَلَمْ يُحْسِنْ لِيَ النَّعْتَ خَابِرُ

يصف الشاعر نفسه وهو يسير ليلاً بغير علم، ولا هداية، ولا أثر، فلم يَهْدِهِ له دليل، ولم يحسن له خابر، وهو الذي يخبر بالشيء، فجاء الشاعر بلفظة (تعسف) لتدلل على الظلم الذي وقع على تأبط شراً في حياته المشردة، فجاء اللون الأسود ليجسد حالته، فكان رمزاً للغم، والهم، والضياع.

الموت والقبر:

لقد ارتبط السواد بالموت، فقال الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية:" ولما كان الأسود رمزاً للموت، والخراب، وظلمة القبر، فقد أصبح لوناً مكروهاً ينفر منه، ومن هنا جاءت عبارة يوم أسود كناية عن التشاؤم به، وتوقع الشر "[3]، فقال الشنفرى يذكر الموت والقبر:[4]

دَعِينِي وَقُولِي بَعْدُ ما شِئْتِ إِنَّنِي سَيُغْدَى بِنَعْشِي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ

يقصد الشنفرى هنا أن الموت لابد منه، ويوماً ما سوف يدفن في القبر، أي أن الموت آتٍ لا محالة، فيقول: دعيني أفعل ما أشاء، فجاء اللون الأسود رمزاً لليأس، والحزن، والتشاؤم.

---

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص68 – 69 .

(2) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص95.(التعسف: السير ليلاً / جاء في المعجم الوسيط في مادة (تَعَسَّفَ): تَعَسَّفَ في الكلام: تكلَّفَ، وتَعَسَّفَ الطريقَ، وعَن الطَّرِيقِ: عَسَفَ، وتَعَسَّفَ فلانًا: ظلمَهُ)

(3) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد: فقه اللغة وسر العربية، ص107 .

(4) ديوان الشنفرى، ص27 .(نعش: سرير الموت، أغيب: غياهب القبر)

وقال صخر الغي في الموت والقبر:[1]

لَقَد أَجرى لَمِصرَعِهِ تَليدُ و سَاقَتهُ المَنِيَّةُ من أداما

إلى جَدَثٍ بِجَنبِ الجَوّ راسٍ بِهِ ما حَلَّ ثُمَّ بِهِ أَقاما

أي أن الذي يقع لمصرعه تسوقه المنية إلى القبر، فلا خلاص من هذا المكان، فهو راسٍ مقيم فيه، فجاء اللون الأسـود في القبر والموت رمزاً للحزن، وإشـارة إلى كم اليأس، والتشاؤم المسيطر على الشاعر.

ولما كان الميت يغيب في عالم أسـود قاتم، فلا عجب أن نجد الأسـود لوناً للحداد، وقد جاء الأسـود لباسـاً للحداد، حيث نلحظ ذلك من خلال قول عروة بن الورد:[2]

لَبُوسَ ثِيَابَ المَوْتِ حَتَّى إِلَى الَّذِي يُوَائِمُ إِمَّا سَائِمٌ أَوْ مُضَارِعُ

قصد الشاعر هنا أنه لبس ثياب الموت كثيراً، حتى على الذي يوائم؛ أي يوافقه في الرأي، أو على سـائم، وهو الذاهب، أو على المصـارع له، فجاء اللون الأسـود في ثياب الحداد والموت رمزاً للحزن، والهم، والغم.

وجاء اللون الأسـود أيضـاً " في مجال الحقد والكره، يقال للأعداء سـود الأكباد؛ لأن الحقد قد أحرق أكبادهم حتى اسـودت "[3]، وقد أبرز تأبط شـراً هذه الدلالة للون الأسود فقال:[4]

فَقَدْ شَدَّ فِي إِحْدَى يَدَيْهِ كِنَانَةً تَدَاوَى لَهَا فِي أَسْوَدِ القَلْبِ قَادِحُ

---

(1) ديوان الهذليين، قسم 2، ص51 .(الجدث: القبر، الجو: مكان)

(2) ديوان عروة بن الورد، ص176.

(3)علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 5، ص324 .

(4) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص239 .(القادح: العفن في الجرح)

لقد وصف تأبط شراً الفتى الذي صوب عليه الرمح، فأصاب يده، حيث إن الصبي يحمل كنانة فيشد السهم، فينطلق بقوة، تداوي قلوب الأعداء سوداء اللون، وبها عفن من أثر السهام، فجاء الأسود في القلوب الحاقدة العفنة رمزاً للحقد والكره.

وجاء اللون الأسود- أيضاً- رمزاً للظلم، حيث " وُصِفت الفتن والظلم بالسواد..."[1] فقال عمرو بن براقة الهمذاني في ذلك:[2]

فلا تَأمَنَنَّ الدَّهْرَ حُرّاً ظَلَمْتَه فما لَيْلُ مظلومٍ كريمٍ بِنَائِمِ

نلحظ أن الشاعر هنا يعلمنا مما علمته الحياة، فيقول لا تأمن كل حياتك حراً؛ لأن الحر لا ينام على ظلم، أما اللئيم فقد يرتضيه، فجاءت لفظة الليل مع الظلم، والغدر، وعدم الأمان، معبراً عن اللون الأسود، حيث جاء اللون الأسود رمزاً للظلم، والفتن.

وجاء اللون الأسود دلالة على الهموم والمتاعب، فقال عمرو بن براقة الهمذاني:[3]

أكُلَّ عَشِيَّةٍ زَوراءُ تَهوي بِنا في مَظْلِمِ الغَمرات سَأجِ

أي أن الشاعر كل ليلة تحفه الغمرات، وهي الشدة، والهم، والمتاعب، فشبه الشاعر المتاعب والهموم بالليل الساجِ المظلم، فجاء اللون الأسود هنا رمزاً للحزن، والهم، والغم.

أما عند الشاعر فضالة بن شريك الأسدي، فذكر الليل وسواده فقال:[4]

أقولُ لغِلْمَتِي شُدُّوا رِكَابِيَ أجَاوِزْ بَطْنَ مكّة في سَوَادِ

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص229 .

(2) عمر بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص108.

(3) عمر بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص90.

(4) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج12، ص71-78.

أي أن الشـــاعر يقول للفتيان إنه يخرج من مكة في هذا الليل الدامس، فالليل يستره ويخفيه، فجاء اللون الأسود هنا رمزاً للغموض.

وبهذا يتبين أن للون الأسـود دلالات متناقضـة، منها الإيجابية، ومنها السـلبية، فهو لون الشعر عند الشباب، واللون المحبب في حوراء العين، ولون الزينة والغواية في الكحل، والمسـك. أما عند مجيئه لوناً للبشـرة، فيكسـو صـاحبه بالعار، والنقيصـة، وَوضـــعة الشـــأن، وجاء لوناً لليل، والقبر، والموت، ولباس الحداد، فجاء رمزاً للهم والحزن، وجـاء لونـاً للحيوان، ووحوش الصـــحراء، فهو في الفرس رمز للقوة، وفي الوحوش أشرسها.

ولقد كثر اللون الأسود عند الشعراء في العصر الجاهلي، حيث ورد حوالي مائة وأربع عشـرة مرة عند شـعراء هذا العصـر، كان أكثرها عند الشـاعرين الشـنفرى وتأبط شـراً؛ ربما لأنهما كانا الأقرب لبعضـهم، حيث ورد اللون عندهما سـتاً وعشـرين مرة، فجاء اللون الأسـود عند الشـنفرى لون الكحل والليل، وكان رمزاً للسـم القاتل، والموت والقبر، وجاء عند تأبط شـــراً لوناً للجبل والليل البهيم، ورمزاً للموت والقبر، وجاء في القلوب رمزاً للحقد والضغينة.

أما عند عروة بن الورد، فورد عنده اللون الأسـود تسـع عشـرة مرة، حيث كان لوناً لليدين دلالة على الجهد والتعب، وجاء- أيضـــاً- رمزاً للكرم؛ لكثرة إيقاد النار، وجاء في العيون الحور والكحل فيها، وجاء لون الليل والقبر. أما عند الشـــاعر عمرو بن براقة الهمذاني، فقد ورد اللون الأسـود اثنتي عشـرة مرة، فقد وردت جلها في الليل وظلامه الدامس، ومرة واحدة ورد في وجوه أصـدقائه الصـعاليك، فكان رمزاً للشـقاء تحت حر الشمس، وذلك يدلل على مدى شقاء الشاعر، وشؤمه، وحياته الصعبة.

أما عند الشـاعر قيس بن حدادية، فقد ورد اللون الأسود عنده إحدى عشرة مرة، فكان لوناً للفرس، وللباســـه في الحرب، ولون الكحل في العين، ولليل وظلامه، والقبر والموت. أما عند الشـاعر السـليك بن السـلكة، فقد ورد اللون الأسـود عنده سـبع مرات،

ثلاث مرات دالة على لون جسده الذي وصمه بالعار وَوضعة الشأن، وأربع مرات ذكر فيها الليل وسيره فيه، ونلحظ أن السليك مقارنةً بالشعراء الصعاليك كان قليلاً ما يذكر اللون الأسود؛ وذلك بسب كرهه له؛ لأنه سبب صعلكته، فهو اللون الذي ورثه عن أمه السلكة فكان شؤماً عليه.

أما عند فضالة بن شريك الأسدي، فقد ورد اللون الأسود عنده أربع مرات، فجاء لوناً للوجه دلالةً على الحزن والهم، وجاء لوناً لليل الحالك، ولقد ورد اللون الأسود عند الشاعر أبو الطمحان القيني ثلاث مرات، فكان لوناً لشعره في شبابه، فوصفه بالغداف، ولوناً لليل. وورد عند صخر الغي ثلاث مرات، فجاء لوناً لليل، والقبر، والموت. أما عند مالك بن حريم، فقد ورد اللون الأسود عنده مرتين، فكان لون شعره قبل المشيب. وعند الشاعر أبو خراش الهذلي، ورد اللون مرتين أيضاً، فكان رمزاً للشؤم والموت، وورد عند حبيب الأعلم مرتين، فكان لوناً للحيوان والليل، وجاء عند الشاعر عمرو ذي الكلب مرة واحدة، فكان لوناً للجبل، وجاء أيضاً مرة واحدة عند الشاعر وبرة بن الجحدر الطائي؛ ليكون لوناً للقلب رامزاً للحقد والكره.

وبهذا نلحظ أن اللون الأسود كثر في دلالته السلبية سواء كان بالموت، أو القبر، أو ليلهم الدامس، وذلك يجسد لنا مدى تشاؤم الشعراء الصعاليك بسبب حياتهم المشردة، وفقرهم، وبعدهم عن قبيلتهم، حيث انعكس كل ذلك بشكل مباشر على أشعارهم كما رأينا.

اللون الأخضر:

يُعَدُ اللون الأخضر الأكثر انتشار فيما حولنا، فهو لون الطبيعة، ولأنه لون الطبيعة كان من أكثر الألوان التي تبعث الراحة، والسكون، والتفاؤل في النفس، فهو لون الخصب والنماء، كما أنه لون الفرح، والوفرة، والاستقرار, والحياة. تقول كلود عبيد في كتاب " الألوان": " إن الأخضر قيمة معتدلة، وسيطة بين الساخن، والبارد،

والعالي، والهابط هو لون مسكن، ومنعش، وإنساني "[1]، وقد جاء اللون الأخضر عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي بعدة دلالات، منها:

آلات الحرب:

لقد جاء اللون الأخضر لوناً لآلات الحرب، فاستخدمه السليك بن السلكة، فقال:[2]

ويَجْعَلُ عيَنَيه رَبِيئَةَ قلْبهِ إلى سَلّةٍ منْ حَدِّ أَخْضَرَ بَاتِكِ

والربيئة هنا هي طليعة الجيش التي ترقب العدو، وقصد الشاعر أن يجعل عينه طليعة قلبه، وضربة من حد السيف الأخضر الباتك القاطع، فالأخضر هو السيف، فجاء الأخضر" رمزاً للحياة والخصوبة "[3]، ففي الحرب إن لم تَقتُل تُقتَل، فتكتب لك حياة جديدة، أما خصوبة السيف فهي دلالة على كثرة المعارك، وقد جاء الأخضر في السيف " رمزاً للقوة "[4].

ونلحظ أن اللون الأخضر في هذا البيت الشعري أخذ دلالات عدة، فجاء رمزاً للقوة، والبطش، والخصوبة، والاستمرارية، وجاء رمزاً للغضب أيضاً.

الطبيعة:

جاء الأخضر في التراث الشعبي مرتبطاً بالخصب الذي يبعث على التفاؤل، والجمال المستمد من جمال الطبيعة، فوصف عروة بن الورد أهداف غاراته، فقال:[5]

فَيَوْمَاً عَلَى نَجْدٍ وَغاراتِ أَهْلِها ويَوْمًا بِأَرضٍ ذاتِ شَثٍّ وَعَرْعَرِ

---

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص92.

(2) ديوان السليك بن السلكة، ص73.

(3) عبيد، كلود: الألوان، ص94 .

(4) المرجع نفسه، ص93 .

(5) ديوان عروة بن الورد، ص84 .

نلحظ أن الشاعر ذكر أنواعاً مختلفة من النبات، وهي دائمة الخضرة، والتجدد؛ لتكن رمزاً لقوته واستمراريته في غاراته وفتكه بخصمه، أيضاً ذكر الشاعر شجر الشث مر الطعم، ليتناسب مع حياته الصعبة المريرة المتقلبة، لذا جاء اللون الأخضر هنا ليدلل على استمرارية الغارات والقتال عند الصعاليك.

ويصف الشنفرى طريقه من خلال قوله:[1]

تَعَسَّفْتُ مِنْهُ بَعْدَ مَا سَقَطَ النَّدَى غَمَالِيلَ يَخْشى عَيْلَهَا المُتَعَسِّفُ

يقصد الشاعر في هذا البيت خطورة طريقه التي يمشي بها بلا هداية في الروابي، حيث الشجر الكثيف، والأُسود التي تعيش فيه، فهو مكان مخيف خطير، فجاء اللون الأخضر ليكون شاهداً على شجاعة الشنفرى وقوته.

وقال الشاعر صخر الغي يصف الغيل في الطبيعة:[2]

فَخَاتَت غَزَالاً جَائِمَاً بَصُرتَ به لَدَى سَمُراتٍ عندَ أَدْمَاءَ سَارِبِ

يصف الشاعر الحيوانات في الطبيعة، حيث الغزال بين السمرات في الغيل، وبجواره الظبية سارية مطمئنة، فنلحظ أن الشاعر جاء بالذكر (الغزال) وألحقه بالإناث (أدماء) ليدلل على الثنائي في الحياة، وأن الأنثى تجد الهدوء والسكينة في كنف الذكر، فجاء اللون الأخضر في الطبيعة رمزاً للهدوء، والسكينة، والطمأنينة التي يفتقدها الشاعر.

الإنسان:

لقد جاء اللون الأخضر في الإنسان بعدة دلالات، حيث جاء ليدلل على التجدد والنماء، ففي يوم كان عروة في غزوةٍ له، فحط عند أهل كنيف، وهو مكان حظيرة من

(1) ديوان الشنفري، ص55.(تعسفت: ركبت من غير هداية، غماليل: الروابي)

(2) ديوان الهذليين، قسم2، ص56 .(سمرات: شجرات)

الشـــجر، أو من الخشـــب تُتّخَذ للإبل والغنم لتقيها من البرد والريح، فوجد عليهم من الفقر والبؤس الكثير، فأخذ يطعمهم من بعيره، فأنشد لهم هذا البيت، فقال:[1]

لَعَلَّكُمُ أَن تُصلِحوا بَعدَما أَرَى نَبَاتَ العِضاة المُقْبِلِ المُتَرَوِّحِ

فالعضـــاة هنا هي كل ما كان من شـــجر البر له شـــوك من طلح، وهو كثير الورق، وشديد الخضرة، فقد شبه عروة أصحاب الكنيف بالعضاة التي تتجدد، فقال لهم لعلكم تصـــلحون بعدما كنتم به من جهد، وهزال، وتنبت لحومكم، كما صـــلحت هذه العضاة بعد اليبس، فجاء اللون الأخضر رمزاً للتجدد، والبعث، والحياة.

ويوظف أمير الصـــعاليك عروة بن الورد اللون الأخضـــر، ليدل على العفة، والسمعة العطرة، فقال:[2]

صَبُورًا عَلَى رُزْءِ المَوَالِي، وَحَافِظًا لِعِرْضِيَ حَتَّى يُؤْكَلَ النَّبْتُ أَخْضَرَا

يقصـــد الشـــاعر أنه ما زال محافظاً على عرضـــه من الدم، إذا جاءت ألســـنة الناس، فلم يزل نظيفاً حتى تنقضـــي الســـنة، ويقبل الخصـــب، ويورق الشـــجر، ويعود العود الأخضر بعد اليبس، كما نلحظ أن الشاعر ذكر اللون الأخضر مع الحفاظ على الشرف، فجاء الأخضر رمزاً " للنبل والشرف "[3]، والعفة، والطهارة .

الحيوان:

وظف عروة بن الورد اللون الأخضرمن خلال فخره بفرسه، حيث نلحظ ذلك من خلال قوله:[4]

أَسْهَلْتُ وانْتَصَبْتُ كَجِذْعِ مُنِيفَةٍ جَرْدَاْءَ يَحْصَرُ دُونَهَا جُرَّامُهَا

---

(1) ديوان عروة بن الورد، ص101-102.

(2) المصدر نفسه، ص61 .

(3) عبيد، كلود: الألوان، ص94 .

(4) ديوان عروة بن الورد، ص54.

أي أنه سار في سهلٍ، ورفع عنق فرسه، فكان كجذع نخلة عالية قليلة الأغصان، فيضيق صدور الذين يريدون قطع حملها لعجزهم عن ارتفاعها، فجاء الأخضر هنا ليؤكد" ثقة الشاعر في قيمته الذاتية، وتعاليه على الآخرين، وإحساسه بالزهو عليهم، وبالقدرة على التحكم بالأحداث، أو توجيهها، وحب السيطرة والسيادة "[1].

ولقد وصف عروة الماعز في فصل الربيع، فقال:[2]

سَمِنَّ عَلى الرَبِيعِ فَهُنَّ ضُبْطٌ لَهُنَّ لَبَالِبٌ تَحْتَ السِخَالِ

هنا يصف الشاعر الماعز وقد أكلن الربيع، فوافقهن نباته، فسمنن عليه، فهن ضبط: أي أقوياء سمان ضخَام، ولبالب تحمي سخالها، فجاء اللون الأخضر " رمزاً للدفاع والمحافظة على النفس، كما أنه يمثل التجدد والنمو "[3].

ولقد شبه تأبط شراً الضباع وهن يهاجمنه بجماعة البقر، فقال في ذلك:[4]

وَلَقَدْ عَلِمْتُ لَتَعْدُوَنَّ عَلَيَّ شِيمٌ كَالحَسَائِلْ

يَأْكُلْنَ أَوْصَالاً وَلَحْمَاً كَالشُّكَاعَى غَيرَ جَادِلْ

يقول الشاعر إن الضباع يأكلن اللحم كما تأكل الحسائل الشكاعي، وهي نبت أو شجيرات صغيرة ذات شوك حاد رفيع، ولعله اختار هذا النوع من النبات؛ ليجسد مدى صعوبة عيشه في الصحراء، فحياته مؤلمة كالشوك الحاد المؤلم، فجاء هذا التصوير للنبات الصحراوي مع الضباع المفترسة " ليرمز إلى القطبية السالبة في اللون الأخضر، وهو الموت "[5].

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص232 .

(2) ديوان عروة بن الورد، ص125.

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص185

(4) ديوان تأبط شراً وأخباره: ص 195 .

(5) عبيد، كلود: الألوان، ص105

أما الشاعر تأبط شراً، فقد افتخر بشجاعته من خلال قوله:[1]

وَيَـوْمـاً عَلى أَهْلِ المَوَاشِـي وَتَـارَةً لِأَهْلِ رَكيبٍ مِن ثَـميلٍ وَسُـنْبُلِ

يفخر الشاعر في هذا البيت بقوته وشجاعته، وأنه ليس ضعيفاً، وأنه غاز فاتك، يُغِير يوماً على أهل المواشـــي، والرعيان(البدو)، ويوماً على أهل الركيب؛ أي أهل الحضر، ولم يسلم منه أحد، فجاء الأخضر رمزاً لاستمرارية الغزو وتجدده.

وقد " أثبتت الدراسات النفسية أن اللون الأخضر يبعث في النفس الاسترخاء، ويخفف توتر الأعصـاب والعضـلات، ويسـاعد على تركيز الفكر "[2]، فقال تأبط شـرا في ذلك:[3]

فَقُلْتُ لَهَا: يَوْمَانِ؛ يَوْمُ إِقَامَةٍ أَهُزُّ بِهِ غُصْنًا مِنَ البَانِ أَخْضَرَا

وَيَوْمٌ أَهُزُّ السَّيْفَ فِي جِيدِ أَغْيَدٍ لَهُ نِسْوَةٌ لَمْ تَلْقَ مِنِّيَ أَنْكَرَا

هنا يوجه الشـــاعر كلامه لأم مالك التي تزعجه في كلامها، فتقول له ما لي أراك أصـــبحت أشـــعث أغبر بعد ما كنت براقاً، فقال لها حياتي يومان: يوم إقامة في الحي لا أغير فيها، وأكون في راحة أهز غصـناً أخضـر، ويوم أهز السـيف؛ أي أغير وأفتك، ولم تجد النسـاء مثلي ماكراً، والمكر هو الدهاء، فجاء اللون الأخضـر هنا رمزاً للراحة والاسترخاء.

وإذا كان اللون الأبيض عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي رمزاً للعديد من الخصال الحسنة، فإن " الأخضر رمز النبل والشرف "[4]، ورمزاً للكرم أيضاً، وقد عبر تأبط شراً عن الخصال الحسنة بالسهل الأخضر، فقال في ذلك:[5]

---

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره: ص177.(الركيب: الأرض الخضراء)

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص151 .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص100

(4) عبيد، كلود: الألوان، ص94 .

(5) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص90.

فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصَّفَا بِهِ جُؤْجُؤٌ عَبْلٌ وَمَتْنٌ مخَصَّرُ

فَخَالَطَ سَهْلَ الأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَدْحَةٌ وَالْمَوْتُ خَزْيانُ يَنْظُرُ

لقد شبه الشاعر الصفات الحسنة كالأرض الخضراء التي لا تتأثر بالخصلة القبيحة، فجاء اللون الأخضر هنا رمزاً للشرف، والعفة، وللكرم.

أما في وصف المرأة، فقد قال تأبط شراً:[1]

فَإِذَا تَقُومُ فَصَعْدَةٌ فِي رَمْلَةٍ لَبِدَتْ بِرَيِّقِ دِيمَةٍ لَمْ تُغْدِقِ

وفي مناسبة هذا البيت، فإن الشاعر قد ساق المرأة والإبل، حتى نزل قناة يطلق عليها صعدة، كانت المرأة تسير أمامه فوصفها، فقال: كأنها نبتة خضراء في الأرض، روتها ديمة؛ أي سحابة لينة ليست بالشديدة المغدِقَة، فجاء اللون الأخضر هنا " رمزاً للحيوية والشباب "[2].

ولقد وصف الشنفرى جمال محبوبته، وطيب أخلاقها، فقال:[3]

فَبِتْنَا كَأَنَّ البَيْتَ حُجِّرَ فَوْقَنَا بِرَيْحَانَةٍ رِيحَتْ عِشَاءً وَطُلَّتِ

بِرَيحانَةٍ مِن بَطْنِ حَلْيَةَ نَوَّرَتْ لَها أَرَجٌ ما حَوْلَهَا غَيرُ مُسْنِتِ

هنا يريد الشاعر أن يقول بأن محبوبته طيبة الرائحة والسمعة، فجاء اللون الأخضر رمزاً للجمال، والشباب، والحيوية، والمتعة. والضمير (نا) في (بتنا) يدلل على المشاركة في اللهو والمتعة الجسدية، المتعة التي يريد من خلالها السيطرة على مرور الزمن السريع من خلال قوله (حُجِّر).

وبهذا يتبين أن اللون الأخضر عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي قد تعددت دلالاته، فقد كان لوناً لآلات الحرب مثل: السيف والقوس، ولوناً للطبيعة رمزاً الخصوبة، وجاء لوناً للحيوان إشارة لعنفوانه، وقوته، وجاء رمزاً للشجاعة، والقوة،

---

(1) المصدر نفسه، ص146.

(2) عبيد، كلود: الألوان، ص98 .

(3) ديوان الشنفرى، ص33 – 34.(دقت: صغرت، جلت: سمنت، اسكبرت: اعتدلت)

والنشـــاط، والحيوية، وجاء في وصـــف المرأة، وجمالها, وهو في كل هذه المعاني المتعددة يؤكد قوة جسد الشنفرى في القتال، وفي السيطرة على عناصر الطبيعة، وفي التمسك بغريزة الحياة في جسد المحبوبة.[1]

لقد ورد اللون الأــخضر عند الصعاليك في العصر الجاهلي ما يقارب من ست وثلاثين مرة، وكان أكثر حضـوراً عند الشـاعر عروة بن الورد، حيث ذُكِر في قصـائده عشر مرات، ويرجع السبب في ذلك لكرمه الذي عرف به بين الصعاليك، حيث " كان يســمى عروة الصـــعاليك، وذلك لأنه كان يجمع صـــعاليك العرب، ويقوم بأمرهم إذا أخفقوا، ولم يكن لهم معاش ومغذى "[2]، حيث ورد اللون الأخضـــر عنده دالاً على الخضــرة، والخصــوبة في الطبيعة، كما جاء رمزاً للكرم، والأخلاق الحســنة، وقد ورد اللون الأخضر عند تأبط شراً سبع مرات، حيث جاء رمزاً للراحة، والاسترخاء، ووصف به المرأة رمزاً لليونة، والشباب، ووصف به الأرض رمزاً للسهولة في السير.

أما عند الشـــنفرى، فورد اللون الأخضـــر عنده خمس مرات، فجاء لون القوس المغبر بالخضـــرة، ولون الغيل، وهو الشـــجر الكثيف، وجاء رمزاً للأخلاق الحســـنة، والجمال في محبوبته. ولقد ورد اللون عند الشـــاعر أبو الطمحان القيني أربع مرات، فجاء في لفظ جديد وهو الوشم، وقد فسر الباحثون ذلك " بأن الشاعر يحاول أن يخلق بقدرة الوشـــم حالة من الحياة الدائمة والمســـتمرة عبر الزمن "[3]، ويرى الباحث فايز

---

(1) ينظر: يعقوب، عبد الكريم، وغيثاء قادرة: صوت الجسد الفاعل في شعر الشنفرى، مجلة جامعة تشرين للدراسات البحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، مج25، ع12، 2003م، ص7.

(2) جبوري، كامل: معجم الشعراء في معجم البلدان، مكتبة لبنان، ط 1، 2002م، ص479 .

(3) ينظر: القرعان، فايز عارف سليمان: الوشم والوشي في الشعر الجاهلي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998م، ص95-117.

القرعان " بأن الوشم في لوحة الأطلال يرتبط بالمرأة؛ لأن المرأة هي التي تنجب، ومن ثم لها الفضل في حفظ الحياة، واستمراريتها "[1].

كما جاء اللون الأخضر تعبيراً عن الطبيعة وخصوبتها، وخاصة ذِكر شجر الدوم الصلب الثابت في الأرض. أما عند الشاعر مالك بن حريم الهمذاني، فقد ورد اللون الأخضر عنده أربع مرات، منها نبات الخطاب، وهو الحنظل، حيث شبه حياته به، ثم ذكر ربيع الشباب، وقد جاء رمزاً للحيوية والنشاط. وورد اللون الأخضر عند الشاعر السليك بن السلكة ثلاث مرات، حيث جاء رمزاً لخصوبة سيفه، وكثرة حروبه، وجاء رمزاً للخصوبة، والخضرة أيضاً. أما عند الشاعر قيس بن حدادية، فجاء اللون الأخضر مرة واحدة بلفظة غصون، فكانت رمزاً للهدوء والاسترخاء، وذكر عند صخر الغي مرة واحدة، فكان رمزاً للهدوء والسكينة، وعند الشاعر عمرو ذي الكلب مرة واحدة أيضاً، وكان في وصف الطبيعة، ولم يذكر اللون الأخضر عن الشعراء أبو خراش الهذلي، وفضالة بن شريك الأسدي، وعمرو بن براقة، وحبيب الأعلم؛ وذلك بسبب حياتهم الصعبة المشردة، والتي يعمها القحط والفقر.

اللون الرمادي:

لقد عبر الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي عن اللون الرمادي بعدة ألفاظ غير مباشرة، فعبر الشنفرى عنه بلون الكدر، فقال:[2]

وَتَشْرَبُ أَسآرِي القَطَا الكُدْرُ بَعْدَمَا سَرَتْ قَرَباً أَحْنَاؤها تَتَصَلْصَلُ

يقصد الشاعر هنا الكدرة التي تنحو إلى السواد، والتصلصل من العطش، والقطا نوع من الطيور، وهو أسرع أنواعها يعيش في الصحراء، حيث إن منقاره ورجليه لونهما رمادي، وبيضه مرقط، فيفخر الشاعر بسرعته، وأنه يسبق طير القطا، فشرب

(1) ينظر: المرجع نفسه، ص112-115.

(2) ديوان الشنفرى، ص66 .

الماء قبله، وترك له البقية المتســـخ، فجاء اللون الرمادي في الماء الكدر لوناً للطير؛ ليبرز لنا شـخصـية الشـاعر " فهو متحفظ شـديد الحذر "[1] فاللون الرمادي "هو رمز الدهاء "[2]، كما أنه " يرمز هذا اللون في المســـيحية إلى يوم البعث، وهو لون الرماد والضـــباب، وكان العبريون يغمرون أنفســـهم بالرماد تعبيراً عن الهم العميق، وهو في الغرب لون النصف حداد "[3]، فالشنفرى في قلبه حرقة مقتل أبيه، حيث يريد الانتقام.

ولقد استخدم الشنفرى لون الغبرة كدليل على اللون الرمادي، فقال:[4]

وَنَعْلٍ كَأَشْلَاءِ السُّمَانَي تَرَكْتُهَا عَلَى جَنْبِ مَوْرٍ كَالنَّحِيزَةِ أَغْبَرَا

أراد الشاعر هنا أن نعله مثل أشلاء اللحم من طير السماني، وهو مغبر، دلالة على القدم والفقر، وقد اختار الشـــاعر هذا النوع من الطير؛ لأنه يشـــبهه في التنقل والترحال من مكان لآخر، وليكون رمزاً للتشتت، والتشرد، وعدم الاستقرار.

وشـبه الشـنفرى نفســه بالذئب المغبر؛ أي نحيل الجسـد الجائع الذي يتنقل بين الفلوات للبحث عن الطعام فقال:[5]

وأَغْدُو على القُوتِ الزَّهِيدِ كما غَدَا أَزَلُّ تَهَادَاهُ التنَائِفَ أَطْحَلُ

لقد شـــبه الشـــاعر نفســـه بالذئب الأزل نحيل الجســـم الجائع، الذي يتنقل بين الفلوات المغبرة بحثاً عن الطعام، فجاء اللون الرمادي في لفظة (أطحل) رمزاً للحزن، والفقر، والجوع، والتشرد، والصبر، فالذئاب التي استشهد بها الشنفرى ليس بعيداً عنها،

---

(1) حلمي، فدوى: ألوانك دليل شـخصـيتك، دار اليازوري العلمية للنشـر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007م، ص49 .

(2) جواد، فاتن عبد الجبار: اللون لعبة ســيميائية (بحث إجرائي في تشـــكيل المعنى الشـــعري) ط1، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، 2010م، ص46.

(3) عبيد، كلود: الألوان، ص115.

(4) ديوان الشـــنفرى، ص46، (الأشـــلاء: القطع من اللحم، الســـماني: نوع من الطيور، النحيزة: قطعة من الخشب)

(5) المصدر نفسه، ص63.(أزل: الذئب النحيل)

بل إنه كان واحداً منها، وما صوت الذئاب إلا صوت نفس الشاعر التي يعلوها الهزال والتعب، فقد ذابت أحاسيسه في أجساد الذئاب لعله يرتدي رداء الصبر[1].

ويقول الشاعر صخر الغي يصف الغيم كثير المطر:[2]

لَـهُ مَاتِـحُ وَلَـهُ نَـازِعُ يَـحُشَّـان بَالدَّلْـوِ مـاءً خَسِيْفَ

يقول الشـــاعر إن الغيم كثير المطر، وكأنه دلو، فيخرج ما في البئر من حمأة وماء قذر، فجاء اللون الرمادي رمزاً للحزن، والاضطراب الذي يعاني منه الشاعر.

ونجد تأبط شراً قد عبر عن اللون الرمادي بالأغبر، من خلال قوله:[3]

أَلا عَجِبَ الفِتْيَانُ مِن أُمِّ مَالِكٍ تَقُوْلُ لَقَد أَصبَحتَ أَشعَثَ أَغبَرا

ويقصـــد بأشـــعث أغبر: أي منكوش الشـــعر مغبر، وقد أراد الشـــاعر بيان أنه أصـبح هزيلاً مغبراً منكوش الشـعر بعدما عهدته معشـوقته أم مالك رجلاً براقاً أيسـراً، وهنا جاء اللون الرمادي بلفظة (أغبر) للدلالة على تغير الحال من الراحة، والنعمة، واليسر إلى الشقاء، والكآبة، والوحدة، والاضطراب.

وقد عبر تأبط شراً عن حزنه وحداده على صديقه الشنفرى، فقال:[4]

وَحَرَّمْتُ السِّبَاءَ وَإِنْ أُحِلَّتْ بِشَوْرٍ أَوْ بِمِزْجٍ أَوْ لِصَابِ

حَياتي أَو أَزورَ بَني عُتَيرٍ وَكاهِلُها بِجَمعٍ ذي ضَبابِ

ذكر الشـاعر أنه حرم على نفسـه الخمر وإن مزجت بالعسـل والماء العذب، إلى أن يأخذ بثأر صـــديقه من كبير بني عتير الذي يلتف حوله الجمع الأكبر الذي يثير

---

(1) يعقوب، عبد الكريم، وغيثاء قادرة: صوت الجسد الفاعل في شعر الشنفرى، ص 11. ينظر:

(2) ديوان الهذليين، قسم2، ص73 .

(3) ديوان الشنفرى، ص98.

(4) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص68-69.

الضــباب، وهنا جاءت لفظة الضــباب مع حزنه، وحداده على صــديقه رمزاً " للحزن، والوحدة، والحداد "[1].

أما عروة بن الورد فعبر عن اللون الرمادي بلون الغبرة، فقال:[2]

أَقَبَّ وَمِخْمَاصَ الشِّتَاءِ مُرَزَّأً إِذَا اغْبَرَّ أَوْلَادُ الأَذِلَّةِ أَسْفَرَا

يقول الشــاعر إذا كان الشــتاء، واشــتدت الســنة، آثرت الأضــياف بما عندي، فطويت بطني لهم، ولم تكن همتي الأكل، فيعظم بطني مرزأ، أي ينال مني، ويصــاب الخير، ولا يخيب مثل اللئيم، ويغبر أولادهم من بخلهم وضــيقهم، وأســفِر أنا، أي على نورٍ؛ لسعة قلبي وإيثاري على نفسي، فجاء اللون الرمادي هنا رمزاً للبخل واللؤم.

ويقول عروة أيضاً:[3]

فَلَا قَصْرَ حَتَى يفرجَ الغَيثَ من أوى إلى جَنْبِ رَحلي كُلُّ أَشعَثَ أغبَرَ

يتمنى الشــاعر أن يعود إلى منزله، حتى يســتقبل الغيث؛ ليعم الفرج، فيزيل كل أشــعث أغبر، ويقصــد الصــعاليك الذين معه، فجاء باللون الرمادي لوناً للغبرة؛ ليدلل على الكآبة، والحزن، والضــيق الذي يعيشــه الشــاعر في حياته المشــردة في هذه الصحراء.

أما الشاعر أبو الطمحان القيني، فيذكر اللون الرمادي من خلال قوله:[4]

إذا شَاءَ رَاعِيها اِستَقَى مِن وَقيعَةٍ كَعَينِ الغُرابِ صَفْوُها لَم يُكَدَّرِ

وإنّي لأَرْجُو مِلْحَها في بُطُونِكُمْ وما بَسَطَتْ من جلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرِ

لقد نفي الشــاعر صــفة الكدر عن الماء، فيقول غير مكدر؛ أي أنه صــافٍ، ويخاطب الشاعر الذين أخذو إبله بعد أن شربوا من لبنها في ضيافته، فقال أرجو أن

---

(1) ينظر: عبيد، كلود: الألوان، ص115 .

(2) ديوان عروة بن الورد، ص62 (الأقب: ضامر البطن، مخماص: جائع)

(3) ديوان عروة بن الورد، ص89.

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص317.

يعطفكم ذلك فتردوها، لقد جاء الشاعر باللون الرمادي في (الأغبر) مع غدر الضيوف الذين أكرمهم، وقدم لهم اللبن، إلا أنهم سـرقوا إبله، فجاء اللون الرمادي رمزاً للغدر، وعبر أيضاً عن " حزن الشاعر، وانزعاجه، وضجره "[1].

أيضاً أضفى أبو الطمحان اللون الرمادي في وصفه للحيوان، فقال:[2]

أَذلِكَ أَم جَأْبُ النُّسالَةِ قارِحٌ يَطوفُ عَلى وُرقٍ خِفافٍ حَوائِلِ

فالجأب هنا هو حمار الوحش الغليظ الذي شق نابه، حيث يتميز بلونه الرمادي، رغم ما يسقط منه من وبر، ويسير حول شجرة من الحوائل، وهي الشجرة التي تحمل عاماً، ولا تحمل العام الآخر، فهي متقلبة متغيرة غير مستقرة، فجاء اللون الرمادي صفة لحمار الوحشي الصغير مع النسالة المتساقطة والشجرة العقيم؛ ليبرز حالة الضياع، واليأس، والفقدان التي تسيطر على الشاعر.

وقد جاء الشاعر تأبط شراً باللون الرمادي من خلال فخره بنفسه، حيث يقول:[3]

ولستُ بِرَاعِي ثَلَّةٍ قَامَ وَسْطَهَا طَوِيْلِ العَصَا غُرْنَيْقِ ضَحْلٍ مُرَسِّلِ

لقد نفي الشاعر عن نفسه الخمول، فهو ليس راعياً للغنم خاملاً كطائر الغرنيق في الماء الطحل، وهو طائر يختار الماء المتسخ ليشرب منه، فجاء اللون الرمادي رمزاً لوضاعة الشأن.

يتبين لنا من خلال ما سبق أن اللون الرمادي عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي كانت أغلب دلالاته تدور حول اليقظة الشديدة، وكثرة الترحال

---

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص116 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص325(جأب: غليظ / ورد في المعجم الوسيط في مادة (جاب): قَطَعَ وَسَطَهُ، وجاب خَرَقَه، وجاب النعلَ: قَدَّها، وجاب الصَّخرةَ: نقبها، النسالة: ما سقط من وبره، قرح: شق نابه، الورق: لونه بين البياض والسواد كلون الرماد، حوائل: جمع حائل:هي التي لم تحمل / ورد في المعجم الوسيط في مادة (حائِل): هو المتغير، وحائل: كل أنثى لا تحمل) .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص173 .

والتشـــرد، وعدم الاســـتقرار، والجوع، والحزن، والكآبة، والحداد، والاضـــطراب، والفقر، والبخل، ووضاعة الشأن، حيث ورد اللون الرمادي عند هؤلاء الشعراء أربع عشرة مرة، أربع مرات عند كل من الشـــنفرى، وأبي الطمحان القيني، حيث ورد عندهما اللون الرمادي أربع مرات، فجاء عند الشـــنفرى بلون الغبرة، والأطحل، والكدرة، وكان رمزاً للجوع، ووضـــاعة الشـــأن. أما عند أبو الطمحان القيني، فجاء لوناً للحيوان، وجاء بصـيغة النفي، لينفي الكدرة عن عين الغراب. أما عند الشـاعر تأبط شـراً، فورد اللون الرمادي مرتين، حيث كان رمزاً للفقر، وكثرة المصـــائب، وورد عند عروة بن الورد مرتين بلفظة أغبر، فكان رمزاً للفقر، والتشـــرد، وعدم الاســـتقرار، وورد عند الشـــاعر صخر الغي مرتين، فكان لوناً للماء المتسخ، ولوناً للضباب والزيف.

ويمكن القول إن اللون الرمادي قلّ في أشـــعار الصـــعاليك، ولم يرد عند كثير منهم؛ لأن دلالة الرمادي في الذهن ســـلبية، فهو أحياناً يعزز معنى عدم الالتزام، ويثير معاني المراوغة،" والرفض، والتهرب من المسـؤوليات "[1]، ويتصـف بالغموض، وعدم الوضوح، واللامبالاة، والملل، والوحدة، والعزلة.

اللون الأسمر:

لقد ورد ذكر اللون الأسـمر بصـورة قليلة جداً عند الصـعاليك الجاهليين، فنجد تأبط شراً قد استخدمه للدلالة على آلات الحرب، فقال:[2]

لأطرُدُ نَهْباً أو نَزُورُ بفِتْيةٍ بِأيْمانِهِمْ سُمْرُ القَنَا والعقَائِقُ

يقسـم الشـاعر بالله إنه سـيثأر لصـاحبه الشـنفرى، وقد ذكر سـمر القنا، وهي الرماح، والعقائق، وهي السيوف، حيث جمع الشاعر آلتين للحرب مع الفتية الأشداء؛

(1) حجازي، أحمد: تأثير العطور والألوان على نفســية الإنســان، ط1، دار عالم الثقافة للنشــر والتوزيع، الأردن، 2001م، ص127.

(2) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص123.

ليبرز مدى قوته، وإصراره على الأخذ بثأر صديقه الشنفرى، فجاء اللون الأسمر هنا رمزاً لحزنه على صديقه، كما كان رمزاً للقوة والإصرار.

وذكر الشاعر عروة بن الورد اللون الأسمر بمعنى الرمح، فقال:[1]

بِكُلِّ رُقَاقِ الشَفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ وَلَدْنٍ مِنَ الخَطِّيِّ قَدْ طُرَّ أَسْمَرَا

يقصد الشاعر برقاق الشفرتين، هي السيوف الرقيقة الشفرتين، وهي رمز للحدة، حيث يقول الشاعر وقد سن الأسمر الذي أخذت قناته من الغابة حتى نضج، ويبس، وقَوَّمته حتى أصبح أسمر اللون، فجاء اللون الأسمر رمزاً للقوة والصلابة.

وكذلك ورد اللون الأسمر عند الشاعر صخر الغي فقال:[2]

أطافَ بِهِ حَتَّى رَمَاهُ وَقَدْ دَنَا بِأَسْمَرَ مَفْتُوقٍ مِن النَّبلِ صَائِبِ

أي أنه أقبل على عدوه برمحٍ مفتوق عريض النصل صائب هدفه، فجاء اللون الأسمر اسماً للرمح، ليدلل على القوة والصلابة.

ولقد ذكر الشاعر قيس بن حدادية الرمح بلفظ الأسمر، فقال:[3]

وَسُمرِ الرِماحِ وَجُردِ الجِيادِ عَلَيها فَوارِسُ صِدقٍ نُجُبْ

لقد لون الشاعر الرماح باللون الأسمر مع الجياد القوية، والفوارس الأقوياء؛ لترمز للقوة، والبطش، والانتصار على خصمها.

أما عمرو ذو الكلب فقد شبه ترسه الأسمر كأنه مصنوعاً من جلد ثور أصم تنكسر عليه النصال فقال:[4]

وأَسمَرَ مُجْنَأً من جِلدِ ثورٍ أَصَمَّ مفلَّلا ظُبَةَ النبالِ

---

(1) ديوان عروة بن الورد، ص 135.

(2) ديوان الهذليين، قسم2، ص55 .

(3) ديوان الأغاني للأصفهاني: ج14، ص147.

(4) ديوان الهذليين، القسم 3، ص116 .

وقد ورد ذكر لفظة أسمر عند أبو الطمحان القيني في الحيوان، فوصف الثور الوحشي، فقال:[1]

بِأَسْمَرَ لَدْنٍ حَارِدَاتٍ كُعُوبُهُ يَشُكُّ بِهَا الأَعْضَادَ شَظْفَ الرَّحَائِلِ

لقد وصف الشاعر الثور الوحشي بلونه الأسمر، فشبه قرنيه بالقناة، ووصف أيضاً الأعضاد الصلبة اليابسة والسرج، فجاء اللون الأسود لوناً للثور، ليدل على قوته وشراسته.

ولقد ذكر السليك بن السلكة اللون الأسمر بلفظ جديد في الإنسان في لون البشرة، فقال:[2]

وَتَبَسَّمَ عَنْ أَلْمَى اللِّثَاتِ، مُفَلَّجٍ خليق الثَّنايا بِالعذوبَةِ والبَرْدِ

لقد مدح العرب الرجل الذي يمتلك البشرة السمراء مع تباعد الأسنان، فهو يتباهى بلثته السمراء، وعندما يتبسم تظهر أسنانه المتباعدة، فجاء اللون الأسمر هنا رمزاً للجمال العربي "وخصوصاً في عالم النساء، ولهذا له أهمية، وموقعه الخاص في عالم الأزياء وجمال البشرة"[3].

وبهذا يتبين أن اللون الأسمر لم يرد كثيراً عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، إذ لم يرد إلا سبع مرات، مرتان عند الشاعر تأبط شراً، لآلة الحرب(الرمح)، دلالة على القوة والبطش، ومرة واحدة عند كل من عروة بن الورد، وقيس بن حدادية، وأبو الطمحان القيني، وصخر الغي، ليدل على القوة، وورد مرة واحدة فقط عند السليك بن السلكة رمزاً للجمال.

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص325.

(2) ديوان السليك بن السلكة، ص51.(ألمى: أسمر، مفلج: متباعد الأسنان)

(3) المصري، نائل درويش سليمان: سيمياء الألوان في شعر بلند الحيدري، ص155.

اللون الأشقر:

الشُّـقْرَةُ مصـدر الأَشْـقَرِ، والفعل شَـقُرَ يَشْـقُرُ شُـقْرَةً، وهو الأحمر من الدواب الصـحاح "[1] ولم يرد اللون الأشقر في شـعر الصـعاليك في العصـر الجاهلي إلا في موضـعين، دلالة على قوة الفرس، حيث يقول تأبط شراً عن فرسه الأشقر الذي يتحمل الشدة والحروب:[2]

وَأَشْقَرُ غَيْدَاقُ الجِرَاءِ كَأَنَّـهُ عُقَابٌ تَدَلَّى بَيْنَ نِيقَيْنِ كَاسِر

أراد الشاعر أن الذي يفرج غمه هو فرسه الأشقر، وهو شديد الجَرْي مع قوسه وسيفه، فجاء اللون الأشقر رمزاً للقوة والشدة.

وقال السليك بن السلكة عن الفرس الأشقر:[3]

تَفَاقَدْتُمُ هَلْ أُنْكِرَنَّ مُغِيرَةً مَعَ الصُّبْحِ، يَهْدِيهِنَّ أَشْقَرُ مُغْرِبُ

أراد الشـاعر هنا الدعاء على عدوه بالفقد والضـياع، فقال هل أنكر شـدة سـرعة الفرس الأشقر، فالفرس الأشقر مُغرب، أي يبعد في جريه ويسرع، فجاء اللون الأشقر هنا رمزاً للشدة، والسرعة، والقوة.

ويبدو أن اللون الأشقر لم يكن متداولاً بين الشعراء العرب في العصر الجاهلي؛ لعدم شـــهرته، ولاقترانه بالمجتمعات الأوروبية، ودلالته جمالية تتعلق بشـــعر المرأة أو بشرتها، وهي من السمات التي تزيد المرأة جمالاً، " فوردت الشقرة دالةً على الأجنبية، وتعنى تلك الدلالة الغدر، والبغض، والعداوة "[4].

---

(1) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، مادة (ش. ق. ر)

(2) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص82.

(3) ديوان السليك بن السلكة، ص48.

(4) الزواهرة، ظاهر محمد هزاع: اللون ودلالاته في الشعر " الشعر الأردني نموذجاً "، ص130.

المبحث الثاني

سيميائية الألوان الفرعية عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي

اللون الأبيض:

لقد ورد اللون الأبيض عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي بدلالات عدة، منها الإيجابية، وأخرى السلبية، فجاء في الطبيعة، والإنسان، والحيوان، وآلات الحرب، وغيرها

آلات الحرب:

لقد وصف القتال الكلابي سيفه بأنه ذو عُرْف وإنكار، حيث أنقذه من أسدٍ مفترش ذراعيه على طريقه، فامتطى سيفه، وحمل على الأسد فقتله، حيث قال في ذلك:[1]

أَخي العُرْفِ وَالإنكارِ يَعلُوكَ وَقْعَةً بِأَبيَضَ سَقّاطٍ وَراءَ الضَّرَائِبِ

أي أن السيف يستخدم في العرف والخير الذي تطمئن له النفس، وفي الإنكار والشر، وهو ذو حالين مختلفين خير وشر، وهو السقاط القاطع، يضرب فيصِل إلى الأرض، فهو ذو قوة ضاربة قتل الأسد، واخترق الأرض، فجاء الأبيض هنا رمزاً للتفاؤل والنصر؛ لأن الشاعر وُلد من جديد بقضائه على الأسد.

ويفخر القتال الكلابي بنفسه، وأمه، وسيفه القاطع فيقول:[2]

أَمَلْتُ لَهُ كَفّي بِأَبيَضَ صارِمٍ حُسامٍ إِذا ما صادَفَ العَظْمَ صَمَّمَا

---

(1) ديوان القتال الكلابي، ص38.

(2) المصدر نفسه، ص90.(الصارم: القاطع، المصمم: الذي يمر في العظام قاطعاً، المتهضم: تهضم حقوقه ويضام جانبه)

بكفِّ امرئٍ لم تخدمِ الحَيَّ أُمُّهُ أخي نَجَداتٍ لم يكُنْ مُتَهَضَّمَا

يصف الشاعر كيف قضى على خصمه، حيث أمال بكفه بالسيف القاطع على خصمه فقطع عظمه قطعاً، فبكفه يقاتل جميع أعدائه، فهو الذي له ولأمه مكانة رفيعة بين الحي، فلم تكن أمه خادمة، ولم يكن هو مهضوم الحق، فبقوته وسيفه يأخذ حقه، فجاء اللون الأبيض اسماً للسيف، ودلالة على حدة السيف، وقوته، وبريقه، ورمزاً لرفعة الشأن والنسب .

وقال الشاعر السمهري العكلي*:[1]

لأجْتَنِبَنْها أو لَيَبْتَدِرُنَّني بِبِيضٍ عَلَيها الأثْرُ فُقْمٌ كلامُهَا

يقصد الشاعر أنه سوف يتجنب حبيبته؛ خوفاً من أن يقتله أهلها بسيوف بيض لها بريق ورونق، وفقم كلامها؛ أي اعوجاج في الأسنان لا يفصح كلام صاحبها، فجاء الأبيض هنا دلالة على قوة السيوف وبريقها، وأيضاً جاء دلالة على نقاء شرف محبوبته، وأهلها، فالشاعر لا يستطيع محادثها وإلا قتلوه.

وقد فخر الشاعر جعفر بن علبة الحارثي بسيفه في الحرب عندما تشتد، فقال:[2]

فَفَرَّجَ عَنَّا اللهُ مَرْحَى عَدوّنا وَضَرْبٌ بِبيضِ المَشْرَفِيَّةِ خابِلُ
إذا ما رُصِدْنا مَرْصداً فَرَّجَتْ لنا بأيمانِنا بِيضٌ جَلَتْها الصَّياقِلُ

---

* **السمهري العكلي:** هو السمهري بن بشر بن أقيس العكلي، أبوه جحدر لا يُعرف شيء عن حياته، ولا مولده، ولا الأسباب للصوصيته، ولكنه قتل شخصاً، فطلبوه للثأر فهرب، وسجن بعد ذلك، ثم هرب من السجن، وعاش في تشرد واغتراب . ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج21، ص233-234 .

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص282 .(ابتدروني: بادروني، الأثر:بريق السيف، الفقم: اعوجاج في الأسنان)

(2) المرجع نفسه، ص192.

أي أن الله فرج عنا الحرب مع عدونا بقوة السيوف البيض المشرفية، وهي سيوف منسوبة في صناعتها لقرية مشارف باليمن، وتعد أشهر السيوف في الجاهلية، واستمرت شهرتها في الإسلام، ومعنى قوله خابل؛ أي مفسد في جراحه، فإذا تأزمت الحرب فرجت بأيماننا، والسيوف المصقولة، فجاء اللون الأبيض دلالة على القوة، وحدة السيف، وتفاؤلاً بالفرج من عند الله، لذا كان " الأبيض رمزاً للطهر والتفاؤل "[1].

وقد وصف الشاعر حريث الطائي السيوف البيض بالمرهفات، فقال:[2]

بِبِيْضٍ خِفافٍ مُرْهَفاتٍ قَواطِعٍ لِداودَ فيها أَثْرُهُ وخواتِمُهْ

أي أن السيوف في أيديهم خفيفة رقيقة وكأنها بيدِ سيدنا داوود، حيث قال تعالى في سورة سبأ: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ [3]، حيث كان يشكل الحديد كما يشاء، فعلمه صناعة المعدات العسكرية، وأيده سبحانه وتعالى بالقوة والشجاعة، وبرز هنا أثر الدين الإسلامي، حيث استند الشاعر لمعجزة سيدنا داوود في هذا البيت الشعري، فجاء اللون الأبيض مع الإشارة لمعجزة سيدنا داوود رمزاً للقوة والانتصار.

ووظف الشاعر حريث بن عناب الطائي اللون الأبيض، فقال:[4]

ضَرَبناكُمُ حَتّى إذا قامَ مَيْلُكُم ضَرَبْنا العِدَى عَنكُم بِبِيْضٍ صَوارِمِ

أي لما خالفتمونا ضربناكم بالسيوف القواطع حتى استقمتم لنا، وتابعتمونا، فلما صرتم إلى ذلك ضربنا العِدى عنكم، والبيض الصوارم هي السيوف القواطع، فجاء الشاعر بلفظة البيض بالجمع؛ ليدلل على الكثرة، وألحقها بصفة الصوارم رمزاً لحدتها

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص205 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص224.

(3) سورة سبأ، آية 10 .

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص225(الميل: الاعوجاج عن طريق الحق، قام: استقام، الصوارم: القواطع) .

وقوتها، وجاء اللون الأبيض هنا رمزاً للإصـــلاح، والطهارة، حيث قوَّموهم وأصـــلحوا حالهم.

وقد فخر المرار الفقعسي ببريق سيفه، فقال:[1]

فأَجلَيْنَ عن بَرْقٍ أضاءَ عَقيرةً فيالكَ ذُعراً أيّ ساعةِ مَذْعرِ

فبريق ســيفه يضـــيء العقيرة من الصـــيد، وبذلك البريق يدب الذعر في قلوب الخصوم، فجاء البرق مع خوف الخصوم، لما للبرق من مخاطر، حيث قال تعالـــى: ﴿ هُوَالَّذِييُرِيكُمُالْبَرْقَخَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِـئُالسَّـحَابَالثِّقَالَ ﴾ [2] فجاء الخوف مصـــاحباً للبرق، فجاء اللون الأبيض هنا رمزاً للخوف.

الطبيعة:

لقد جاء اللون الأبيض في صـورته المباشـرة وغير المباشـرة، للدلالة على بعض مكونات الطبيعة من غيث، وسحاب، ونجوم، وصباح مشرق.

فوصـف السـمهري العكلي ضـوء الصـبح بالحادي، كيف لا وهو الونيس بعد عتمة الليل، فقال:[3]

وَقُلتُ لَهُ إِذْ حَلَّ يَسْقي وَيَسْتَقي وَقَدْ كانَ ضَوْءُ الصُّبْحِ لِلَّيْلِ حَادِيا

يقصـد الشـاعر هنا صـديقه، فيطلب منه أن يسـتقي إذا حل، وقد بدا ضـوء الصـبح، والذي يبشـر بيومٍ جديد بعد ليلٍ وظلمة، فجاء اللون الأبيض متمثلاً بضـوء الصبح يحمل معه النور، وبداية يوم جديد صافٍ نقي يحمل في كنفه التفاؤل والأمل.

---

(1) المرجع نفسه، ج2، ص229. (لعَقِيرَةُ: ما عُقِرَ من صَيْدٍ أَو غَيْرِهِ، فآجلين: انكشف مثل البرق)

(2) سورة الرعد، آية 12 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص286.

وجاء اللون الأبيض عند جحدر العكلي في بزوغ الصـــباح ليجدد الأمل، فقال:[1]

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى مَضَى اللَيلُ كُلُّهُ وَلاحَتْ هَوادِي الصُّبْحِ لِلمُتَأَمِّلِ

يقول الشاعر سرت بهم ليلاً حتى انجلى الليل كله، وبدأت هوادي الصبح، وهي أول الصـــباح والإشـــراق، وأتى بكلمة (للمتأمل) لبيان جمال الصـــبح، وما يعطي من أمل، فجاء اللون الأبيض رمزاً للأمل، والتفاؤل، والنشاط، والنقاء، والصفاء.

وذكر المرار الفقعسي بعض عناصر الطبيعة، وهي النجوم من خلال قوله:[2]

ويَوْمٍ مِنَ النَّجْمِ مُسْتَوْقِدٍ يَسُوقُ إلى المَوْتِ نُوْرَ الظِّبَاءِ

أي عندما طلعت الثريا تســـاق الظباء إلى كنســـها، فشـــبه الكنس بالقبور لها، وجعلها كالموتى، حيث إن طلوع النجوم تنذر بقدوم الليل، فجاء النجم الأبيض هنا بدلالة سلبية، حيث جاء رمزاً للتشاؤم، ودلالة على انتهاء العمر.

وذكر طمهان الكلابي النجوم، فقال في ذلك:[3]

وكَأَنَّما جَفَلَ القَطَا بِرِحَالِنَا وَاللَّيْلُ قَدْ تَبِعَ النُّجُومَ فَمَالا

أراد الشاعر طير القطا الذي يعيش في الصحراء، فمن شدة سرعة الركب تجفل القطا من وقع أقدامهم، والليل خاف، فاتبع النجوم في مغيبها فمال وانجلى، فأشـــرق الصباح، وبدأ النشاط، فجاء اللون الأبيض متمثلاً بنور الصباح رمزاً للتفاؤل والأمل .

ويأتي جحدر المحرزي العكلي ليدعو لســـاكني الســـجن بالســـقيا، وأن ينزل الله الغيث عليهم، فقال في ذلك:[4]

سَقْياً لِسِجنِكَ مِن سِجنٍ وَساكِنِهِ بِديمَةٍ مِن ذِهابِ الماءِ مِدرارِ

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص167.

(2) المرجع نفسه، ج2، ص204.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص344.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص159.

يدعو الشاعر بالديمة، وهي المطر الذي فيه سكون لا رعد ولا برق، والأمطار اللينة، والماء المدرار الغزير للسجن، فالشاعر يتمنى الخروج من السجن وفك كربه، والشعور بالراحة والسكينة، فجاء اللون الأبيض بصورة غير مباشرة في بعض الكلمات مثل: (ديمة، ذهاب، الماء المدرار) ليدلل على التفاؤل، والأمل في الخروج من السجن.

الإنسان:

لقد جاء اللون الأبيض عند ذكره في الإنسان دلالة على الكرم، ونقاء العرض، والعفة، والجمال، وجاء أيضاً دلالة على الكبر في لون شيب الرأس، وغيرها من الدلالات، وقد جاء اللون الأبيض رمزاً للخصال الكريمة، حيث قال أحمد مختار عمر: " لقد استخدم العرب البياض للمدح، والكرم، ونقاء العرض من العيوب "[1]، فجاء الشاعر مالك بن الريب يمدح سعيد بن عثمان، فقال في ذلك:[2]

لِيَهْنِكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ لَكَ عائِباً سِوَى حاسِدٍ والحاسِدُونَ كَثِيرُ

وَأَنَّكَ مِثْلُ الغَيْثِ أَما نَباتُهُ فَظِلٌّ وَأَمَّا ماؤُهُ فَطَهورُ

يدعو الشاعر لممدوحه بأن تكون حياته هنية، فهو حسن الخلق، ولا يوجد به عيب سوى كثر حاسديه، وإنه كغيث السماء في كرمه، يحيى الأرض، وينبت الزرع من جديد، فهو كثير العطاء للفقراء والمحتاجين، فجاء اللون الأبيض متمثلاً في الغيث، ولون الماء الطاهر؛ ليدلل على الكرم، والعطاء، وحسن الخلق.

ونلحظ القتال الكلابي يمدح نقاء عرض محبوبته وحسن خلقها، من خلال قوله:[3]

فَصَدَّتْ حَيَاءً وَالمَوَدَّةُ بَيْنَنَا وَأَبْيَضُ بَلٌّ بِالظَّعَائِنِ حَابِسُ

---

(1)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 69 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص157.

(3) القتال الكلابي، ص67 (بل: الرجل الأبيض)

يقصد الشاعر أن محبوبته شديدة الحياء، وكثيرة العفة، وكان ذلك سبباً لرفضها المودة بينه وبينها، فظلت حبيسة الظعائن في هودجها، ولها حارس رجل أبيض شديد الخصومة والجدل، فجاءت المودة، والحياء، والعفة مع بياض حارسها رمزاً لنقاء عرضها وطهارتها.

وقد تغزل السمهري العكلي بمحبوبته ليلى، فقال في ذلك:[1]

وبَيْضاءَ مِكْسالٍ كعُوبٍ خَرِيْدَةٍ لَذِيذٌ لدَى لَيلِ التِّمام شِمَامُها

كأنَّ ومِيضَ البَرقِ بَيْنِي وبَيْنَها إذا حانَ من بَيْنِ الحَدِيثِ ابتسامُها

استخدم السمهري هنا اللون الأبيض صفة للجمال والطهارة، فقال إن محبوبته بيضاء العرض حرة واضحة، فهي مترفة تخدمها النساء، ولم يكتفِ الشاعر بهذا القدر من الجمال الروحي لمحبوبته، فوصف أسنانها، فشبهها بالبرق في لمعانه؛ لشدة بياضه ونقائه، إذ يسعى اللون الأبيض في هذا البيت إلى تكريس دلالة البراءة، والنقاء، والعفة، والجمال، وهي الدلالات التي يحظى بها اللون في الذاكرة الاجتماعية، فاللون هو الذي منح الصورة هذا البعد الدلالي.

وقد وصف الخطيم المحرزي عيونه الدامعة الباكية من الفراق، والشوق، فشبه دموعه بحبات اللؤلؤ المتفرقة، فقال في ذلك:[2]

وَعَفَّتْ لِجَفْنِ العَينِ جائِلَ عَبرَةٍ كَما ارْفَضَّ نَجمٌ مِن جُمانٍ وَمِن شَذرِ

لقد شبه الشاعر دموعه باللؤلؤ المتفرق الذي يفصله حبات من الخرز؛ ليدلل على حزنه وكثرة دموعه، وشوقه لموضعه، وجاء بالشذر؛ ليدلل على استمرارية الحزن والبكاء، وقد اختار الشاعر اللؤلؤ من بين المجوهرات دلالة على مكانة المكان الذي

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص283.(مكسال، مترفة تخدمها النساء، وخريدةٍ ؛ أي حيية وخجولة خافضة الصوت)

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص243 .(عفت: كثرت، الجمان: حبات من الفضة على شكل اللؤلؤ، والشذر: خرز يفصل به بين الجواهر).

ولد ونشـــأ فيه، وحبه وشـــوقه له، فجاء اللون الأبيض في دموع العين، والتي شـــبهها بحبات اللؤلؤ النفيسـة، رمزاً لشـدة الحزن والشـوق، حيث يسـتدعي الشـاعر تلك الدلالة اللونية من قول الله تعالى واصـــفاً حال يعقوب: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [1]، لبيان شدة حزنه، وأسفه، واستمرار بكائه.

وقال الخطيم المحرزي يصف دموعه:[2]

تَهَلَّلَ مِنها واكِفٌ مَطَرَتْ بِهِ جَمومٌ بِمِلءِ الشَّأْنِ مائِحةُ القَطرِ

لقد صـور الشـاعر دموعه التي تملأ مجراها مثل المياه المائحة، التي تنزل في البئر فتملأ الدلو، كنايـة عن كثرة البكـاء والحزن، فجـاء اللون الأبيض لونـاً للـدموع والماء، ليدلل على شدة الحزن والتشاؤم .

ولقد شبه القتال الكلابي محبوبته بالظبية البيضاء، فقال في ذلك:[3]

يا ظَبيَةً عَطَفَتْ لِآدَمَ شادِنٍ هَلَّا أَوَيتِ لِقَلْبِ شَيْخٍ مُقْصَدِ

يطلب الشـــاعر من حبيبته العطف عليه، والرفق بقلبه، فهي شـــديدة الجمال كالشـــادن الأبيض، فقد رمته بســـهام الحب فلم تخطئ منه مقتلاً، فجاء اللون الأبيض صـــفة للمحبوبـة، ورمزاً للجمال، والعفة، ونقاء العرض، وجاء أيضـــاً ليدلل على الاستسلام والمهادنة لقلب العاشق لمعشوقته.

ولطالما أخذت المرأة عنواناً غزلياً حسياً يطرقه الشعراء، فخلطوا " بين أوصاف المرأة وبين عاطفتهم، فهم لا يفهمون الغزل إلا في لذة حســـية لدى المرأة في ثغرها الجميل "[4]، يقول

---

(1) سورة يوسف، آية 84 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص244 .

(3) ديوان القتال الكلابي، ص41 (الشادن: ابن الظبية، الأدمة في الظباء البياض)

(4) زكي، أحمد كمال: شـــعر الهذليين في العصـــرين الجاهلي والإســـلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1969م، ص160 .

جحدر بن علبة الحارثي يصف محبوبته وأسنانها البيض:[1]

وما أَنْسَ مِ الأَشْياءِ لا أَنْسَ قَوْلَها وقَدْ زَلَّ عَنْ غُرِّ الثَّنايا لِثَامُهَا

أي أن الشـــاعر لا يأنس بشـــيء في الحياة إلا عندما يزول اللثام عن أســـنان محبوبته البيض، فجاء الأبيض أو(الغر) رمزاً للجمال، والنقاء، والأنس، والسكينة.

وقد أعجب الشـــاعر مالك بن الريب بالنســـاء البيض الســـمان وهن على البئر، فقال في ذلك:[2]

وقُوماً عَلَى بِئرِ السُّمَيْنةِ أَسْمِعا بِها الغُرَّ والبِيضَ الحِسانَ الرَّوانِيا

يقول الشـــاعر إنه رأى النســـاء البيض الســـمان على البئر، رمزاً على الصـــحة الجيدة، فالنساء جميلات لسمنتهن وبياضهن، فجاء اللون الأبيض يحمل صفة الجمال والحسن عند المرأة.

ووصف المرار الفقعسي المرأة العفيفة، فقال في ذلك:[3]

بِيضٌ يُزيّنُها النَّعِيْمُ كأنَّها بَقَرُ الصَّرِيْمِ عَوانِسٌ وعَذارِي

وكفى حَداثَتها عَفافُ جُيوبِها رَقْبَ العُيُونِ رَعِيَّةَ المِغْيارِ

يَنْفَخْنَ بِالآصالِ كُلَّ عَشِيّةٍ نَفْحَ الرِّياضِ بِحَنْوَةٍ وعَرارِ

يقصـد الشـاعر إن النســاء البيض ذوات الســمعة الطيبة، والنقيات من العيب، وهن في سن الشباب تزداد عفتهن، ونقاء عرضهن، فهن مصونات، فقد شبه الشاعر المرأة العفيفة بنبات الحنوة والعرار الذي ينشـــر الريح الطيبة، فجاء الأبيض في لفظه المباشر وغير المباشر؛ ليكون رمزاً للعفة، والطهارة، ونقاء العرض.

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص195 (الثنايا: الأسنان في مقدمة الفم) .

(2) المرجع نفسه، ج2، ص182.

(3) المرجع نفسه، ج2، ص233 (البيض: النقية من العيب، الحداثة: سن الشباب).

أيضاً المرار الفقعسي وصف الجارية البيضاء، فقال في ذلك:[1]

بَيضاءُ مُطْعَمَةُ الملاحَةِ مِثْلُها لَهْوَ الجَلِيْسِ وَغِرَّةُ المُتَفَرِّسِ

أراد الشـــاعر أن الجارية بيضـــاء جميلة حســـنة المنظر، فالناظر إليها يطيل النظر، فهي جليس يغري المتفرس أو الناظر، فالبياض في بشرة هذه الجارية جاء رمزاً للجمال، حيث إن الشعراء العرب كانوا يفخرون بسباياهم البيض فيتغزلون بجمالهن.

وقد قال الشـــاعر الخطيم المحرزي يجســـد هذه المقولة، حيث تذكر أيامه الجميلة في الصبا مع حبيبته، فقال:[2]

وَلَكِنَّنِي أَبْصَرْتُ مِنها مَلاحَةً وَوَجهاً نَقِيَّاً لَونُهُ غَيرُ أَنكَدا

مِنَ الخَفِراتِ البِيضِ خَمصانَةِ الحَشا ثِقال الخُطا تَكسُو الفَرِيدَ المُقَلَّدا

لقد أحب الشاعر فتاة تدعى غرة، حيث استحوذت على فؤاده، وأذهبت لبه، ولم يرَ منها إلا الملاحة؛ أي الحسن، والوجه النقي الأبيض الصافي، الذي لا يلونه الكدر، وهي من الخفرات البيض؛ أي النساء الحييات ضامرات البطن، تمشي بوقار ورزانة، ويكسو عنقها عقد من الفريد، وهو الفضة اللامعة، فنلحظ أن الشاعر أعطى صورة متكاملة لجمال معشـــوقته، فطغى على الأبيات اللون الأبيض الذي جاء رمزاً للنقاء، والجمال، والطهارة، والعزة.

وقال الأحيمر السعدي يصف أصحابه بوجوههم البيض:[3]

مَعي فِتْيَةٌ بِيضُ الوجوهِ كَأَنَّهُم عَلى الرَّحْلِ فَوقَ النَّاعِجاتِ بُدُورُ

يقصـــد الشـــاعر أن معه فتية كالبدور، فيقول: لو طال ليلي في الصـــحراء، فجمالهم، وكرمهم كبير، مثل الإبل البيضـــاء، فجاء " البياض في الوجه رمزاً على

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص 237.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص235.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص58.

نقائه، وصفائه، وإشراقه "[1]، فالقصد من وصف وجوه الفتية بهذه الصورة المشرقة التأثير في المتلقي، حتى يدعوه إلى إدراك اللون من خلال جماليته ودلالاته التي توقظ النفس.

أما عبيد بن أيوب العنبري، فقد ذكر خيال محبوبته الآتي ليلاً، فقال:[2]

أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ أُمَيْمَةَ طَارِقٌ وَقَدْ تَلِيَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غُبَّرُ

فَيا فَرَحاً لِلمُدلِجِ الزَّائِرِ الَّذي أَتانِي في رَيطاتِهِ يَتَبَخْتَرُ

لقد تخيل الشاعر محبوبته آتية له ليلاً، ترتدي عباءة بيضاء، وتتبختر، وتختال أمامه، فاختار الشاعر للملاءة اللون الأبيض، رمزاً لنقاء عرض محبوبته وطهارتها، " حيث يُعد اللباس الأبيض لباس الحج والعمرة، ويعني الصفاء والنقاء "[3]، أو لأنه لباس العروس يوم زفافها، فهي ترتدي اللون الأبيض أملاً بأن تكون حياتها سعيدة، وتفاؤلاً بالمستقبل.

وقد مدح الطمهان شيب بني أمية، حيث فضلهم عن غيرهم، من الشيب وكبار السن، فقال في ذلك:[4]

فَمُرْدُ بَنِي أُمَيَّةَ خَيْرُ مُرْدٍ وَشِيْبُ بَنِي أُمَيَّةَ خَيْرُ شِيْبِ

يقول الشاعر إن الشاب في بني أمية خير الشباب، والشيب الذي انتشر في رأسه شعر أبيض خير الشيب، فالشيب في الرأس كناية عن كبر السن، حيث جاء اللون الأبيض هنا رمزاً للوقار، والعزة، ورفعة الشأن.

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص41 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص393 (رياطه: جمع ريطه، وهي الملاءة البيضاء)

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص164 .

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص350 (المرد: الشاب الذي بلغ خروج لحيته)

وقال الطمهان يهجو بني جعفر :[1]

ذَهَبَ المَآكِلُ وَالسِّنُونَ وَجَعْفَرٌ بيضُ الوُجوهِ نَقِيَّةُ الأَبْصَارِ

يقول الشـــاعر لبني جعفر: لا تبخلوا في الطعام، فإنه يعود قذراً، فالمأكل والمشرب يذهب، وتبقى الوجوه البيضاء النقية، نلحظ هنا أن الشاعر تأثر بما جاء في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾[2]، وجاء الشـــاعر" باللون الأبيض في الوجوه كناية عن الكرم، ونقاء العرض، ورمزاً للفوز في الآخرة نتيجة العمل الصالح في الدنيا "[3]

أما عند الشـــاعر طمهان بن عمرو الكلابي، فقد أتى باللون الأبيض بدلالته السلبية، حيث ذكر الشيب في رأسه، والذي كان سبب فراقه مع حبيبته، فقالت العرب قديماً " فإذا نزل المشيب ذهبت اللذات، ودنت أوقات الممات "[4]، فقال في ذلك:[5]

وَإِنِّي لِلَيْلَى بَعْدَ شَيْبِ مَفَارِقِي وَبَعْدَ تَحَنِّي أَعْظُمِي لَصَدِيْقُ

لهنا يذكر الشاعر أن الشيب في رأسه كان سبباً في الفراق واللوعة، فجاء اللون الأبيض رمزاً لليأس والحزن.

الحيوان:

لقد عرفت العرب أن الأبيض في الحيوان هي الكرام منها، فذكر القتال الكلابي ناقته البيضاء التي تتحمل مشقة السفر، فقال في ذلك:[6]

وَأُدمٍ كَثيرانِ الصَريمِ تَكَلَّفَت لِظِبيَة حَتّى زُرنَنا وَهيَ طُلَّحُ

---

(1) ديوان القتال الكلابي، ص61.

سورة آل عمران، آية 107 . (2)

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 164 .

عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص208 . (4)

(5) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص340.

(6) ديوان القتال الكلابي، ص39 (الأدمة: الناقة البيضاء، كثيران الصريم: القطعة الضخمة)

يفخر الشاعر بناقته شديدة البياض، فهي كالقطعة الضخمة تمشي فوق الرمال في الصحراء، أما الطلح أو البعير فقد أعياه السفر وأرهقه، فجاء اللون الأبيض لوناً للناقة، ليدلل على قوتها وتحملها.

وقال القتال الكلابي أيضاً يصف الظبية البيضاء:[1]

يَا أُمَّ أَعْيَنَ شَادِنٍ خَذَلَتْ بِهِ عَيْنَاءُ فَاضِحَةٌ بِهَا تَرْقِيمُ

أي أن الظبية جميلة شديدة البياض عيناها واسعتان مع تخطيط جميل يأسر القلوب، فجاء اللون الأبيض هنا للدلالة على الجمال والنقاء.

ولقد وصف جحدر العكلي أنياب الليث، فقال في ذلك:[2]

وكَأَنَّما خِيْطَتْ عَلَيْهِ عَباءَةٌ بَرْقاءُ أَوْ خَلْقٌ مِنَ الدِّيباجِ

يقصد الشاعر أن أنياب الليث تبرق كبرق السحاب، كأنما خيطت عليه عباءة من الديباج، وهو ثوبٌ من الحريرِ الأبيض، فيبرز اللون الأبيض هنا كناية عن قوة أنياب الليث وحدتها.

واختار الشاعر الخطيم المحرزي فرسه الأغر ذا جبهة بيضاء، فقال في ذلك:[3]

دَنا لِي فَأَعْدانِي وقالَ وقَدْ بَدَتْ شَواهِدُ مَشهُورٍ أَغَرَّ مُحَجَّلِ

لقد أعطى الشاعر وصفاً متكاملاً لفرسه، حيث إن الأبيض لون غرته – فقال الأغر – ولون ساقيه إلى الرسغين، فهو المحجل، ففرسه شاهدٌ، وهو ما يشهد له على سبقه، وجودته، فجاء اللون الأبيض لوناً للفرس الأغر؛ ليدلل على سرعته الفائقة.

أما حريث بن عناب الطائي، فقد وصف السجواء ولبنها الغزير فقال:[4]

---

(1) المصدر نفسه، ص88 (الفاضحة: البيضاء، الترقيم: التخطيط)

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص153.

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص250.

(4) المرجع نفسه،ج1، ص220 (السجواء: الساكنة عند الحلب، البرس: القطن، قادميها: أي تشقق جلد الضروع من حمل اللبن، الرسل: اللبن)

فَقُلْتُ أَجِرَّا نـاقَةَ الضَّيْفِ إِنَّنِي جَديرٌ بِأَنْ تَلْقَى إِنـائـيَ مُتْرَعا
فَما بَرَحَتْ سَجواءَ حَتَّى كَأَنَّما نُـغادِرُ بِالزِّيْزاءِ بِرُساً مُقَطَّعا
كِلا قادِمَيْها يَفْضُلُ الكَفَّ نِصْفُهُ كَجِلْدِ الحُبارَى رِيْشُهُ قَدْ تزَلَّعا
دَفَعْتُ إِلَيْه رِسْلَ كَوْماءَ جَلْدَةٍ وأَغْضَيْتُ عنْه الطَّرفَ حتَّى تَضَلَّعا

يصـف الشـاعر هنا الناقة السـجواء السـاكنة عند حلبها، وضـخامة ضـرعيها الممتلئان من اللبن، فشـبه اللبن الذي يقع على الأرض بقطع القطن، لكثرة دسـامته، فجاء اللون الأبيض لوناً للبن ليدلل على الخير، والرزق الوفير.

لون القيد:

ولقد أطلق السمهري العكلي على القيد لفظ الأشهب، فقال في ذلك:[1]

ألا طَرَقَتْ لَيْلى وساقِي رَهِيْنَةٌ بأَشْهَبَ مَشْدُودٍ عَلَيَّ مَسامِرُهْ

يخاطب الشـاعر محبوبته، فيقول لها: إنها باقية في الذاكرة، فجاءه خيالها ليلاً، وساقه مقيدة بأشهب، وهو قيد أبيض اللون، وقيل له الأشهب لبياض الحديد، فهو مقيد لا يسـتطيع وصـالها، فجاء الشـاعر باللون الأبيض (الأشـهب) رمزاً للحزن المسـيطر عليه.

وبهذا يتبين لنا أن اللون الأبيض قد اسـتخدم بجميع دلالاته الإيجابية منها والسـلبية عند الشـعراء الصـعاليك في العصـر الإسـلامي، فقد كان لوناً للسـيف الذي يستخدم في الحرب دفاعاً، وهجوماً، ولوناً للغيث، والنجوم، وأول النهار، واسماً للجبل، ولوناً للحيوان. أما في الإنسان فجاء رمزاً للكرم، والعفة، والطهارة، ونقاء العرض، وورد رمزاً للجمال في أعضـاء الجسـم (الوجه، الأسـنان، والبنان)، وجاء في الرأس (الشـيب) في دلالتين: الأولى رمزاً للشموخ، والعزة، ورفعة الشـأن. أما في الدلالة الثانية فجاء دالاً على الكبر في السـن واقتراب الأجل، وجاء في دموع العين شـوقاً وحزناً. والجديد

(1) المرجع نفسه، ج1، ص275 .

عند شعراء العصر الإسلامي أن اللون الأبيض جاء دلالة على القيد في لفظ الأشهب لشدة بياض حديده، ورمزاً لإحكام سطوته.

وقد كثر اللون الأبيض عند شـــعراء هذا العصـــر، فقد ورد حوالي مائة وثلاث وعشـــرين مرة، كان أكثرها وروداً عند الشـــاعر القتال الكلابي، حيث ورد عنده بلفظه المباشـــر وغير المباشـــر ما يقارب من خمس وعشـــرين مرة، بدلالات متنوعة ، حيث جاء رمزاً للجمال، والكرم، والصدق، ونقاء العرض، فعبر عنه بضوء الصبح، والندى، والماء، والثلج، والقراطيس، والوجوه البيض، والســـيف، وشـــدة بياض العين في عيون المها. أما عند الشاعر المرار الفقعسي، فقد ورد اللون الأبيض ثماني عشرة مرة، فجاء لوناً للنجوم، والماء، والبرد، والبرق، والســـحاب، والدمقس، وهو الحرير الأبيض، وجاء في الفرس الأغر، ولون الشيب، ودموع العين رمزاً للحزن، وكذلك ورد عند طمهان بن عمرو الكلابي ثماني عشرة مرة أيضـاً، فكان لوناً للنجوم، والسحاب، والرباب، والماء، والمطر، ولون الجبل، فاســـمه يدلل على رفعة الشـــأن، وجاء لوناً للبن، وغزارته رمزاً للكرم، وجاء في سنا الصبح وإشراقه، وجاء لون النعام، والريم، وجاء رمزاً للجمال في المرأة، ولوناً للشيب كإنذار لقرب الأجل والموت.

أما عند الخطيم المحرزي، فقد ورد عنده اللون أربع عشـــرة مرة، فكان لوناً للوجه، والأسنان، ونوار الزهور، والأقاح، وجاء لوناً للمطر، والندى، والنجوم، والقطن، والجمان، وهو حبات اللؤلؤ، فكان رمزاً للجمال، والرفعة، والكرم، والعطاء، ونقاء العرض، وكان في المقابل رمزاً للحزن عندما جاء في دموع العين.

أما عند الشـــاعر جحدر المحرزي العكلي، فقد ورد اللون الأبيض عنده إحدى عشرة مرة، فكان لوناً للبرق، والماء، والصبح، والنهار، واسماً لمدينة الأشراف، فكان رمزاً للعفة، ورفعة الشأن، وورد عند مالك بن الريب إحدى عشرة مرة أيضاً، فجاء رمزاً للســـيف، ولوناً للوجه، والأســـنان رمزاً للجمال، وجاء لوناً للغيث؛ ليكون رمزاً للكرم، والعطاء. أما عند الشاعر السمهري العكلي، فورد اللون ثماني مرات، فكان لوناً لضوء

الصـــبح، والبرق دالاً على التفاؤل، والأمل، وجاء لون القيد الأشـــهب رمزاً لقوة القيد، وجاء لوناً لأسنان محبوبته، رمزاً للجمال. أما عند الشاعر الأحيمر السعدي، فقد ورد اللون الأبيض عنده ست مرات، فكان لوناً للحيوان، والماء، والبدر، والغمام، والسحاب، فكان رمزاً للكرم، والعطاء، والخير، ورفعة الشأن.

أما عند الشـــاعر جعفر بن علبة الحارثي، فقد ورد اللون عنده خمس مرات، فكان اسماً للسيوف المصقولة، ولوناً للصباح رامزاً للأمل، وجاء في أسنان محبوبته؛ ليدلل على جمال ثغرها. وجاء عند الشاعر حريث بن عناب الطائي أربع مرات، فكان اسماً للسيوف، والقطن، واللبن، والريشة، فكان رمزاً للكرم، والعطاء، والخير، ونلحظ أنه أقل وروداً عند الشـــاعر عبيد بن أيوب العنبري، والشـــاعر مســـعود بن خرشـــة التميمي، حيث ورد مرتين تقريباً عند أيوب، ومرة واحدة عند مسعود، فكان في الملاءة البيضـــاء التي ذكرها في خيال محبوبته رمزاً لنقاء عرضـــها، وطهارته، وجاء لوناً للنهار، ورمزاً للتفاؤل والأمل، ولعل السبب في قلة وروده يعود " للتشاؤم الذي سيطر عليه عندما أهدر السلطان دمه، وخلعه قومه، فاستصحب الوحوش، وأنس بها، وآنست به "[1]، أما عند الشاعر عطارد بن قران، فلم نجد له ذكراً، ولعل السبب في ذلك يعود لقلة شعره.

اللون الأسود:

يمتلك هذا اللون ثنائية رمزية متناقضـــة، وقد وظف الشـــعراء الصـــعاليك في العصر الإسلامي هذا اللون من خلال ما يلي:

(1) البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487 هـــ): سمط الآلي في شرح أمالي القالي، ج1، ص384.

الإنسان

لقد جاء اللون الأســـود صـــفة للجمال، حيث وصـــف مالك بن الريب عيون النساء، فقال في ذلك:[1]

إذا الحَيُّ حَلُّوها جَمِيعاً وأَنزلُوا بِها بَقَراً حُمَّ العُيُونِ سَواجِيا

لقد تغزل مالك بن الريب بالنســـاء اللواتي عيونهن جميلة، مثل جمال عيون البقرة، ولأن الأبقار تتميز بالعيون الواســـعة ذات الرموش الطويلة، والحدقة الحســـنة، والبياض الشديد، فإن هناك الكثير من النساء التي تتميز عيونها بهذه الملامح، وتعتبر المها نوعاً من البقر الوحشـي، فعندما يصـف المحبين أحبتهم بالبقر، فإنهم يقصـدون المها لجمال عيونها، حيث يقصـدون أن عيونها جميلة كجمال عيون البقر، وليسـت رشيقة كغزال ممشوق، حيث تتصف عيون المها بالجمال المتسع، فجاء اللون الأسود في العين رمزاً للجمال.

أما عند الخطيم المحرزي، فقد جاء اللون الأســـود في الوجه دلالة على كثرة المصائب، فقال في ذلك:[2]

فَذاكَ الَّذي اِستَنكَرْتُ يا أُمَّ مالِكٍ وَأَصْبَحتُ مِنهُ شاحِبَ اللَونِ أَسوَدا

وَإِنّي لَمَاضِي الهَمّ لَوْ تَعْلَمِينَهُ وَرَكَّابُ أَهْوَالٍ يُخَافُ بِهَا الرَّدَى

لقد رسم الشاعر صورة لونية مظلمة، رمز بها إلى شعوره بالحزن، والهم، والألم، فقال يخاطب محبوبته أم مالك، التي اسـتنكرت تغيره للون الأسـود، وشـحوب وجهه، فقال لها لو تعلمي الذي مضـــى عليَّ من المصـــائب والهموم التي تكاد تودي به إلى الردى، لما تعجبتِ من تغير لوني، فجاء اللون الأســـود في الوجه رمزاً للهم، والحزن، وكثرة المصائب، كما أنه رمز للتشاؤم عندما ذكر الردى رمزاً للفناء.

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص183 (حم العيون: سود العيون)

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي، ج1، ص237.

ولقد وصف القتال الكلابي النساء الحرائر ومدحهن، فقال في ذلك:[1]

هُنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتِ أَحْمِرَةٍ سُودُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأْنَ بِالسُّوَرِ

يقصد الشاعر أن النساء خَيِّرات كريمات يتلون القرآن، ولسن بإماء سوء ذوات أحمرة يسقينها، ولا ذوات سواد حول أعينهن، وخص الشاعر المحاجر بالذكر دون غيره في الوجه؛ لأنه أول ما يرى فيه، فسواد المحاجر من سواد الوجه، فجاء اللون الأسود في الوجه رمزاً للذم وَوضعة الشأن.

الطبيعة:

لقد وصف الشاعر عبيد العنبري الأرض السوداء، فقال:[2]

أَبِيتُ ضَجِيعَ الأَسْوَدِ الجَوْنِ في الهَوَى كَثِيْرًا وَأَثْنَاءُ الحِشَاشِ وِسَادِيَا

جاء الشاعر باللون الأسود هنا ليبرز حالة الحزن التي تسيطر عليه، فالشاعر هنا يشكو حاله، فهو يبيت ليلاً يفترش الأرض السوداء الجون، ويضع بعض الحشائش وسادة تحت رأسه، فجاء اللون الأسود " رمزاً لحالة التشرد، والفقر، والحرمان، وسوء الحظ، والتشاؤم "[3] التي يعيشها الشاعر في الخلاء.

وذكر الشاعر جحدر العكلي السحاب الجون المحمل بالماء، فقال:[4]

بِكُلِّ جَوْنٍ رَواياهُ مُطَبَّعَةٌ واهِي العَزالِي مِنَ الجَوْزاءِ جَرَّارِ

يدعو الشاعر الله أن ينزل الغيث على السجن ليسقي ساكنيه، وقد اختار الشاعر السحاب الجون الأسود المحمل بالماء الكثير؛ لقوة زخات مطره وكثافتها، أو لعله يأمل بالانفراج بسبب ما يبشر هذا الغيث من خير ورزق.

---

(1) ديوان القتال الكلابي، ص53 (الأحمرة: جمع قلة للحمار، سود المحاجر: سواد حول العين)

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص415.

(3) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص203 .

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص159.

وجاء الأســود معبراً عن الخضــرة القاتمة، حيث " أطلق العرب الســواد على جماعة النخل، وعلى الشـجر لخضـرته، ومقاربة الخضـرة للسـواد "[1]، فقال مالك بن الريب في ذلك:[2]

لَم يَدرِ ما غُرَفُ القُصورِ وفَيؤُها طاوٍ بِنخلٍ سَوادِها المُتَمايِلِ

يقول الشـاعر إنه لم يعرف حياة القصـور، ورفاهيتها، وظلها، فهو يجلس جائعاً تحت سـواد النخل المتمايل، فجاء اللون الأسـود رمزاً للخضـرة، والخصـوبة، وجاء به أسـوداً؛ ليندب الشـاعر حظه السـيء، فلم يجد في حياته راحة ولا سـعادة، ولكن جل حياته صعبة وغير مستقرة.

وتبرز الطبيعة كذلك في الجبال، حيث إن الجبال مخلوقات عظيمة تنتشــر في الكرة الأرضــية، وعلى الرغم من اعتياد أهلها عليها، فإنها بقيت ذات هيبة عظيمة في النفس، حيث قال تعالى ﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ [3]، أي أنها سـوداء مكدسـة فوق بعضـها، فجاء الشـاعر طمحان الكلابي يدعو بالسـقيا لهذه الجبال السوداء وما بينها، فقال في ذلك:[4]

سَقْيَاً لِمُرْتَبَعِ تَوَارَثَهُ البِلَى بَيْنَ الأَغَرِّ وَبَيْنَ سُودِ العَاقِرِ

يدعو الشـاعر بالسـقيا للمرتبع بين جبلي الأغر وسـود العاقر، وهو جبل أسـود اللون بلون صـخوره، وجاء بضـده وهو الأغر، فجاء اللون الأسود في الجبل رمزاً للقوة والثبات.

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص41

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص170(طاوي: الجائع خالي البطن).

(3) سورة فاطر، آية 27 .

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص347.

الحيوان:

جاء اللون الأسود لوناً للحيوان، فذكره الشعراء الصعاليك في هذا العصر، فجاء عند المرار بن سعيد الفقعسي في وصف الظليم، وهو ذكر النعام، فقال في ذلك:[1]

وَيَطيرُ أَسْودُه وَيَبْرقُ تَحْتَه بَرْقَ السَّحابَةِ شَدَّ ما يُجْلِي

ذُو بُردَةٍ خُلَّتْ عَلَى جُؤْشُوشِهِ سَوْداءَ جافِيَةٍ مِنَ الغَزْلِ

لقد شبه الشاعر جناح الظليم الأسود عندما يرفعه ويظهر الريش الأبيض تحته كأنه برق في السحاب الأسود، وشبه سواد أعاليه وصدره ببردة سوداء قد خلت عليه أي نقش عليها، وشبه بياض أسافله إلى ركبتيه بشقيقة بيضاء، فهو قليل العضل؛ لأن ريشه بلغ ركبتيه وانقطع فاختلط اللون الأبيض والأسود في هذا الطير؛ ليبرز مدى جمال صورته التي صورها به رب العالمين، فجاء الأسود هنا رمزاً للجمال.

وقد ذكر المرار الفقعسي أيضاً نوعاً آخر من الحيوان، وهو الإبل السوداء، فقال:[2]

فَجاءَتْ ورُكْبانُها كالشُّرُوبِ وسائِقُها مِثْلُ صِنْعِ الشِّواءِ

يقصد الشاعر" أن هذه الإبل وركبانها يتمايلون من النعاس، وسائقها أسود من السموم"[3]، وقد اختار الشاعر الإبل السوداء؛ لكبر حجمها، وحركتها البطيئة، وهي الأكثر عدداً في الجزيرة العربية، فجاء اللون الأسود هنا رمزاً للضخامة والهدوء.

أما الشاعر مالك بن الريب، فقد وصف البقر الوحشي، فقال في ذلك:[4]

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص260 (أسوده: جناحه، جؤشوشه: صدره، جافية من الغزل: لانتفاش ريشه) .

(2) المرجع نفسه، ج2، ص205.(الصنع: الإبل سوداء اللون) .

(3) الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج2، 2001م، ص26 .

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص184 (الألنجوج: عود يتبخر به) .

بِعُودٍ أَلَنْجُوجٍ أَضاءَ وَقودُها مَهاً في ظِلالِ السِّدْرِ حُوراً جَوازِيا

يصـف لنا الشـاعر البقر الوحشـي (المها)، وهي تتبختر تحت ظلال السـدر، وعيونها الحور الجميلة لشدة بياض حدقتها وشدة سوادها، فجاء الشاعر بعيون المها لجمالها، فكان اللون الأسود الشديد لوناً في عيون المها رمزاً للجمال.

وقد وصف القتال الكلابي الظبية في الصحراء، فقال في ذلك:[1]

تُرَدِّدُ أَمْثَالَ الأَسَاوِدِ أُرْسِلَتْ بِمَتْنَيْ خَذُولٍ يَغْتَدِيهَا أَشَامِسُ

كأَنَّ سحيقَ المسكِ من صِنِّ فارةٍ يُشاب بها غادٍ من الثلجِ قارِسُ

لقد شـبه الشـاعر شـعر الظبية بالحيات لشـدة سـواده، وهي التي تخلفت عن القطيع، وانفردت في هذا اليوم المشـمس، وشـبه شـعرها بسـحيق المسـك الأسـود في وعائه، ، فجاء اللون الأسود رمزاً للجمال، فهو في الشعر يبرز الجمال والشباب، أما في المسك فهو للزينة والرائحة الجميلة.

الليل:

لقد جاء اللون الأسود لوناً لسواد الليل وظلمته، فتغنى به الشعراء، فقال الخطيم يصف ليلة طويلة لإحدى لياليه المظلمة في الصحراء المخيفة:[2]

يَخُضنَ بأيدِيهِنَّ بِيداً عَريضةً ولَيلاً كَأَثْناءِ الرُّويزِي أسوَدا

إذا مالَ جُلُّ اللَّيلِ واطْرَقَ الكَرَى أثرنَ قَطاً مِن آخِرِ اللَّيلِ هُجَّدا

يقول الشـاعر إن الإبل تخوض الصـحراء ليلاً، وكأن الليل ثوباً أخضـر قاتم اللون، فإذا جاء أول الليل، وسـيطر النعاس على الإبل، نام طير القطا حتى آخر الليل، وقد شـبه الشـاعر الليل هنا بالثوب الأخضـر القاتم، كما نلحظ أن الشـاعر قد وظف اللون الأسـود القلق، والجو النفسـي المتوتر جراء التشـرد والحزن، فجاءت هذه

(1) ديوان القتال الكلابي، ص67 (الأساود هي الحيات السود، الفارة: وعاء المسك) .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص238.

الصـــورة للدلالة على شـــدة ظلام الليل، فجاء " اللون الأســـود رمزاً للظلام، والغم، والحزن"[1].

لقد قالت العرب في ظلام الليل: " إنه لا يحسـن اجتماع الأحباب إلا في الليل، وما سـتر الأحباب عن الواشـين واللوام مثل سـواد الليل "[2] ولقد زار خيال المحبوبة المرار الفقعسي ليلاً، فقال:[3]

طَرَقَ الخَيَـالُ فَهَـاجَ لِي مِنْ مَضْـــجَعِي رَجْعُ التَّحِيَّـةِ فِي الظَّلَامِ المُهْلِسِ

يصـف لنا الشـاعر كيف زاره خيال محبوبته ليلاً، فطيف المحبوبة لا يكون إلا ليلاً، فقض مضـــجعه، وأعاد له ذكريات الليل مع معشـــوقته، فهذه الذكريات تكويه، وتعذبه، فالعاشـق لا يُلام، فاختار الشـاعر هنا الليل؛ لأنه ربما كان يقابل محبوبته في هذا الوقت، فجاء اللون الأســـود في الظلام مع ذكريات الشـــاعر رمزاً للوعته وحزنه للفراق.

وذكر الشـــاعر عبيد العنبري معشـــوقته أميمة التي جاء خيالها آخر الليل أيضاً، فقال في ذلك:[4]

أَلَمَّ خَيالٌ مِن أُمَيمَةَ طارِقٌ وَقَد تَلِيَتْ مِنْ آخِرِ اللَّيلِ غُبَّرُ

يقصـد الشـاعر أن طيف محبوبته أميمة تهيأ له ليلاً، فجاء اللون الأسـود لوناً لليل؛ ليزيد من ذكريات الشاعر، ولوعته، وشوقه لمحبوبته.

---

(1)عبيد، كلود: الألوان، ص69 .

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص208 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص236 (الظلام المهلس: الظلام الضعيف)

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص393 (المدلج: الآتي ليلاً)

أما الليل في السجن، فهو مختلف عنه في الصحراء، فقال جعفر بن علبة الحارثي في ذلك:[1]

إذا بابُ دُوْرَانٍ تَرَنَّمَ في الدُّجى وشُدَّ بأَغْلاقٍ عَلَيْنا وأَقْفَالِ
وأَظْلَمَ لَيلٌ قامَ عِلْجٌ بِجُلْجُلٍ يَدُورُ به حتى الصَّباحِ بإعمالِ
وَحُرَّاسُ سَوْءٍ ما ينامونَ حولَه فكَيْفَ لِمَظْلومٍ بحِيْلَةِ مُحتالِ
ويَصْبِرُ فيه ذو الشَّجاعةِ والنَّدَى عَلَى الذُّلِّ للمأْمُورِ والعِلْجِ والوالِي

يصف الشاعر السجن بعتمته الشديدة، وجاء بلفظة العلج، وهو الرجل الشديد الغليظ يجلجل بالمفاتيح كأنها جرس صغير، حيث يقول: يجب عليه أن يصبر على الظلم والذل من المأمور، والسجان، والوالي، فجاء الشاعر بكلمات دالة على اللون الأسود مثل: (أظلم، ليلٌ، الدجى، مظلوم، الذل) فجاء اللون الأسود ليبرز لنا شدة الحزن، والذل، والظلم الذي يواجهه الشاعر داخل هذا السجن.

ونلحظ ذلك عند مالك بن الريب، حيث وصف سيره في دجى الليل، فقال:[2]

سَرَتْ في دُجى لَيْلٍ فَأَصْبَحَ دُونَها مَفاوِزُ حُمْرانَ الشُّرَيْفِ وَغُرَّبِ

يقصد الشاعر أنه سار في دجى الليل في هذه المفاوز المهلكة، وفي ماء حمران الشريف، فجاء اللون الأسود دليلاً على شدة ظلام الليل مع المفازة المخيفة المهلكة " وقد جاء رمزاً للخوف، والإثارة، والفزع "[3]. وعلى الرغم من هذا المكان الموحش، فإن الشاعر قد سار فيه غير آبه لما به من مخاطر، فجاء اللون الأسود– أيضاً– رمزاً للقوة، والشجاعة، ورباطة الجأش.

---

(1) المرجع نفسه، ص194 (دوران: سجن في اليمامة، الدجى: الظُلمة، العلج: الرجل الشديد الغليظ / جاء في لسان العرب في مادة (علج) والعِلْج :الرجل من كفَّار العجم، الجلجل: الجرس الصغير)

(2) المرجع نفسه، ج2: ص153.

(3)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص202

ولقد وصف جحدر العكلي السجن والقيد، فقال في ذلك:[1]

أدورُ فِيهِ نَهارِي ثُمَّ مُنْقَلَبِي بِاللَّيلِ أدهَمَ مزرُورٌ بأزرارِ

كَأَنَّهُ بَينَ أستارَينِ قَدَّهُما سَراةُ أَورَقَ مَطلِيٌّ مِنَ القارِ

يصف الشاعر نفسه وهو مكبل بالقيد في الليل شديد الظلام، والقيد أورق، فلونه بين البياض والسواد، ومطلي بالقار أيضاً، فذكر الشاعر الليل الأدهم شديد الظلمة والقيد المطلي بالقار الأسود " رمزاً للعنة، وسوء الحظ، والشؤم، والحزن "[2] المسيطر على الشاعر.

ووصف جحدر العكلي أرض المعركة كثيرة الغبار، فقال:[3]

يا جُمْلُ إنَّكِ لَوْ شَهِدْتِ كَرِيْهَتِي في يَوْمِ هَوْلٍ مُسْدِفٍ وعَجاجِ

يخاطب الشاعر امرأة تدعى جُمْل، حيث يقول لها: لو رأيتني يا جُمْل في يوم حرب كبير العجاجة، وكأنه يوم مسدف مظلم أسود، فجاء الشاعر باللون الأسود كناية عن شدة الغبار في المعركة، فجاء اللون الأسود هنا رمزاً لشدة الغضب الذي يسيطر على فرسان المعركة .

الموت والقبر:

جاء اللون الأسود لوناً للقبر، حيث ربط العرب " السواد بالموت، وشاع بينهم الخوف من الظلام فيه وما يحمله من مجهول " [4]، فقال طهمان بن عمرو الكلابي يصف القبر:[5]

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص160.

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 203

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص152 (المسدف: المظلم)

(4) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص201

(5) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص352.

يَـا طُولَ خَوْفِـكَ مِنْ غَبْرَاءَ مُظْلِمَـةٍ قُـدَّتْ عَلَى أَطْوَلِ الغَـادِيْنَ مَمْدُودَا

يقصد الشاعر أنه خائف من الأرض المظلمة التي قطعت على الغادي، وهو الميت والذاهب من هذه الحياة، فجاء الشـــاعر بالقبر الأســـود المظلم " رمزاً للموت، والفناء، والحزن "[1]، ورمزاً للخوف من سوء العاقبة.

وجاء اللون الأســود لوناً للموت، والذل، والليل في آنٍ واحد عند الشــاعر أبو النشاش العقيلي النهشليُّ*، فقال:[2]

إذا المَرءُ لم يَسْرَحْ سَواماً ولَم يُرِحْ سَواماً ولَم تَـــــــعْطِفْ عَليه أَقارِبُهْ
فَلَلْمَوْتُ خَيرٌ للفَتَى مِنْ قُعُـــودِهِ فَقيراً ومِـــــــن مَوْلًى تَدِبُّ عقارِبُهْ
ولَم أَرَ مِثْلَ الهَمِّ ضاجَعَهُ الفَتَـــى ولا كَسوادِ اللَّيلِ أَخْـــــــفَقَ طَالِبُهْ
فَمُتْ مُعدِماً أو عِشْ كَريماً فإنَّنِي أَرَى المَوتَ لا يَنْجُو من الموتِ هارِبُهْ

يقول الشاعر النهشلي إن هم المرء إذا ضاجعه فإنه كالليل الأسود أخفق طالبه، فجاء اللون الأســود في الموت والليل؛ ليجســد حالة الحزن، والضــيق، واليأس التي يعيشـــها الشـــاعر الفقير بعيداً عن أهله وأقاربه، وليلقي في نفس المتلقي مدى الحزن المسيطر عليه نتاج هذه الوحدة التي يصارعها في هذه الصحراء البعيدة الموحشة.

كما نلحظ ذلك عند مالك بن الريب من خلال قوله:[3]

دَاهِيَةٌ مِنْ دَوَاهِي اللَّيْلِ بَيَّتَنِي مُجَاهِدًا يَبْتَغِي نَفْسِي وَمَا خَتَلا

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص203

* **أبو النشاش العقيلي النهشلي:** شاعر صعلوك أموي من ملاص بني تميم، كان يعترض القوافل في شذاذ من العرب بين طريق الحجاز والشـام فيجتاحها، فظفر به عمال مروان، فحبسـه وقيده مدة، ثم تمكن من الهرب، ينظر: الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج12، ص171 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص286

(3) المرجع نفسه، ص167 .

قصـــد الشـــاعر بالداهية هو الرجل الأســـود الذي نزل عليه في الليل أراد قتله، فجاء الشـاعر بعدة كلمات متجاورة ليبين مدى صـعوبة وقسـوة العيش في الصـحراء، فالليل مظلم أسود، ودواهيه غير متوقعة، مثل هذا الرجل الأسود الذي مكر بالشـاعر، فجاء اللون الأسود رمزاً للشر، والإجرام، وإثارة الفزع.

ويوصـــــي مالك بن الريب أمه أن تزور قبره وتســـــقيه بعد وفاته، فقال في ذلك:[1]

إذا مِتُّ فَاعْتادِي القُبورَ وسَلِّمِي على الرَّمْسِ أُسْقِيتِ السَّحابَ الغَوادِيا

نلحظ أن مالك بن الريب ذو نظرة تشـــاؤمية إلى الحياة، حيث إنه كان ينتظر الموت لحظة بلحظة، فأوصـى أمه أن تعتاد زيارة قبره، ويدعو أيضـاً لقبره بالسـقيا من السحاب الماطر، فجاء الأسود هنا مع ذكر القبر رمزاً للعنة، وسوء الحظ، والشؤم.

وقال القتال الكلابي يهجو قومه لما تخلوا عنه في حادثة رداد:[2]

فإن يَكُ من كَعْبِ بن عَبْدٍ فإنَّه لئِيمُ المُحَيَّا حالِكُ اللَّونِ أَدهَمُ

دعوتُ أبا كَعْبٍ رَبيعةَ دَعْوةً وفَوْقِي غَواشي المَوْتِ تُنْحَي وتنْجُمُ

ولَم أكُ أدرِي أنَّهُ ثُكْلُ أُمِّهِ إذا قيلَ للأَحْرارِ في الكُرْبةِ أقدمُوا

لقد رسم الشاعر صورة سوداوية قبيحة للمهجو، فوصفه أنه لئيم، وحالك اللون، " حيث جاءت هنا للسب والإهانة، مثل ما قالت العرب يا أسود الوجه "[3]. ولقد جمع الشاعر هذه الكلمات الدالة على اللون الأسود؛ ليبرز حالته النفسية ويجسدها، ولتكن رمزاً للأحزان، والهموم التي حطت على الشـاعر، وجاء اللون الأسـود –أيضـاً– رمزاً للكره، والتشاؤم، والاشمئزاز، والبغض، ونفور النفس .

---

(1) المرجع نفسه، ص183 . (الرمس: القبر)

(2) ديوان القتال الكلابي، ص85 (غواشي الموت: نوازله ودواهيه، الثكل: الفقد)

عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص203 (3)

ولقد جاء الصعاليك في العصر الإسلامي بالغراب؛ ليكون دلالة التشاؤم في سواد لونه، لذا جاء مرتبطاً باللون الأسود " حتى قيل أسود من حلك الغراب، والغراب مرتبط في أذهان العامة بالفراق والموت "[1]، فذكره جحدر المحرزي العكلي، فقال في ذلك:[2]

إِنْ يَكْشِفِ اللهُ قِنَاعَ الشَّكِّ
بِظَفْرٍ من حاجَتِي ودَرْكِ
فَهْوَ أَحَقُّ مَنْزِلٍ بِتَرْكِ
الذِّئْبُ يَعْوِي والغُرابُ يَبْكِي

لقد تشاءم الشاعر؛ لأن الحجاج أمر عساكره أن يضعوه مكبلاً في بيت الأسد الجائع لثلاثة أيام، فأخذ ينوح ويقول هذا الشعر، فالذئب يعوي دلالة على الخطر والغدر، ثم جاء بلفظة الغراب أسود اللون دلالة على التشاؤم، والحزن، وخوفه من مصيره القادم.

ولقد هجا حريث بن عناب الطائي بني ثُعَل فقال:[3]

بَنِي ثُعَلٍ أَهْلَ الخنا ما حَدِيثُكُمْ لكُمْ مَنْطِقٌ غاوٍ وللنَّاسِ مَنْطِقُ
كأَنَّكُمْ مِعْزَّى قواصِعـــــُ جِرَّةٍ مِنَ العِيِّ أو طَيْرٌ بِخَفَّانَ يِنْعِقُ
دِيَّافِيَّةٌ قُلُفٌ كأَنَّ خَطِـــيبَهُمْ سَراةَ الضُّحَى في سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ

يقصد الشاعر أن لغة بني ثُعَل ذات غواية وزيغ، وليس لهم قديم ولا حديث، وعندما يتحدثون كأنهم مِعْزَى أو غراب ينعق، فجاء اللون الأسود لوناً للغراب، ورمزاً للشؤم والاشمئزاز، وتنفير القلوب من حديثهم.

---

(1) المرجع نفسه، ص201

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص165 – 166.

(3) المرجع نفسه، ج1، ص223 (ديافية: أرض بالشام) .

وبهذا يتبين لنا أن اللون الأسود يمتلك ثنائية متناقضة – كما ذكرنا – فقد ذُكر في عدة مجالات في الطبيعة، والإنسان، والحيوان، والطير، وفي الليل وظلامه، وجاء في الموت، والقبر، فكان له عدة دلالات مختلفة، فجاء رمزاً للقوة، والرزانة، والحكمة، والجمال، والزينة، وجاء رمزاً للخصوبة والخضرة، وفي المقابل جاء رمزاً للحزن، والتشاؤم، والخوف، والشر، والإجرام، ورمزاً لسوء الحظ والشؤم، والكره، ونفور النفس، وجاء رمزاً للظلام، والظلم، والذل، والعار.

وقد ورد اللون الأسود عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ما يقارب من مائة وخمس مرات، ورد أكثرها عند القتال الكلابي، فقد ورد اللون عنده سبع عشرة مرة، فجاء لوناً للشفاه، والوجه، والقدمين، وكان لوناً للخضرة والخصوبة، وجاء لوناً لليل الحالك، والموت، ولون السحاب المحمل بالمطر. أما عند جحدر المحرزي العكلي، فقد ورد اللون عنده ما يقارب خمس عشرة مرة، فكان لوناً لليل، والموت، والأرض السوداء، ولون السحاب المحمل بالمطر، ولون القار، والغراب، فجاء رمزاً للحزن، والشؤم، والشر، وذلك لما تعرض له من حزن، وتشرد، وسجن، وقهر.

أما عند المرار الفقعسي، فقد ورد اللون أربع عشرة مرة، فقد جاء لوناً لليل وظلامه، ولوناً لجناح الظليم، وجاء لوناً لعباءة مخططة، لكن كان أكثر وروده في ظلام الليل، ليجسد سيطرة الشؤم، والحزن على الشاعر، كذلك ورد اللون الأسود عند الشاعر مالك بن الريب أربع عشرة مرة ، فكان لون الليل وظلامه الدامس، ولوناً للقبر الموحش، وجاء رمزاً للجمال في العيون الحور، حيث استخدم الشاعر اللون الأسود بدلالتيه الإيجابية، والسلبية أيضاً.

أما عند الشاعر الخطيم المحرزي، فقد ورد اللون الأسود عنده عشر مرات، فكان لوناً للبارود، والليل البهيم، ولوناً للموت، فجاء الليل تارةً رمزاً للقوة، وتارة أخرى رمزاً للحزن، والشؤم، والتشرد. أما عند الشاعر طمهان الكلابي، فقد ورد اللون عنده تسع مرات، فجاء في وصف الظليم وجماله، وجاء في لون الليل، وجاء اسماً ولوناً

للجبل، ورمزاً للقبر والموت. أما عند الشـــاعر عبيد بن أيوب العنبري، فقد جاء اللون الأســـود عنده ثماني مرات، فكان لوناً للأرض الجون، والليل المظلم، حيث كان اللون الأسـود رمزاً للشـؤم والحزن المسـيطر عليه. أما عند الأحيمر السـعدي، فقد ورد اللون الأسود عنده أربع مرات، وكلها جاءت في لفظة الليل، لكن كان الليل بمثابة الستر له، فلم يُرد له أن ينجلي.

وورد اللون الأسـود أربع مرات عند الشـاعر أبو النشـاش النهشـلي، وجميعها في الموت وسـواد الليل؛ ليكون رمزاً لليأس والحزن الذي يسـيطر عليه. وورد اللون الأسـود عند الشـــاعر حريث بن علبة الطائي ثلاث مرات، فجاء لوناً لليل وللغراب، فكان رمزاً للشـؤم، ونفور النفس، وورد اللون الأسـود عند الشـاعر السـمهري العكلي ثلاث مرات أيضـــاً، فقد جاء لوناً لليل الدامس. وورد عند الشـــاعر جعفر بن علبة الحارثي ثلاث مرات، حيث جاء في ظلام الليل ودجاه؛ ليجســـد حياته في الســـجن المظلم الذي لا خلاص منه. أما عند الشـاعر قران بن عطارد، والشـاعر مسـعود بن خرشـة التميمي، فلم نجد ذكراً لهذا اللون، بل إن قران بن عطارد لم يذكر من الألوان إلا الأخضـــر والأســمر في موضــعين، وكذلك مســعود بن خرشــة التميمي لم يلجأ إلا إلى الأحمر والأسود في موضعين فقط.

اللون الأخضر:

جاءت دلالات اللون الأخضـر عند الشـعراء الصـعاليك في العصـر الإسـلامي على النحو التالي:

الطبيعة:

لقد وصف الأحيمر السعدى الطبيعة، فقال:[1]

سُقيتُنَّ ما دامَتْ بِكَرمانَ نَخلَةٌ عَوامِرَ تَجري بَينَهُنَّ بُحُورُ

سُقيتُنَّ ما دامَتْ بِنجْدٍ وَشِيجَةٌ وَلا زالَ يَسعَى بَينَكُنَّ غَديْرُ

أَلا حَبّذا الماءُ الذي قابَلَ الحِمى وَمُرتَبِعٌ مَن أَهلِنا وَمَصيْرُ

وَيا نَخَلاتِ الكَرخِ لا زالَ مــاطِرٌ عَلَيكُنَّ مُستَنُّ السَّحابِ دَرُورُ

لقد وصـــف الشـــاعر المرتبع بجماله الذي يأخذ الأنفاس، فذكر الحمى، وبها الماء، والكلأ، والسحاب المدرار، وذكر النخل، وعروق الأشجار، فكانت جميعها دالة على اللون الأخضر ليكون " رمزاً للخضرة، والخصب، والنماء "[2].

وقد قارن المرار الفقعســـي بين حاله في الســـجن، وحاله قديماً في الأرض الخصيبة، فقال في ذلك:[3]

أنارٌ بَدَتْ مِن كُوَّةِ السِّجنِ ضَوْؤُها عَشِيَّةَ حَلَّ الحَيُّ بِالجَرَعِ العُفْرِ

عَشِيَّةَ حَلَّ الحَيُّ أَرضاً خَصِيبَةً يَطِيبُ بِها مَسُّ الجَنَائِبِ وَالقَطْرِ

نلحظ أن الشـــاعر يندب حظه الســـيء، وحاله في الســـجن، فإنه يبيت على الأرض الغليظة، بعدما كان يعيش في الأرض الخصـــبة ذات الخير والمطر، فجاء اللون الأخضر لوناً للأرض ذات الزرع والشجر، دلالة على أن الشاعر كان يعيش في راحة، وسعادة، ورخاء.

---

(1) ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج1، ص59 (الوشـيجة: عرق الشـجرة الحمى: موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعوه، المرتبع: مكان يقيمون فيه من الربيع)

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص165

(3) ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج2، ص229 (كوة: الخرق في الجدار يدخل منه الهواء والضوء، والجرع: الأرض الغليظة، الجنائب: الرياح، القطر: المطر)

ووصف الخطيم المحرزي موضعاً لشجر السدر، فقال:[1]

أَوَاعِسُ في بَرثٍ مِنَ الأَرضِ طَيّبٍ وأَوديةٌ يُنبِتْنَ سِدراً وغَرقَدا

لقد جسد الشاعر الطبيعة الخضراء، حيث ذكر أنواع النبات وثماره، وخص بالذكر شجر النبق أو السدر، والتي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، لما لها من أهمية وفوائد، حيث تعد من أشجار الجنة، ولها رائحة عطرة، ومذاقها حلو، فجاء الأخضر هنا ليكون " رمزاً للخصب، والنماء، والتفاؤل، والأمل، وقد ارتبط بالنعيم والجنة في الآخرة "[2]، كما يتضح هنا تأثر الشاعر بالقرآن الكريم.

ولقد وصف القتال الكلابي الطبيعة وخضرتها قاتمة اللون، فقال في ذلك:[3]

وَما مُغزِلٌ تَرْعَى بِأَرضِ تَبالَةٍ أَرَاكاً وَسِدراً نَاعِماً ما يَنالُهَا

وَتَرْعَى بِها البُردَيْنِ ثُمَّ مَقيلُها غَياطِلُ مُلتَجٌّ عَلَيها ظِلالُهَا

كَأَنَّ سَحِيقَ الإِثمِدِ الجَونِ أَقبَلَت مَدامِعَ عُنجوجٍ حُدِرنَ نَوالَها

لقد ذكر الشاعر الشجر بأنواعه المختلفة، حيث شجر السدر، والأراك، والغياطل، وهو الشجر الكثيف الملتف الذي يستريح تحته في قيلولته، وقد شبه الشاعر الخضرة بالإثمد الجون، وهو الكحل أسود اللون، فجاء اللون الأخضر، والأخضر القاتم رمزاً للخصوبة، والنماء، والتجدد، والراحة أيضاً.

ووصف القتال الكلابي الوادي، فقال:[4]

وكمْ دونَها من بطنِ وادٍ نَبَاتُهُ أَرَاكٌ تُغَنّيه الهداهِدُ أَخْضَرُ

لقد وصف الشاعر الطبيعة الخضراء في الوادي والهداهد تغني فوق أشجاره، فجاء اللون الأخضر رمزاً للهدوء، والطمأنينة، والراحة.

---

(1) المرجع نفسه، ج1، ص237.

(2)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص164 .

(3) ديوان القتال الكلابي، ص79.

(4) ديوان القتال الكلابي، ص50.

وقد ذكر جحدر العكلي الربيع والسهل، فقال:[1]

تَرَبَّعْنَ غَوْلاً فالرِّجامَ فَمَنْعِجاً فَعُرْفَتَهُ فالمِيْثُ مِيْثَ نَضادِ

يقصد الشاعر أن الربيع أتى على جبال غول ورجام، فكساها خضرةً، وخصوبة، فجاء الأخضر رمزاً للتجدد، والنماء، والخصب.

أما الشاعر جعفر بن علبة الحارثي، فيتمنى شربة ماء من خدوراء تحت ظلال الأراك، فقال في ذلك:[2]

وشربةٍ ماءٍ مِنْ خَدُوراءَ باردٍ جَرَى تحتَ ظلالِ الأَراكِ المُسَوّقِ

لقد وصف الشاعر طبيعة هذا الموضع وصفاً خلاباً، حيث الماء العذب البارد، الذي يروي العطش، يجري تحت ظل الأراك، وهو ضرب من الشجر خضرته طاغية، وكأنه يصف قطعةً من الجنة، فجاء اللون الأخضر رمزاً لجمال الطبيعة، وخصبها، وتجددها.

الإنسان:

لقد جاء اللون الأخضر مع الإنسان في صفات مختلفة، فجاء في المرأة رمزاً للجمال، والخصوبة، والحيوية، والليونة، وجاء أيضاً رمزاً للكرم، فقال الخطيم المحرزي يتغزل بمعشوقته:[3]

لَعَمْرُك ما أَحْبَبْتُ عَزَّةَ عن صِبى صَبَتهُ ولا تَسبِي فُؤادِي تَعَمُّدا

فَقَد حَلِيَت عيني بها وهَويتُها هَوَى عَرَضٍ ما زالَ مُذ المُقَلَّدا

كَأَنَّ مِنَ البَرْدِيَّ رِيَّانَ ناعِماً بِحَيثُ تَرَى مِنْها سِواراً ومِعضَدا

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص155 (غولا والرجام: جبلان، الميث هو السهل)

(2) المرجع نفسه، ج1، ص189.

(3) المرجع نفسه، ص236، (الربدى: ضربٌ من النبات ناعم طري، الريان: الممتلئ، المعضد هو ما يحيط بالعضد من حِلى)

لقد شـــبه الشـــاعر عضـــد محبوبته بنبات البردى الطري الناعم، الذي يحاط بالسوار، وهو زينة يوضع في اليد فجاء الأخضر " رمزاً للحيوية والشباب "[1]، وربما قصد الشاعر أن يد محبوبته خضراء: أي يدٌ كريمة، وتجلب السعد.

ويتغزل المرار الفقعسي في محبوبته، فيصفها بالعرار، والحنوة، فقال في ذلك:[2]

فيا لَكِ مِنْ رَيَّا عَرَارٍ وحَنْوَةٍ وغَرَّاءَ باتَتْ يَشْمَلُ الرَّحْلَ طِيْبُهَا

لقد شبه الشاعر محبوبته بنبات العرار والحنوة، فهما نباتان سهليان رائحتهما طيبة، فتترك أثر رائحتها في هودجها، فجاء اللون الأخضر رمزاً للرائحة الطيبة، ورمزاً للنبل والشرف "[3] أيضاً.

وقد جاء اللون الأخضـــر دلالـةً على الكرم والعطاء، فقال الخطيم يمدح ويستعطف السلطان سليمان بن عبد الملك:[4]

وَأَنتَ فَتَى أَهلِ الجَزيرةِ كُلِّها فَعالاً وَأَخلاقاً وَأَسْمَحُهُم يَدا

وَأَنتَ مِنَ الأَعياصِ في فَرعِ نَبعَةٍ لَها ناضِرٌ يَهتَزُّ مَجداً وَسُودُدا

أراد الشاعر بالنبع أنه ضرب من الشجر، وهو أجوده، فيقول الشاعر للسلطان، أنت أكثر أهل الجزيرة سخاءً ولياناً، ومنبت أصلك من أكرم أعياص قريش، وهم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، فهو أعلى قريش حسباً، ونسباً، فشبه الشاعر ممدوحه بالنبعة لسخائه وكرمه، فجاء اللون الأخضر هنا رمزاً للكرم والعطاء.

وقال مالك بن الريب في مدح سعيد بن عثمان بن عفان:[5]

وَأَنَّكَ مِثلُ الغَيْثِ أَمَّا نَباتُهُ فَظِلٌّ وَأَمّا ماؤُهُ فَطَهورُ

---

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص98

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص210 .

(3)عبيد، كلود: الألوان، ص94

(4) ديون اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص240.

(5) المرجع نفسه، ج2، ص157.

لقد شبه الشاعر ممدوحه بالغيث، يُخرج النبات فيُستظل به، ويعطي الحماية للضعفاء، فجاء الأخضر رمزاً للكرم، والسخاء، والطمأنينة فاللون الأخضر أصبح ظلاً يستظل به الضعفاء و" رمزاً لبث الحياة، ويرمز كذلك للحيوية والشباب "[1]، والجمال،.

وهذا ما نلحظه عند قران بن عطارد * من خلال قوله:[2]

ودُونِي من نجرانَ رُكْنٌ عَمَرَّدٌ ومُعتلِجٌ من نخلِهِ متكاوسُ

فأمَّا بَنُو عَبْدِ المَدانِ فإنَّهُمْ وإنّي مِنْ خَيرِ الحُصَيْنِ لياَئِسُ

لقد مدح الشاعر (بنو عبد المدان) فوصفهم بالنخل الكثير، والشجر المعتلج؛ أي الكثيف الملتف، فجاءت كثرة الخضرة، والخصوبة هنا رمزاً للكرم والعطاء.

وقد جاء اللون الأخضر دلالة على الأمل، والتفاؤل، فهو لون الحياة ولون الجنة، وهو جزاء المسلمين المتقين، حيث قال الخَطيمُ المحِرزِي في ذلك:[3]

أَلا لَيتَ شِعري هَلْ أَبِيتَنَّ لَيلَةً بِأَعلَى بَلِيّ ذِي السِّلامِ وَذِي السِّدْرِ

وَهَلْ أَهْبَطَنْ رَوضَ القَطا غَيرَ خَائِفٍ وَهَل أُصبِحَنَّ الدَّهرَ وَسطَ بَنِي صَخرِ

وَهَلْ أَسمَعَنْ يَوماً بُكاءَ حَمامَةٍ تُنادِي حَماماً في ذُرَى تَنْضُبٍ خُضْرِ

يأمل الخطيم ويتمنى أن يعود إلى موضعه ذي السدر، وهو مكان ملئ بشجر السدر الضخم، ويستمع للحمام في ذرى خضر، وهو مكان مليء بالنخل الأخضر،

---

(1) ص 98 عبيد، كلود: الألوان،

* **عطاردُ بن قُران:** شاعر أموي من الصعاليك، شاعر مطبوع مقل، كان معاصراً لجرير فهجاه، فطُلب وحبس بسجن نجران، ينظر: البكري، أبو عبيد: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي وذيل اللآلي،ج1، ص184 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص19 .(معتلج: هي الأرض التي استأسد نخلها وكثر، تكاوس النخل: أي كثر وملتف)

(3) المرجع نفسه، ج1، ص244.

أيضاً ذكر الحمام دلالة على الهدوء، والسكينة، والسلام الذي يتمناه، فجاء الأخضر " رمزاً للأمل والتفاؤل "[1].

وجاء اللون الأخضر رمزاً للقوة والشجاعة، فجاء الخطيم المحرزي يفخر بنفسه، فشبه نفسه بالعلجان، وهو شجر أخضر مظلم الخضرة ليس له ورق، وهو ليس للجز، فهو ثابت في أرضه، فقال في ذلك:[2]

بَنِي ظالِمٍ إِنْ تَمْنَعُوا فَضْلَ مابِكُمْ فَإِنَّ بِساطي في البِلادِ عَرِيْضُ

فَإِنَّ المِعا لَمْ يَسلُبِ الدَّهْرُ عِزَّهُ بِهِ العَلَجانُ المُرُّ غَيْرُ أَرِيْضِ

يخاطب الشاعر قبيلته (بنو ظالم) حيث يقول لهم: إن بساطه في البلاد؛ أي أن البلاد واسعة، يبتغي بها فضل الله، فهو لا يتأثر بهم وبحكمهم الظالم، فهو كشجر العلجان ثابت في الجبل، مر الطعم، لا يهزه شيء، ولا يستطيع أحدٌ جزه، فجاء اللون الأخضر رمزاً للقوة، والاستمرار، والخلود، وأيضاً ارتبط بروح الدفاع، والمحافظة على النفس.

وقد فخر الشاعر عبيد بن أيوب العنبري بحفظه الغيل، ومعرفته مداخله ومخارجه، فقال في ذلك:[3]

فَما رِمتُ جَوفِ الغِيلِ حَتَّى أَلِفتُهُ وَأَعجَبَني أَسْرابُهُ وَمَداخِلُهْ

يقصد الشاعر أنه تعود على السير في الغيل الكثيف المتشابك، وألف طرقه، ومداخله، فلا يحتاج إلى دليل في طريقه، فجاء اللون الأخضر دلالة على كثرة الخضرة والخصب، ورمزاً للشجاعة والقوة.

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص210

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص248.(المعا: جبل عليه شجر العلجان، أريض: لا يمكن جزه)

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص406 (ركت: قصدت)

ولقد جاء عبيد العنبري باللون الأخضر دلالة على الراحة، فقال في ذلك:[1]

أَبِيْتُ ضَجِيعَ الأَسْوَدِ الجَوْنِ في الهَوَى كَثِيْراً وأَثْناءُ الحِشاشِ وِسادِيَا

يشكو الشاعر حاله في الصحراء، فيقول إنه ينام على الأرض الغليظة ذات الحجارة السوداء، ولا يجد غطاء، فغطاؤه الهواء، ويتخذ الحشائش الخضراء وسادةً تحت رأسه، فاختار الشاعر هنا الحشائش ذات اللون الأخضر؛ لتكون رمزاً للراحة، والهدوء، والسكينة في هذا الليل الموحش.

أما القتال الكلابي يلوم عشيرته التي تطالبه بأخذ الثأر وهم قعود عنه، فقال في ذلك:[2]

أَعالِيَ لو أَشْكو الذي قَدْ أصابَنِي إلى غُصُنٍ رَطْبٍ لأَصْبَح ذاوِيَا

نلحظ أن الشاعر قد جمع هنا بين الأضداد في: الغصن الأخضر الذي يمثل الحياة، والحيوية، والتجدد، والغصن البالي الذي يمثل الموت والهلاك، حيث " يحافظ الأخضر على ميزة غريبة ومعقدة ناجمة عن ازدواجية قطبية: أخضر البرعم، وأخضر العفونة الحياة والموت "[3]، فجاء اللون الأخضر الجميل في الغصن الرطب؛ ليمثل الراحة والسعادة في الحياة، أما اللون الأخضر في الغصن البالي المصفر، فجاء رمزاً للفناء، والموت من كثرة الهموم والمصائب.

وقال الأحيمر السعدي يرثي جمله:[4]

سَقَى سَكَراً كَأْسَ الذُّعافِ عَشِيَّةً فَلا عادَ مُخضَرَّاً بِعُشْبٍ جَوانِبُهْ

---

(1) المصدر نفسه، ج2، ص 415.

(2) ديوان القتال الكلابي، ص94 .

(3)عبيد، كلود: الألوان، ص105

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص55 (السكر: اسم جمله، الذعاف: السم القاتل)

يدعو الشاعر على الوادي أن تزول خضرته؛ لأن جمله قد أكل نباتاً ساماً من هذا الوادي، فكان سبباً في موته، فجاء اللون الأخضر مع السُّم القاتل ليدلل على الموت والفناء.

وبهذا يتبين أن اللون الأخضر عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي تعددت دلالاته، فقد جاء في الطبيعة رمزاً للخضرة، والخصب، والنماء، والتجدد. وجاء في مدح الإنسان رمزاً للكرم، والشجاعة، والنبل، والشرف. وجاء مع المرأة خاصةً رمزاً للجمال، والشباب، والحيوية، والعفة. وجاء رمزاً للتفاؤل والأمل، وأتى أيضاً بدلالة الموت، فكان رمزاً لذبول الغصن، وانتهاء الحياة.

ولقد ورد اللون الأخضر في شعر صعاليك العصر الإسلامي ما يقارب من إحدى وخمسين مرة، ورد أكثرها عند الشاعر الخطيم المحرزي، حيث ورد في شعره ما يقارب من تسع مرات، ولعل السبب في ذلك كثرة حنينه لموضعه، ووطنه، وأحبته بسبب حياة الضياع، والقلق، والبؤس التي عاشها. وعلى الرغم من ذلك، فإن شعره كثُر في الحنين لموضعه، وتفاؤله، وأمله في حياة هادئة مستقرة، فجاء عند الخطيم اللون الأخضر لوناً للروض، وشجر النبع، والسدر، والسهول، وورق البردى، فجاء رمزاً للثبات والقوة، وفي وصف المحبوبة جاء رمزاً لليونة، والجمال، والشباب.

أما عند الشاعر الأحيمر السعدي، فورد اللون الأخضر ثماني مرات، حيث جاء رمزاً للخصب والربيع، فذكر النخيل أربع مرات، ومنها بصيغة الجمع، وذكر الحمى والنبات الصغير اللين، وجاء بدلالة جديدة وهي الموت والفناء عندما ذكر السم. وورد عند المرار الفقعسي ثماني مرات، فكان رمزاً للأخلاق الحسنة، والرائحة الطيبة، والليونة للمرأة، وجاء في لفظة الرسل؛ أي الخصب رمزاً للكرم والعطاء. أما عند الشاعر القتال الكلابي، فقد ورد اللون الأخضر عنده سبع مرات، فجاء لوناً للشجر الملتف، والسدر، والأراك، وجاء لوناً للسهل، فكان رمزاً للخصوبة والتجدد.

ولقد ورد عند الشاعر عطارد بن قران مرتين، حيث جاء لوناً للشجر الملتف، ولوناً للنخل المتكاوس، فكان رمزاً للكرم والعطاء. ولقد ورد عند الشاعر مالك بن الريب ست مرات، فجاء لوناً للروض، وشجر السدر، والعضاة، والنبات المختلف، فكان رمزاً للقوة، والراحة، والاسترخاء أيضاً، وورد عند عبيد بن أيوب العنبري ست مرات، فجاء لوناً للوادي الخصيب، وشجر النبع، والغيل الملتف، والحشائش. أما عند الشاعر جعفر بن علبة الحارثي، فقد ورد اللون عنده مرة واحدة، وكان لوناً لشجر الأراك، وهو ضرب من الشجر شديد الخضرة، وجاء رمزاً للقوة والثبات. أما عند باقي الشعراء فلم يذكر اللون الأخضر، ويعود السبب في ذلك للقحط والفقر الذي كانوا يعيشه هؤلاء الصعاليك.

اللون الرمادي:

يفتقر هذا اللون للحيوية، وكلما اشتدت درجته اتجه نحو اليأس، وأصبح لوناً جامداً، حيث استخدمه الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي؛ ليدلل على حزنهم ووحدتهم في تشردهم، فجاء في:

الديار المهدمة:

لقد وظف الخطيم المحرزي اللون الرمادي؛ ليكون دلالة على حزنه، وكآبته، وهو يتذكر

أماكن دياره والخيم المهشمة، فقال في ذلك:[1]

أَمِنْ عَهْدِ ذِي عَهْدٍ بحَوْمانَةِ اللَّوَى ومِنْ طَلَلٍ عافٍ بِبُرْقَةِ عاذِبِ

وَمَصْرَعِ خَيْمٍ في مُقامٍ وَمُنتَأى وَرُمدٍ كَسَحْقِ المَرنَبانِيّ كائِبِ

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص233 (العافي: الخرب، المرنباني: الفرو وجلود الثعالب، حومانة اللوى هنا هي موضع أراده الشاعر، والطلل: ما شخص من آثار الديار، والعافي: الخرب)

يبكي الشـــاعر على الأطلال وقد أصـــبحت الديار كأنها رُمْدٍ، فهو ضـــرب من البعوض أغبر اللون فيه كدرة، وأصـــــبح المرنباني كئيباً يحمل الهموم، فأصـــــبحت جلود الحيوانات كئيبة اللون من الفراق، والحزن، فجاء اللون الرمادي " رمزاً للهم العميق "[1].

أما القتال الكلابي، فقد أضـــــاف لفظاً جديداً للون الرمادي، وهو ورق، فقال في ذلك:[2]

تَجُوبُ عَلَى وُرْقٍ لَهُنَّ حَمَامَةٌ وَمُنْثَلِمٌ تَجْرِي عَلَيْهِ الأَدَاهِسُ

يبكي الشـــــاعر هنا دياره، فالحمامة تجوب فوق الديار المهدمة التي كســـــتها الأتربة، والغبار، فلا بها شـــيء ســـوى حمامة تجوب فوقها، فكان اللون الرمادي رمزاً للقدم، والحزن بسبب الفراق.

ويصف الخطيم المحرزي المكان الذي يقيم به، فقال:[3]

لَها بَينَ ذِي قارٍ فَرَملٍ مُخَفِّقٍ مِنَ القُفِّ أَو مِن رَملِهِ حِينَ أَربَدا

يقصـــد الشـــاعر أنه يعيش في مكان صـــلب مرتفع عن الأرض، مليء بالغبرة والتراب، فجاء الشـــــاعر بكلمة أربدا، وهو المكان المليء بالغبرة؛ ليكون رمزاً للحياة الصـــلبة التي يعيشـــها الشـــاعر، وعلى الرغم من ذلك، فإنه يقظ ومطلع على كل ما حوله.

وقد وصـــف أيضـــاً الخطيم المحرزي الماء في المكان الذي نزل فيه، فقال في ذلك:[4]

---

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص115

(2) ديوان القتال الكلابي، ص65 (ورق: هو الذي لونه بين البياض إلى السواد كلون الرماد، منثلم: المكسور، والأداهس: الأتربة)

(3) ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج1، ص237 (والقف: ما ارتفع من متون الأرض وغلظ، الأربد: أغبر بلون التراب)

(4) المرجع نفسه، ج1، ص249-250 ..

نَزَلْنا بِمَخْشيٍّ الرَّدَى آجِنِ الصَّرَى تناذَرَهُ الرُّكْبانُ جَدبِ المُعَلَّلِ

وأَشْعَثَ راضٍ في الحَياةِ بِصُحبَتي وإنْ مُتُّ آسَى فِعلَ خِرقٍ شَمَردَلِ

يصـــف الخطيم المكان من حوله، فهو مكان قحط، فيه الماء آجن متغير اللون متسخ، وهو أشعث مغبر الشعر ملبد من شدة التعب والجوع، لكنه راضٍ بنفسه، حتى إذا مات يقولون الفتى الكريم القوي الجَلدْ، وقد وردت في الأبيات الســـابقة كلمات مثل:(الردى، أجن، أشعث، مت، آسى)، وجميعها تدل على الكآبة والحزن، فجاء اللون الرمادي هنا رمزاً " للشعور بالحزن، والانزعاج، والضجر "[1].

ولقد وصـــف الخطيم المحرزي نفســـه بأنه أشـــعث مغبر من كثرة الســـفر في الصحراء، فقال في ذلك:[2]

وَأَشعَثَ قَدْ أَلقَى الوِسادَةَ فَانطَوَى إلى دَفِّ مَنجاةِ الذِّراعَينِ عَيهَلِ

يقصد الشاعر أن الفارس الصعلوك الأشعث المغبر عند الإدلاج في الصباح، يرمي الوسادة ويبتعد عن النوم والراحة ليركب ناقته السريعة، ويبدأ يومه الشاق، فجاء اللون الرمادي رمزاً لعدم الراحة والاستقرار.

ولقد وصف عبيد العنبري نفسه، فقال:[3]

رَأَتْ خَلَقَ الأَدْراسِ أَشْعَثَ شَاحِباً عَلَى الجَدْبِ بَسَّاماً كَرِيْمَ الشَّمائِلِ

يقصـــد الشـــاعر أنه على الرغم من ثوبه البالي، وشـــعره المغبر، وفقره، فإنه صـــبور، فهو دائم الضـــحك، وكريم الأخلاق، فجاء اللون الرمادي مع الثوب البالي

---

(1) عبيد، كلود: الألوان، ص116

(2) ديوان اللصـــوص في العصـــرين الجاهلي والإســـلامي، ج1، ص251 (الدف: الجنب، العيهل: الناقة السريعة)

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص 407 (الأدراس: الثوب البالي الشمائل: الصفات الحميدة)

والقحط الشديد رمزاً للإنهاك، والجوع، والفقر، والتعب الشديد، فجاءت هذه الحقائق مع الوجه المتبسم فربما " يرمز الرمادي هنا للتداخل، والنفاق، والضبابية "[1].

وقد ذكر عبيد بن أيوب العنبري غبار المعركة، فقال:[2]

بِأَيِّ فَتىً يا اِبنَي حَبِيْبٍ بَلِلْتُما إذا ثَارَ يَوْماً لِلغُبارِ عَمُودُ

يقصد الشاعر أنه حارب الفتيان (ابنا حبيب)، وهما شديدان الخصومة له، فثار الغبار في المعركة فأصبح كالعامود، فجاء الغبار في لونه الرمادي دلالة على الغضب والضجر.

وقال المرار بن سعيد الفقعسي في وصف المعركة :[3]

تُذَكِّرُني بَدْراً زَعازِعُ جَحْرَةٍ إذا عَصَفَتْ إِحْدَى عَشِيَّاتِها الغُبْرِ

لقد شبه الشاعر المعركة بالرياح شديدة الهبوب، وكثيرة الغبار، دلالة على شدة المعركة وتأججها، فجاء اللون الرمادي رمزاً للثورة وشدة القتال.

وقال الطهمان الكلابي يصف ليله في الصحراء، فقال:[4]

يَا طُولَ خَوْفِكَ مِنْ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ قُدَّتْ عَلَى أَطْوَلِ الغَادِيْنَ مَمْدُودَا

يسيطر على الشاعر حالة من الخوف والقلق من الموت والقبر الذي سيدفن فيه، فجاء اللون الرمادي لوناً للأرض الغبراء مع ذكر الموت، رمزاً للكآبة، والحزن، واليأس، وتعبيراً عن الهم العميق.

وقال القتال الكلابي يصف لقاءه مع صديقه، فقال: [5]

---

(1) عبد الله الثاني، قدور: سيميائية الصورة – مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005م، ص 143 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص388.

(3) المرجع نفسه، ج2، ص226 (الزعازع: شديدة الهبوب، الجحرة: السنة الشديدة)

(4) المرجع نفسه، ج1، ص352.

(5) ديوان القتال الكلابي، ص78 (المعابل: النصال)

إذا ما التقَينا كان جُلَّ حَديثِنَا صُماتٌ وطَرْفٌ كالمعَابلِ أطْحَلُ

لقد شبه الشاعر لقاءه الصامت مع صديقه بالنصل الذي تعلوه الغبرة من قلة الاستخدام، فجاء اللون الرمادي متمثلاً بلفظة أطحل وهو " لون محايد خالٍ من أي إثارة أو اتجاه نفسي"[1].

وقد وصف جحدر العكلي القيد، فقال:[2]

كأَنَّهُ بينَ إستارَينِ قَدَّهُما سُراةُ أورَقَ مَطلِيٌّ مِنَ القَارِ

يقصد الشاعر القيد أورق اللون، والذي لونه بياض إلى سواد كلون الرماد، حيث شبه القيد بالإستار الذي يشد به ظهر الجمل، ولَوَّنه باللون الرمادي، وطُلِي بالقار الأسود؛ ليكون رمزاً لشدة الحزن، والهم، والكآبة.

وبهذا يتبين لنا أن اللون الرمادي لم يكن له أي دلالة إيجابية، حيث كانت دلالاته على الديار المهدمة التي أصبحت رماداً، ورمزاً للفقر، والتشرد، وعدم الاستقرار، وجاء رمزاً للحداد، والحزن، والضجر، والنفاق، والضبابية.

وقد ذُكر اللون الرمادي عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي خمس عشرة مرة، حيث ورود ست مرات عند الشاعر الخطيم المحرزي، كان فيها رمزاً للكآبة، والحزن، والتشرد، والفقر، وذلك " لأن حياته يسودها القلق، والضياع، والبؤس بسبب تشرده، وبعده عن وطنه، وأحبته "[3]. أما عند الشاعر القتال الكلابي، فقد ورد اللون عنده أربع مرات، فكان لوناً للديار المدمرة، والأتربة، وجاء لون الحمام، فكان رمزاً للتشرد، وكثرة الترحال، وعدم الاستقرار، وجاء لون المعابل؛ أي النصال، حيث كان رمزاً للقلق والاضطراب. أما عند الشاعر طمهان الكلابي، فورد عنده اللون مرة واحدة، فكان لون الأرض المغبر، وقصد بها القبر، وهو رمزٌ للحزن، والموت، والفناء. وجاء

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص 229

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص160 (السراة: الظهر) .

(3) المرجع نفسه، ج1، ص228.

أيضــاً اللون الرمادي عند حريث بن علبة الطائي مرة واحدة، فكان لوناً للماء المهجور المتسخ، وهو رمزٌ لوضعة الشأن، وورد أيضاً مرة واحدة عند الشاعر المرار الفقعسي، حيث جســد غبار المعركة؛ ليدلل على قوة المعركة. أما عند باقي الشــعراء، فلم يكن للون الرمادي أي ذكر في أشعارهم.

اللون الأسمر:

لم يذكر اللون الأسمر عند الصعاليك في العصر الإسلامي كثيراً، حيث جاء بدلالات مختلفة، فجاء عند السمهري العكلي، ليكون دلالة على الرجل الأسمر، فقال في ذلك:[1]

أَقُولُ لأَدْنَى صَاحِبَيَّ نَصِيحَةً وَلِلأَسْمَرِ المِغْوارِ مَا تَرَيانِ يقصــد الشاعر أنه يأخذ رأي الرجل الأسمر ويعمل بنصيحته، فاختار الشاعر السمرة في الرجل الأسمر المغوار؛ لأنه الرجل الشديد المقاتل، كثير الغارات على أعدائه، فلديه الكثير من الدربة والخبرة، فجاء اللون الأســمر رمزاً و" ســمة معنوية تحمل معنى الطهر، والعفة، والوفاء، والثبات "[2].

أما عند الشاعر السمهري العكلي، فقد استخدم لفظة أسمر للدلالة على القيد الثقيل، فقال في ذلك:[3]

أَلا طَرَقَتْ لَيْلى وَساقِيَ رَهِيْنَةٌ بِأَسْمَرَ مَشْدُودٍ عَلَيَّ ثَقيلُ

الأســمر هنا هو القيد من الحديد، يقول الشــاعر إن خيال حبيبته ليلى قد زاره وهو مُقيَّد بقيد الحديد الثقيل، فجاء اللون الأسمر رمزاً للضيق، والحزن، وربما للظلم.

أيضاً ذكر الشاعر طهمان الكلابي الأسمر اسماً للقيد، فقال في ذلك:[4]

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ص285.

(2) الزواهرة، ظاهر: اللون ودلالته في الشعر– الشعر الأردني أنموذجاً – ص127.

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص279.

(4) المرجع نفسه، ج1، ص340 (الحلق: حلق الحديد).

أَسِيْراً يَعضُّ القَيْدُ سَاقَيْهِ فِيْهِمَا مِنَ الحَلَقِ السُّمْرِ اللِّطَافِ وَثِيْقُ

لقد شبه الشاعر القيد بالذئب أو الحيوان الماكر الذي يعض ويؤذي، فقال عضه القيد؛ أي اشتد عليه ولزمه، وهو مستعار من عض الناب، فجاء اللون الأسمر هنا دلالة على الغدر، والحزن، والظلم.

وقال عُطارد بن قُرّان يصف القيد:[1]

كلانا بهِ كَبْلانِ يَرْسِفُ فيهما ومُستَحْكِمُ الأَقْفالِ أَسْمرُ يابِسُ

له حلقاتٌ فيهِ سُمْرٌ يُحِبُّها ال عُنَاةُ كما حَبَّ الظَّماءَ الخوامِسُ

يصف الشاعر القيد، ويطلق عليه لفظ الأسمر، يقصد الشاعر أنه هو وصديقه في الأسر مكبلان ويمشيا رويداً في القيد القوي أسمر اللون، وهو قيد قاسي، وله حلقات من الحديد يحبها الأسرى كما تحب الإبل العطاش الماء في اليوم الخامس، وهي الإبل التي ترعى العشب لمدة ثلاثة أيام، فتظل عطشى، فجاء " اللون الأسمر رمزاً للرضوخ والفقر "[2].

وبهذا يتبين لنا أن اللون الأسمر عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي لم يستخدم كثيراً، حيث ورد خمس مرات، حيث ورد عند الشاعر السمهري العكلي للدلالة على الرجل الوفي المقاتل، ومرة للدلالة على الرضوخ، والفقر، والمهانة في قيد السجن. أما عند الشاعر عطارد بن قران فقد ذكر في موضعين أيضاً، للدلالة على القيد وحلقاته. أما عند الشاعر طمهان بن عمرو الكلابي فلم يذكر إلا مرة واحدة، للدلالة على القيد أيضاً.

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص19 (الكبل: القيد، وقوله (يرسف) أي يمشي رويداً، والعناة جمع عاني، وهو الأسير في قيده، والخوامس: الإبل ترد الماء في اليوم الخامس، والظماء: العطاش) .

(2) عبيد، كلود: الألوان، ص126

اللون الأشقر:

للَّون الأشـقر في الإنسـان عدة دلالات، فهو رمزٌ للجمال، وفي بعض الأحيان دلالة على المكر والخبث، ولقد ذكره الشـعراء صـفةً للخيل، فقال الخطيم المحرزي في ذلك:[1]

بَعيدَةِ عَينِ الماءِ تَركُضُ بِالضُّحَى كَرَكْضِكَ بِالخَيلِ المُقَرَّبَةِ الشُّقْرِ

يقول الشـاعر بعيدة عين الماء تركض بالضـحى، وهنا يقصـد السراب الذي يُرى وكأنه ماء، والمقربة هي الفرس التي ضـمرت للركوب، حيث شـبه الشـاعر وجود الماء في الصـحراء مثل الركض بالفرس الضـامرة الشـقراء، وقد اختار الشـاعر الفرس شـقراء اللون؛ لسرعتها وشدتها، أيضاً جاء اللون الأشقر رمزاً للغدر، والبغض، والعداوة "[2].

أما مالك بن الريب، فقد عبر عن الأشـــقر بلفظ آخر، وهو العِيْس، فقال في ذلك:[3]

فإنّي سَوفَ يَكْفِيْنِيْكَ عَزْمِي ونَصُّ العِيْسَ بالبَلَدِ القِفارِ

لقد قصـد الشـاعر في هذا البيت أن هناك رجلاً يدعى الحارث، كان يتوعد له، ولم يستطع الوفاء بقسمه، فقال مالك لحارث إن ربه سيكفيه، وسيره الشديد مع العيس الكرام في الأراضـــي المقفرة، فجاء بالإبل " الشـــقر لأنها ذوات خير "[4] فجاء اللون الأشقر رمزاً للقوة، والإصرار، والعزيمة.

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص242.

(2) معمر، صـديقة: شـعرية الألوان في النص الشـعري الجزائري المعاصـر فترة (1988-2007)، رسـالة ماجستير، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، 2009، الجزائر، ص 118 .

(3) ديوان اللصـوص في العصـرين الجاهلي والإسـلامي، ج2، ص159.(يقصـد الشـاعر بالعيس: الإبل البيض مع شقرة يسيرة، وهي من كرائم الإبل، ومفردها أعيس أو عيساء، والبلد القفار: هو المقفر الذي لا حياة، ولا نبات، ولا ماء به)

(4) ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، مادة (ش ق ر)

وقال مالك بن الريب:[1]

وَأَشْقَرَ مَحْبُوكًا يَجُرُّ عِنَانَهُ إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا

أراد الشاعر بالأشقر الفرس الجواد، فالدهر لم يُبقِ للفرس الأشقر ساقياً بعد موت صاحبه الذي كان يسقيه، فجاء اللون الأشقر مع الخيل رمزاً للقوة والشدة , وفيه دلالة على أنه كان مجاهداً, فالأشقر من الخيل ليس كثيراً في البيئة العربية.

وجاء اللون الأشقر عند المرار الفقعسي لوناً للناقة ، فقال في ذلك: [2]

وَلَوْ فارَقَتْ رِجْلي القُيودُ وَجِدتُني رَفيقاً بِنَصِّ العِيْسِ في البَلَدِ القَفْرِ

العيس هي الإبل الشقراء، وهي كرام الإبل، وهنا يبكي الشاعر على نفسه الأسيرة المقيدة بالقيد، فيقول لو فارقتني القيود لوجدتني رفيقاً للإبل الشقراء في القفر والصحراء، التي ينص عليها الراكب فتأتي بأقصى سرعة لها، فاختار الشاعر اللون الأشقر لوناً للإبل؛ لأنها أكرمها وليرمز لكرامته وعزة نفسه.

وبهذا يتبين أن اللون الأشقر لم يذكر كثيراً عند شعراء هذا العصر، مقارنةً ببعض الألوان، حيث ذكر خمس مرات في لون الخيل والإبل، وهي كرامها، وكان في دلالتين مختلفتين: الأولى كان رمزاً للعزة، والكرامة، والقوة، والخير. أما الدلالة الثانية، فكان اللون الأشقر رمزاً للغدر، والبغض، والعداوة.

نخلص مما سبق إلى أن اللون الأشقر ورد عند الشاعر مالك بن الريب ثلاث مرات، في الخيل الشقراء والإبل، فكان رمزاً للخير، والعطاء، والقوة، أما عند الشاعر الخطيم المحرزي فذكر مرة واحدة، للخيل الشقراء السريعة، وجاء إشارة للغدر والعداوة، وأما عند المرار الفقعسي فلم يذكر إلا مرة واحدة أيضا، لوناً للإبل، فكان رمزا للكرامة وعزة النفس، ولم يرد اللون عند باقي الشعراء في هذا العصر، لأن البيئة العربية ما

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص180 .

(2) المرجع نفسه، ص229.

زالت تنظر للون الأشـــقر بأنه خاص بغير العرب ويشـــير إلى الغدر والخديعة، أو لارتباطه بلون أعداء العرب من فرس وروم.

ونخلص في القول إلى أن الألوان التي كانت تهيمن على شعر الصعاليك في العصرين الجاهلي والإسلامي هي، الأبيض والأسود، وذلك بسبب البيئة الصحراوية التي لجئوا إليها، والتي ليس فيها إلا هذه الأضداد من البياض والسواد، والليل والنهار، أما البياض والنهار، فكانا وسيلة لمعرفة الأماكن، والحصول على حاجاتهم، ففي الليل يسـعون بقوتهم للحصـول على مطالبهم بلا ملل ولا كلل، والسـواد والبياض ديمومة الحركة والسـيطرة على الزمن بشـقيه الليل والنهار، فالسـواد يدلل على قوة الشـاعر وشبابه، وقدرته على الانقضاض، أما اللون الأبيض فهو الساعات الجميلة التي تسبق شروق الشمس، والتي يستريح فيها الشعراء الصعاليك، فالصبح لراحة النفس، ولقاء المحبوبة، والشعور بالانتصار، وفيه إشارة لجمال المرأة ، والشرف، والعفة ومن ثم قوة الجسد.

وقد أضاف شعراء العصر الإسلامي معاني القوة، والكرم، والعطاء، والشرف، والإغراء، والإصـلاح، والعمل الصـالح، واقتراب الأجل. وفي اللون الأسـود أضـاف شعراء العصر الإسلامي بعض المعاني الجديدة المتمثلة في الثبات والحزن، والفناء، والذم، والعار، والتشرد، والخوف، ونفور النفس، والاتساع والسيطرة. أما اللون الأخضر فقد اتفق شـعراء العصـرين فيه بالدلالات التالية: الخصـوبة، والشـجاعة، والهدوء، والسـكينة، والبعث، والتجدد، والعفة، والشـرف، والكرم، والحيوية، والشـباب، والموت والفناء، وتفرد شـعراء العصـر الجاهلي بمعاني: الاسـتمرارية، والطهارة، والسـيطرة، والسيادة، والدفاع عن النفس، وأضاف العصر الإسلامي معاني الجمال، والطمأنينة، والأمل، والتفاؤل، والقوة، والثبات، والهموم.

وإذا كان اللون الرمادي في كلا العصـرين بمعاني: الحذر واليقظة، والمراقبة، والحزن، والكآبة، والحداد ، فإن العصر الجاهلي تفرد بمعاني التشتت، والاضطراب،

والفقر، والجوع، والوحدة، والبخل، واللؤم، والغدر، واليأس، ووضعة الشأن. وأضاف العصر الإسلامي معاني الضجر، والغضب، والنفاق، والهم، والذل. أما اللون الأسمر فكانت الدلالة الوحيدة المتشابهة بين العصرين هي الحزن، حيث أشار في العصر الجاهلي إلى القوة، والإصرار، والبطش، والانتصار، الجمال. وفي العصر الإسلامي إلى العفة، والوفاء، والثبات، والحزن، والظلم، والفقر، والذل، والرضوخ، والإهانة. وإذا كان اللون الأشقر في العصرين إشارة لقوة الفرس وسرعته، فإن العصر الإسلامي أضاف معنى الإصرار، والعزيمة، والغدر، والبغض، والعداوة.

الفصل الثالث

سيميائية الصور اللونية وتعدد الألوان

المبحث الأول: سيميائية الصورة اللونية في شعر الصعاليك

المبحث الثاني: سيميائية الصورة وتعدد الألوان في شعر الصعاليك

تمهيد

تعد الصـــورة الفنية أســـاس التعبير الأدبي، فهي ليســـت مجرد زينة أو تجميل لفظي، وإنما هي تعبير عن نفسـية الشـاعر في لحظة لا يمكن لأي شـكل من أشـكال التعبير أن يحل محلها أو يؤدي مفادها، حيث تؤدي كل " صـــورة وظيفتها داخل التجربة التي هي الصـورة الكلية، فتسـاير الصـور الجزئية الشـعور العام في القصـيدة، وتشـــارك في الحركة العامة لها حتى تبلغ الذروة في النماء، ثم تنتهي إلى نتيجتها الطبيعية التي تؤلف وحدتها العضوية النامية"[1].

لذا فإن فضـل الصـورة يكمن في تمكين المعنى في المتلقي، كما أن لها أبعادها الفكرية والنفسية التي يستطيع الشاعر من خلالها توظيف مشاعره، وأحاسيسه، وبيان الحالة الشـعورية المسـيطرة عليه. إذ إن " أهمية الصـورة الفنية تتمثل في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعاً من الانتباه للمعنى الذي تعرضـــه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به، وإنها لا تشـــغل الانتباه بذاتها، إلا لأنها تريد أن تلفت انتباهنا إلى المعنى الذي تعرضـــه، وتفاجئنا بطريقتها في تقديمه، وعلى قدر الجهد المبذول، وعلى قدر قيمة المعنى الذي يتوصل إليه المتلقي، وتناسبه مع ما بذل فيه من جهد، تتحدد المتعة الذهنية التي يســـتشـــعرها المتلقي، وتتحدد بالتالي قيمة الصورة الفنية وأهميتها" [2].

ومن تلك الصـور التي عبر الشـعر عنها (الصـورة اللونية) التي لا يكاد شـعر شـاعر أن يخلو منها على مختلف الأزمان، واختلاف الشـعراء الذين عبروا عما يجول بخاطرهم وما يعانونه، وما يعتلج بدواخلهم، فيظهرون ما خفي من غير لسان، وتتحرك

---

(1) نافع، عبد الفتاح: الصـورة الفنية في شـعر بشـار بن برد، دار الفكر للنشـر والتوزيع، القاهرة 1983م، ص53 .

(2) عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1995م، ص327-328 .

بلا ســـيقان، " ففجر الشـــعراء طاقات اللغة ليكون لها مدلولها على الأشـــياء جديداً، ويُلبِسون المفردات حلةً تكون أبهى رونقاً، فيكون لها أثرها في نفس المتلقي "[1]، إذ إنَّ اللون " شـعر نامٍ مهذب، ونموه هذا يتم بصـورة علمية، وبطول الخبرة الإنسـانية، وما الألوان إلا جزيئات متماسكة فيما بينها، تُكَوِّن المحاكاة، والتعبير، والرخاوة، وإن الفنان يكسوها بالشعور الإنساني البحت "[2].

(1) المجمعي، مريم محمد: الصورة اللونية عند ابن جابر الأندلسي في ديوان المقصد الصالح في مدح الملك الصالح، مجلة جامعة كركوك، م7، ع3، 2012م، ص2 .

(2) الأوسـي، سـلام كاظم: الزمن في شـعر الرواد(السـياب، نازك الملائكة، بلند الحيدري) رسـالة ماجسـتير، كلية التربية، جامعة بغداد، 1990م، ص 211 .

المبحث الأول

سيميائية الصورة اللونية في شعر الصعاليك

تبرز فاعلية الصـورة وجاذبيتها بما في مكوناتها من ألوان وأشـكال وهيئات، فالشـعر " ينبت ويترعرع في أحضـان الأشـكال والألوان سـواء كانت منظورة أو مسـتحضـرة في الذهن "[1]، فالشـاعر كالطفل يحب الألوان؛ لأن الألوان تتبلور عبر الصـورة، فضـلاً عن كونها مثيرات حسـية تحركه، وتخلق لديه الحيوية ليخطو من مساربها إلى التأثير في المتلقي، فضـلاً عما تُكَوِّن من جماليات للصـورة الشـعرية بما فيها من معجم الألوان "[2].

وبالنظر إلى عالم الشـعر وألوانه، " نجد أن الشـاعر يقيم علاقة بين الصـورة والألوان، فتأخذ الصورة منحى حسياً يُمتع الحواس، ومنحى نفسياً للتعبير عن أحاسيس مبهمة قد يعسر عرضها بواسطة اللغة "[3]، وفي المنحيين يتمكن الشاعر من استثمار دلالة الألوان برموزها من بث صـوره، ويتخذ المنحى النفسـي من الألوان مهمة التعبير عن العواطف الإنسـانية المتأثرة بإيحاءات الألوان، التي تتبدى للشـاعر بطرق فنية متنوعة منها: المجاز، والانزياح، والتشـخيص، والإسـقاط، وتراسـل الحواس، والثنائيات الضدية.

لقد تزينت الصـورة الشـعرية عند الشـعراء الصـعاليك بألوان مختلفة فازدادت جمالياتها، وتعددت دلالاتها، فالأنماط التصـويرية البلاغية في أشـعارهم تغني الجوانب الفكرية، وتصـور جوانب حياتهم الحسـية والعاطفية تصـويراً حسـياً يقوم على الحركة،

---

(1) إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب، ط4، مكتبة غريب، مصر، 1963م، ص 49 .

(2) شنوان، يونس: اللون في شعر ابن زيدون، منشورات جامعة اليرموك، إربد، 1999م، ص 14 – 15 .

(3) نافع، عبد الفتاح: جماليات اللون في الشـعر (ابن المعتز أنموذجاً) مجلة التواصـل، ع4، جامعة عنابة، الجزائر، 1969 م، ص124 .

والهيئة، واللون، الأمر الذي يهب أشـــعارهم قيمة إيحائية تجذب المتلقي وتســـتوقفه عندها.

سـيميائية الصـورة اللونية عند الشـعراء الصـعاليك في العصـر الجاهلي:

سيمياء اللون في التشبيه:

إذا كان التشـبيه: " هو الدلالة على مشـاركة أمر لأمر في معنى "[1]، أو كما قال ابن الأثير " أن تثبت للمشـبه حكماً من أحكام المشـبه به "[2]، فإن ذلك يعني أن التشبيه " صورة فنية قائمة على الربط والمقارنة بين شيئين تجمعهما صفة أو مجموعة من الصـفات المشـتركة، والهدف من ذلك المبالغة، والطرافة، وإضـفاء صـفة الجمال على التعبير "[3].

لقد تأثر الشعراء الصعاليك بمظاهر الطبيعة، بل امتزجت أرواحهم بكل ما فيها من جمال وألوان، فجاءت صـورهم ممتلئة بالألوان، بل كانت الألوان "من العوامل التي تلعب دوراً أساسياً في خلق صورة جميلة "[4] نلحظ ذلك من خلال قول الشنفرى:[5]

---

(1) القزويني، الخطيب: الإيضـــاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، بيروت، 1989م، ص384

(2) ابن الأثير، ضـياء الدين: المثل السـائر في أدب الكتاب والشـاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط1، دار النهضة، مصر، القاهرة، 1962م، ج1، ص153 .

(3) باطاهر، بن عيسى: البلاغة العربية، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2008 م، ص153 .

(4) شـوندي، حسـن: الحركة في الصـورة الشـعرية، جامعة آزاد الإسـلامية جيرفت، مجلة التراث الأدبي، ع3،1969م، 138.

(5) ديوان الشنفرى، ص72 – 73 .(الأراوى: ضرب من الضباء، الخرق، الأرض الواسعة، كظهر الترس: أرض غير مسـتوية فيها ارتفاعات ونتوءات، قفر: ليس فيها أحد، العصـم: الوعل، الأدفى: الذي تميل قرناه على ظهره وهو أشرس الوعول)

وَخَرْقٍ كظَهْرِ التُّرْسِ قَفْرٍ قَطَعْتُهُ بِعَامِلَتَيْنِ ظَهرُهُ لَيسَ يُعْمَلُ
وَأَلْحَقْتُ أُوْلاَهُ بأُخْرَاهُ مُـــــوفياً على قُنَّةٍ أُقْعِي مِرَاراً وَأَمْثُلُ
تَرُودُ الأَرَاوِي الصُّحْمُ حَوْلِي كأَنَّها عَذَارَى عَلَيْهِنَّ المُلَاءُ المُذَيَّلُ
وَيَركُدْنَ بالآصَالِ حَوْلِي كأَنَّنِي مِنَ العُصْمِ أدفَى يَنْتَحي الكَيحَ أعْقَلُ

نلحظ أن التشكيل الجمالي يكوِّنه خيال الصعلوك من معطيات متعددة، يقف العالم المحســوس في مقدمتها، لبناء صــورة شــعرية ترتفع إلى مصــافِ الامتلاك والقبض، فيكون فيها التوحد بين المشبه والمشبه به قائماً وفق نظرة خلاقة تذيب حجم الكثير من العناصــر التي تقف بوجه التوحد والانصــهار، فقوله (خرق كظهر الترس) نقلت إلى المتلقي العديد من المعاني، منها: وعورة الصــحراء وتعرجاتها، التي باتت تشبه الدرع في تعرجاته، ولونه الذي يميل إلى السواد، الأمر الذي يوحي بالمعاناة التي يلاقيها الشاعر في هذه الصحراء وما فيها من جبال سود. ثم انتقل الشاعر إلى بنية تشبيه آخر لتصوير ما يدور في نفسه من حاجات، فهو عندما يشبه الأراوى بالعذارى، يريد أن يبلغ حاجته للمرأة، فهو مدفوع بقوة الدافع الجنســي، التي تعمل على تشــكيل صــورته تشــكيلاً واقعياً قريباً من حاجة النفس فيه، حيث جاء بالأراوى الصُّحم، وهي حمراء اللون، فهي أخطر أنواع الظباء، فجاء بلونها الأحمر، وكأنها عذارى ترتدي ملاء أحمر مذيلاً، رامزاً بهذا اللون مع طول الملاء للشرف والمكانة لهؤلاء العذارى.

واستخدم اللون الأحمر هنا ليبرز لنا شدة الرغبة الجنسية، وحاجته للمرأة في هذه الصــحراء الموحشــة، وتأتي لفظة (يركدن) للتعبير عن حاجة الشــاعر إلى مكان للاسترخاء، وعن حاجته إلى إرضاء الدوافع المضطربة، وعزز ذلك بلفظة (الآصال) وقت الهدوء والسكينة، فالصورة ليس لرسم الأشكال والألوان المحسوسة بذاتها كما تراها، وإنما هي إشارة تنقل الشعور والإحساس للآخرين[1]، فتطبع في وجدان المتلقي،

(1) المازني، عباس محمود: الديوان في النقد والأدب، دار الشعب، ط 3، ج1، القاهرة 1921، ص21 .

وبهذا " التبادل التأثري يكون التشبيه قد أسهم في بناء صورة ممتلئة بالحيوية والنشاط، محققة قدراً كبيراً من التوحد المرتبط بموهبة الشاعر، وأدواته الشعرية".[1]

لقد رسم الشاعر صورة متكاملة هو محورها بقوة جاذبيته وقوة جسده، فأصبح المكان بوجوده هادئاً ساكناً، حيث إن إناث التيس البري تتجول حوله كـــأنها عذارى ترتدي ملاءات مذيلة، فهي لا تهاجمه ولا تهرب منه، وكأن الشـاعر أصـبح جزءاً من بيئة الوحوش فآنسـها، فاسـتخدم الشـاعر هذه الصـورة المتكاملة، ليصـور حاجته لمثل هذا العالم الذي سـبقه كثير من المطاردات وألوان من الصـراع، ولجوء الشـاعر إلى (كأن) أداة للتشـبيه؛ للتعبير عن المبالغة في الحاجة ولتأكيد التوحد بين هذه الصـورة وسـط الوحوش، والصـورة التي يشـتاق إليها، فإذا كانت حياة التشـرد وعدم الاسـتقرار تمنع من الهدوء والإحساس الجمالي، فإن الشاعر لا يعرف المستحيل، ويحقق ما يريد في عالم الفن. ويقول الشنفرى أيضاً: [2]

تَرَاهَا كأَذْنَابِ الحَسِيلِ صَوَادِراً وَقَدْ نَهِلَتْ مِنَ الدِّمَاءِ وَعَلَّتِ

لقد اشتغل الشاعر في هذا البيت الشعري على شبكة من الصور الحسية التي تموج بالحركة، حيث جعل السـيوف أذناباً للحسـيل، دلالة على الشـوق والحنين، وهو حنين السيوف للدماء والقتل، فالشـاعر يتخذ من الأذناب علامة على الحنين، والشوق للفتك، والقتل، فانتقل بذلك عطش السيوف إلى الدماء كحاجة الوحوش العطشى للماء، فالصـورة غرقت باللون الأحمر، بعدما كانت السـيوف بيضـاء، فإنها بعد أن نهلت من دماء الأعداء احمرّت.

ولقد أكثر الشعراء من سيمياء التشخيص، فقال الشاعر السليك بن السلكة:[3]

---

(1) حاوي، إيليا: العقل في الشـــعر بين التشـــبيه والاســـتعارة والرمز، بحث في مجلة الآداب، ع12، كانون الأول، 1962م، ص 19 .

(2) ديوان الشنفرى، ص36 .(الحسيل: أولاد البقر).

(3) ديوان السليك بن السلكة أخباره وشعره، ص59 .

كأنَّ عَليهِ لَوْنَ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ إذا ما أتاه صَارِخٌ مُتَلَهِفُ

حيث جعل السيف رجلاً وجيهاً عليه البرد الأحمر؛ ليزيد من فاعلية الصورة، فالسيف كالحيوان المفترس الذي يتلهف للفتك بفريسته، ويرعبها بصوته، فالصورة لا تكتفي بالجماليات البصرية والحركية فقط، وإنما تعج بصوت الصارخ المتلهف، فأصبحت الصورة ممتلئة باللون الأحمر وبالدماء؛ لفض منازع الخوف والخنوع.

إن الصورة الشعرية تركيب معقد، حيث " تقوم على انفتاح معنوي وشعوري يحقق التكثيف"[1]، والتكثيف في الصورة هو " أسلوب تصويري يعمد الشاعر فيه إلى حشد الصور في قصيدته "[2]، وقد استخدم الشعراء سيمياء التكثيف في قصائدهم للتعبير عن شعورهم، وقوة انفعالهم، وتوهج إحساسهم، فنستشف اللون الأحمر الذي يدلل على الغضب والثورة في وصف تأبط شراً لأصدقائه، حيث قال:[3]

مَسَاعِرَةٌ شُعْثٌ كَأَنَّ عُيُونَهُمْ حَرِيقُ الغَضَا تُلْفَى عَلَيْهَا الشَّقَائِقُ

فالمتأمل في هذا القول الشعري يقف على حضور الصورة الشعرية، وما تضج به الفاعلية السيميائية التي لعبت دوراً مهماً في إخصاب شعرية الصور، حيث رسم الشاعر صورة لأصدقائه الفِتية الأشدَّاء، التي بهم تُحمى الحرب، وتشتعل من شدة الغضب، فعيونهم أصبحت مثل حريق الغضا، فهي متقدة متوهجة بالنيران، ثم ألحق لها صورة أخرى، حيث شبه عيون الفتية بزهور شقائق النعمان شديدة الحمرة، فأصبح الموقف تمثيلاً لعدة لوحات، لوحة الحرب، ولوحة الحريق، ولوحة الزهور الجميلة، ومرد ذلك كله لتصوير روح المحبة، والغضب، والانفعال في آنٍ واحد.

---

(1) يحياوي، راوية: شعر أدونيس، البنية والدلالة، ط1، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، سورية، 2008م ص117 .

(2) كبابة، وحيد صبحي: الصورة الفنية في شعر الطائيين بين الانفعال والحس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م، ص 193 .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص 123 – 124 .

وقد استعمل الشاعر تأبط شراً صورة تشبيهية واقعية لخصمه الذي تهاوى بعد الطعنة القوية، فقال:[1]

يَظَلُّ لَهَـــا الآسِي يَميدُ كَأَنَّـــهُ نَزِيْفٌ هَرَاقَتْ لُبَّهُ الْخَمْـــرُ سَاكِـــرُ

نلحظ أن السطر الشعري ضم لوحتين متتاليتين من الصور، فاللوحة الأولى كانت صورة للطعنة التي وجهها لخصمه، وكمية الدماء المتدفقة منها، ثم شبه الدماء بالخمر المتدفق، رمزاً لقوة الضربة، حتى أصبح القتيل كمن شرب الخمر وذهب عقله فتهاوى أرضــاً، مدرجاً باللون الأحمر الذي أشــار إليه الشــاعر بالنزيف والخمر، وقد استطاع الشاعر من خلال أداة الشبه (كأن) أن يداخل بين الصور ويقربها للحقيقة.

ووصف عروة نفسه بالحصان الأغر الكريم، وأن الشيب في رأسه ليست من الكبر، ولكن من كثرة الحروب، فقال:[2]

كَأَنِّي حَصَانَ مَالَ عَنْهُ جِلَالُـهُ أَغَرُّ كَرِيْمٌ حَوْلَهُ العُوْذُ رَاتِعُ

فَمَا شَابَ رَأْسِي مِنْ سِنِيْنَ تَتَابَعَتْ طِوَالٍ وَلَكِنْ شَيَّبَتْهُ الوَقَائِعُ

فالشاعر يفخر بنفسه بأنه مثل الحصان الأغر الكريم، وعليه جلال ليصان به، وهو يرتع في المكان فيأكل ويشرب ما يشاء من الخصب، فجاء اللون الأبيض بلفظة أغر رمزاً للكرم والحرية. أما في البيت الثاني فجاء بالشـــيب دلالة على كثرة المعارك التي خاضها، وليست دليلاً على الكبر في السن، فالصورة اللونية البيضاء المسيطرة على الأبيات ما هي إلا لتؤكد فخر الشاعر بنفسه، وعزته، ورفعة شأنه.

وقد دعا عروة بن الورد لأهل الكنيف أن يصـــلحوا بعد الجهد والهزال، فقال في ذلك:[3]

---

(1) المصدر نفسه، ص80 .

(2) ديوان عروة بن الورد، ص160.

(3) المصدر نفسه، ص102 .

لَعَلَّكُمُ أَن تُصلِحوا بَعدَما أَرى

بَناتَ العِضاهِ المقبلِ المُتَرَوِّحِ

شبه الشاعر أهل الكنيف بنبات العضاه وهو شجر البر، له شوك من طلح، والذي يبتل بعد اليبس، فقال لهم لعلكم تصلحون، وتنبت لحومكم كما صلحت هذه العضاه بعد اليبس، وقد حذف أداة الشبه، ونلحظ أن الشاعر جاء بالأضداد؛ ليبرز الفرق مع مرور الوقت على أهل الكنيف، حيث إن الشاعر أضفى عليهم صفة الفصول السنوية، فبعدما كان قد حط عليهم الخريف، وتساقطت أوراقهم، جاء الربيع بجماله ليكسوهم خضرةً وبهاء.

وقال السليك بن السلكة:[1]

كَأَنَّ مَفالِقَ الهَامَاتِ مِنْهُم صَراياتٌ تَهادَها الجَوارِي

لقد شبه الشاعر الرؤوس المهشمة بنبات الحنظل أصفر اللون،حيث إنه ذكر المشبه (مفالق الهامات) والمشبه به (صاريات) ثمرة نبات الحنظل، وأداة الشبه (كأن) حيث جاء باللون الأصفر بهذا التشبيه لتكون الصورة معبرة عن الموت، والفناء، وانتهاء العمر، وقد جسد الشاعر الموت وانتهاء العمر مع نبات الحنظل مرّ الطعم؛ ليدلل على مرارة موت خصومه على يديه.

وهذا الشاعر عمرو بن براقة الهمذاني، فقد شبه المصائب والهموم بظلمات البحر، فقال في ذلك:[2]

أَلَا هَلْ لِلهُمُوْمِ مِنْ اِنفِراجِ وهَلْ لي مِن رُكوبِ البَحرِ ناجِ

أَكُلُّ عَشِيَةٍ زَوراءُ تَهوِي بِنَا في مُظلِمِ الغَمَراتِ ساجِ

نلحظ أن الشاعر قد أسند بعداً معنوياً لقوة حسية غير حية، فقد وظفها في سياق إشاري أو رمزي سحري، يشحنها بطاقة تأثيرية رائعة، حيث شبه الشاعر الهموم

---

(1) ديوان السليك بن السلكة أخباره وشعره، ص58 .

(2) عمرو بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص 90 .

والمصائب التي ألمت به وتكالبت عليه بظلمات البحر الساجي، وما أشد ظلمته حين تطل منه الذكريات، وتنكسر على ضفافه الأحلام، فقد جسد الشاعر هنا الصورة اللونية السوداء للتعبير عن هموم الشاعر وعذاباته.

ومن الصور التي يزينها اللون الأسود قول أبو الطمحان القيني:[1]

لَقَد حَلَقُوا مِنِّي غُدَافاً كَأَنَّهُ عَنَاقِيْدُ كَرْمٍ أَيْنَعَتْ فَاِسْبَكَرَّتِ

فَظَلَّ العَذارَى يَوْمَ تُحْلَقُ لِمَّتِي عَلَى عَجَلٍ يَلْقُطْنَها حَيْثُ خَرَّتِ

استخدم الشاعر هنا الدلالة الإيجابية للون الأسود، فشبه شعره الذي حُلِق بعناقيد من العنب الأسود التي نضجت، فسقطت على الأرض، وجاءت كل العذارى يلتقطن ما سقط من شعره؛ لأنهن يتسابقن عليه، ويتنافسن في حبه، " فالغداف استعملوه العرب للشعر أسود اللون "[2]، ولقد " فخر الشاعر في السواد، فهو زينة الشباب "[3]، فجاء الشاعر بلفظة غداف؛ ليدلل على جمال شعره ولونه في شبابه، حيث كان نسراً محلقاً في الصحاري، وأسداً ضارياً لا يقوى عليه أحد، فجعل من اللون الأسود أيقوناً للجمال، والشباب، والقوة أيضاً، وقد ساعده في ذلك أداة التشبيه (كأن) التي تكون للمبالغة والتوكيد.

وقد أسهمت المرأة في شعر الصعاليك في تشكيل بنية التشبيه التي تصور مشاعرهم وأحاسيسهم، من خلال بنائهم للنص الشعري، الذي تارة يستعرضون فيه محاسنها ومفاتنها، وتارة أخرى يستعرضون فيها آلامها وجراحها، وأخرى يصورون فيها مدى ألمهم لحبها المشوب بالألم، والفراق، والهجر، ومنهم من جعلها مثالاً غالباً للمرأة

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص311. (غُدافُ: الشعر الأسود / ورد في القاموس المحيط في مادة (غداف): غُرابُ القَيْظِ، والنَّسْرُ الكثيرُ الرِيشِ، والشَّعَرُ الطَّويلُ الأسْوَدُ، والجَناحُ الأسْوَدُ والغِدف: الأسد)

(2)عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص45 .

(3) 208 المرجع نفسه، ص

المحبوبة، حتى أن وصف بعضهم لجمالها الجسدي جاء عبر أشكال فنية، فوصف عمرو بن براقة النساء السبايا فقال:[1]

كَـأَنَّ نِسَاءَ هُمْ بَقَرٌ مِـرَاجٌ خِـلَالَ شَقَائِقٍ تَطَأُ الوُحُـولَا

وصف الشاعر هنا نساء الأعداء بالبقر المراج خِـــــلَالَ (شَقَائِقٍ تطأ الوحولا)، والشــقائق هي الســحاب الذي تبعج بالأمطار الغدقة، حيث نلحظ في الشــطر الأول تشــبيهاً كاملاً، فقد شــبه الســبايا من النســاء البيض بالبقر المراج، نظراً لســمنتهن واضــــطرابهن في الســــير، واســــتخدم أداة التشــــبيه (كأن) للمبالغة والتأكيد..

ونجد الشاعر تأبط شراً يستخدم بنية التشبيه في رسم صورة لجمال محبوبته، مســتمداً معطياتها من البيئة التي عاش فيها، فيعقد مشــابهة بين جمال المرأة والقناة، فيصــف خصــرها النحيف المرهف، وقوامها الممشــوق كأنها قناة رمح مســتقيمة، ويستكمل لوحته مشبهاً مشيتها وتهاديها في حركتها كأنها أفعى ترتقي كثيباً من الرمل، ووجه الشبه بينهما الرقة، واللين، والنعومة، واللون الأبيض، حيث نلحظ ذلك من خلال قوله:[2]

بِأَنِيْسَةٍ طُوِيَتْ عَلَى مَطوِيَّهَا طَيَّ الحِمَالَةِ أو كَطَيِّ المِنطَقِ
فإذا تَقُومُ فصَعْدَةٌ فِي رَمْلَةٍ لَبِدَتْ بَرِيْقِ دِيْمَةٍ لَمْ تُغْدَقِ
وإذا تَجِيءُ تَجِيءُ تَسْحَبُ خِلْتَهَا كَالأَيْمِ أَصْعَدَ فِي كَثِيْبٍ يَرْتَقِي

قدم الشاعر هنا وصفاً حسياً لجمال المرأة، فيصف خصرها بأنه يشبه حمالة السيف، وهو ما يُشدُّ به الوسط، فهو نحيل مرهف، والمشبه به مركب من (صعدة في رملة لبدت بريق ديمة لم تغدق) أي أن هذه القناة مرتوية دائماً بمطر يطول في السكون دون إغداق بكثرة مطر يؤثر فيها سلباً، أي قوامها ريان، فالمطر الخفيف بلونه الأبيض الصــافي يدلل على الهدوء والســكينة، ويصــف حركتها كالأيم؛ أي الحية

(1) ديوان عمرو بن براقة الهمذاني، سيرته وشعره، ص 103 .

(2) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص146 .

البيضاء التي ترتقي كثيباً، فهي تتمايل متهاوية في لين، ورقة، وإغراء، فالصورة اللونية البيضـــاء التي تُغطي الأبيات الســـابقة تؤكد حاجة اللص الصـــعلوك للراحة، والهدوء، والسكينة.

أما الشـاعر عروة بن الورد، فقد جاء بالعلاقة المشـابهة؛ ليبين مدى جحود أهل الكنيف وتنكرهم له، فقال في ذلك:[1]

فَإِنِي وَإِيَاْكُم كَذِي الأُمْ أَرْهَنَتْ لَهُ مَاْءَ عَيْنَيْهَا تُفَدِّي وَتَحْمِلُ

نلحظ هنا أن الشـاعر عروة بن الورد قد شـبه عطاءه لأهل الكنيف كعطاء الأم التي حملت، وأرضـــعت، وأرهنت ماء عينيها لولدها، وإذا ما تم شـــبابه وتزوج، غلبت الزوجة الأم فتركها (أمه). وقد اسـتخدم الشـاعر (الكاف) أداة للتشـبيه لشـدة الشـبه، ولتجسد الغضب الذي يسيطر على الشاعر؛ نتيجة جحودهم، ونكرانهم لمعروفه، وفي الشـــطر الثاني اســـتعارة (أرهنت له ماء عينيها) حيث شـــبه ماء العين بشـــيء مادي يوهب، وسر جمالها هنا هو التجسيد.

وقد مدح الشاعر قيس بن الحدادية أسد بن كرز، حيث حلّ عنـــده ضيفاً بعد يوم شاق، فأكرمه وأزال التعب عنه، فقال في ذلك:[2]

وَقَدْ حَلَلْنَا بِقَسْرِيٍّ أَخِي ثِقَةٍ كَالبَدْرِ يَجْلُو دُجَى الظَّلْمَاءِ وَالأُفُق

فقد شبه الشاعر الرجل بالبدر الذي يزيل ظلام الليل بنوره، واستخدم أداة التشبيه (الكاف) للتوضيح، ولكشف وإزالة الظلام.

وقال السليك في وصف فرسه:[3]

كأَنَّ مَناخِرَ النَّحَّامِ لَمّا دَنَا الإِصْبَاحُ كِيرٌ مُسْتَعارُ

---

(1) ديوان عروة بن الورد، ص117.

(2) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج14، ص 151 .

(3) ديوان السليك بن السلكة أخباره وشعره، ص 53-54.

لقد شبه الشاعر مناخر فرسه النَّحام من شدة يبس العرق بالكير المستعار، وقد استخدم (كأن) أداة للتشبيه للمبالغة فيه، أيضاً في (لما دنا الإصباح) استعارة، حيث شبه الصباح بإنسان يدنو ويقترب، فهي استعارة سر جمالها التشخيص.

وقال أبو الطمحان القيني:[1]

فأَصبَحن قد أقهَينَ عنّي كما أبَت حياضَ الإمدَّانِ الهجانُ القوامِحُ

لقد شبه الشاعر النساء اللواتي أعرضن عنه بعد حلق شعره بالإبل التي تعرض عن أحواض الماء في الصحراء، وتكره الشرب منه، وجاء ب(الكاف) أداة للتشبيه للمماثلة وشدة النفور.

وقد لجأ الشعراء إلى تقنية التجسيم، حيث يبقي الفعل مادياً، فقد شبه الشاعر طمهان بن عمرو الكلابي الرباب الذي يتدلى من السحاب بالنعام يطير وأرجله تعلَّق في الأرض، فقال في ذلك:[2]

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالأَرْجُلِ

فجاء الشاعر بأركان التشبيه كاملة، حيث شبه الرباب بأرجل النعام الطائر، وجاء (كأن) أداة للتشبيه للمبالغة، وعدم التحقيق، فكيف للنعام أن يطير، ولكن هذا التصوير يبرز مدى تخيل الشعراء وفائقتهم الحسية في هذه الصحراء، حيث إن الشاعر قد جسم تجسيماً سيميائياً في صورة مادية محسوسة عن طريق مؤشرات لفظية مثل (النعام، الأرجل).

ومن صور التشبيه التي تشد المتلقي وتشحن ذهنه في تأمل كيفية التشبيه وإيحاءاته، حيث شبه تأبط شراً الدم في القميص كأنه عصفر، وهو نبات أحمر يشبه الدم فقال:[3]

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والاسلامي، ج1، ص312.

(2) المرجع نفسه، ج1، ص338.

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص102.

دَنَوْتُ لَهُ حَتَّى كَأَنَّ قَمِيصَهُ تَشَرَّبَ مِنْ نَضْحِ الأَخَادِعِ عُصْفُرَا

وللوقوف على جمالية التشبيه في هذا البيت الشعري لابد لنا من النظر إلى بنية التشبيه؛ كونها مادة لغوية تشاكلت على نحو معين، فهي كالألوان والرخام في الرسم والنحت، فكل لفظة في اللغة لها دلالات قبل التركيب وبعد التركيب، على أن للتركيب أثراً فورياً في تحديد مدلول المفردات، حيث بدأ الشاعر بالفعل الماضي (دنوت) ليعطي دلالة على الاحتراس، والترقب، وأخذ الحيطة والحذر، ثم يبدأ الشاعر بمفاجأة المتلقي بأداة التشبيه (كأن) للتقريب بين أركان التشبيه، ثم انتقل إلى المشبه، وهو قميص الخصم، فكأنه نبات العصفر أحمر اللون، كناية عن كثرة الدماء، ورمزاً للقتل، ونلحظ أن الشاعر استخدم للتشبيه أجمل ما في الطبيعة، وهي الزهور الحمراء؛ ليلقي في نفس المتلقي حبه للقتل، والفتك، والبطش بخصومه، فقد استخدم الشاعر صورة الحمراء متكاملة مع بنية الفعل دنوت؛ ليبرز كمية الاحتراس والحذر الذي يتمتع به.

ويوظف الشنفرى تشبيها مختلفا، لغرض إثبات صفة الشجاعة على أصحابه، لأنهم متميزون في الأعمال الخارقة فيقول:[1]

سراحِينُ فتيانٍ كأن وُجُوهَهُم مَصَابِيحُ أو لَونٌ مِن المَاءِ مُذهَبُ

حيث اعتمد على تشبيه معكوس (سراحين فتيان) فقد شبه نفسه وأصحابه بالذئاب، وذلك ليؤكد حقيقة أنه وأصحابه متميزون بهذه الصفة، وليسوا جزءاً من فتيان تقليديين، كما إنهم تفردوا وتسيدوا على غيرهم في موقفهم هذا، فصاروا ذئاباً فتياناً؛ أي أخبثهم وأكثرهم قدرة على المكر، والحيلة، والمراوغة. وجاء الشاعر بتشبيه آخر (كأن وجوههم مصابيح) فعبر الشاعر عن السمو، والإشراق، والتميُّز، فهم يتفانون في سبيل الوصول إلى غايات، ويضحون من أجل إثبات قدرتهم ومكانتهم التي سُلبت عمداً نتيجة التقاليد الظالمة في عصرهم، لذلك اختاروا أن يكونوا كالشموع التي تحترق لتنير

(1) ديوان الشنفرى، ص 28 .

درب الآخرين، والمصـــابيح التي تنير الطريق، وتطمس ظلام التقاليد، وقوانين القبيلة الجائرة، فجاءت صورة هؤلاء الفتيان مضيئة مشرقة أملاً وتفاؤلاً بالمستقبل.

لقد لجأ الشعراء الصعاليك كثيرا إلى عالم الخيال من أجل قضاء حاجاتهم " لأن الإنســـان قد يتلقى الأفكار أحياناً عن طريق قلبه وعواطفه "[1]، فيتلقفها الخيال الذي يعد أساساً للصورة الأدبية، والتي يعبر عنها بعناصر معينة للكشف عن انفعاله الذي يجذب المتلقي، ويؤثر فيه، فقال عروة بن الورد موظفاً هذه البنية التشبيهية:[2]

لم تعرِف مَنَازِلُ أمِّ عَمرو بمُنْعَرَجِ النَّوْاصِفِ من أَبَانِ

وَقَفْتُ بِهَا فَفَاضَ الدَمْعُ مِنِّي كَمُنْحَدِرٍ مِنَ النَّظمِ الجُمَانِ

لقد وظف الشـاعر بنية التشـبيه، وأضـفى عليها خاصـية التجسـيم لتمثل حالته الشـــعورية الحزينة، حيث شـــبه دموعه التي فاضـــت لفراق المحبوبة بســـقوط النظم الجمان؛ أي وكأنها حبات اللؤلؤ الصغار التي تتدحرج متدافعة، وقد انفلتت من عقدها، فالشاعر هنا في حالة يأس شديد أمام تقلبات الزمن، وشعوره الحاد بالوحدة، مما يلقي على عاتق المتلقي تخيل هذه الحالة الشديدة من الحزن.

وبهذا يتبين أن **قيمة التشبيه في** شعر الصعاليك أنه يعبر عن الوعي المشترك في العصـر الجاهلي، سـواء بالتفاعل مع قيم القبيلة أو في معارضـتها، وبيان مثالبها، كما أن قيمة الصـور في أشـعارهم أنها تبرز إحسـاسـهم بجماليات الطبيعة، وتشـير إلى أحاسـيسـهم، ومشـاعرهم الخفية، وشـعورهم بالحسـيات، والمشـاهدات القريبة من أيديهم وأنظارهم، فالصـورة في أشـعارهم تشـعرك بكل ما هو حولهم، وبكل ما هو عزيز على قلوبهم. وعلى الرغم من تنقلهم وكثرة ترحالهم، والصـراعات التي كانوا يخوضـونها، فإن الصـــورة اللونية قامت على التأنق والصـــنعة، التي تفجر الدلالات، وتكشـــف خفايا

---

(1) خضـر، فوزي:عناصـر الإبداع الفني في شـعر ابن زيدون، تحقيق ومراجعة: عدنان بلبل الجابر، ط1، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004م، ص 167 .

(2) ديوان عروة بن الورد، ص 230.

النفس، ومعاناتهم في بيئة الصحراء برمالها، وديارها، وسحبها، ورياحها، وسمائها، ونجومها، وبردها، وحرها، وليلها، ونهارها، هذا ما جعل أغلب صورهم واضحة المعالم بعيدة عن التعقيد أو الغموض.

سيمياء اللون في الاستعارة:

إذا كانت الاستعارة عند البلاغيين العرب بمعنى النقل، حيث قيل إنها: " تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه..."[1]، فإنها في البلاغة الحديثة" تحليقاً في عالم لا تحكمه روابط ولا قيود، وأكثر حرية لاستعمال اللغة، وتفجير بواطنها، وسواكنها، وطاقتها الكامنة، فالطبيعة التركيبية للاستعارة تقوم على الحس، وليس على التحليل "[2]، بل إنها أصبحت أهم أبنية الشعر؛ لما لها من قدرة عالية على الجمع بين المتضادات، ولما لها من قدرة على كشف العوالم الخفية النفسية، ولما لها من قدرة على إعادة المشاهد حركياً، ولونياً، وهيئة، فقد أعانت تأبط شراً على رسم مشاهد المعركة بألفاظ قليلة مؤثرة، حيث قال:[3]

جَزَى اللهُ فِتْيَانًا عَلَى العُوْصِ أَمْطَرَتْ سَمَاؤُهُمُ تَحْتَ العَجَاجَةِ بِالدَّمِ

نلحظ أن الشاعر قد رسم لوحة متكاملة من الألوان المسيطرة على أرض المعركة، حيث العجاجة، والغبار، والدماء التي جاء بها الشاعر بصورة استعارية، فالسماء أمطرت دماً وليست ماء، فأصبحت اللوحة ملونة باللون الأحمر والرمادي، كناية عن الغضب، والاضطراب، وكثرة القتلى.

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر (ت200هـ): البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،ج1، القاهرة2008، ص153 .

(2) عباس، صبحي حسن: الصورة في الشعر السوداني، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1982 م، ص55 .

(3) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص206.

ويجمع عروة بين صـــورة البرق في الغيم الأســـود، وبين الخيل الســـوداء ذات البطن الأبيض للدلالة على قوة الانقضاض والعلو فوق الأعداء، فقال:[1]

تَكَشَّفَ عَائِذٍ بَلْقَاءَ تَنْفِي ذُكُوْرَ الخَيْلِ عَنْ وَلَدٍ شَغُوْرِ

فالجمع بين الأضـــداد (الأعلى، والأدنى، والأبيض، والأســـود)، فالبرق الذي يضيء ظلمة الليل، هو تلك الخيل التي تعلو فترهب وتسيطر عليهم.

قال الشاعر مالك بن حريم الهمذاني يتغزل بمحبوبته:[2]

كَأَنَّ جَنَا الْكَافُورِ وَالمِسْكِ خَالِصًا وَبَرْدَ النَّدَى وَالأُقْحُوَانَ المُنَزَّعَا

استخدم الشاعر الاستعارة التصريحية، فحذف المشبه وجاء بالمشبه به، فقد شبه الشـــاعر أســـنان محبوبته بحبات الندى وزهور الأقحوان المقتطف، فهي زهور جميلة بيضـــــاء، لها رائحة زكية، تحيي النفوس وتريحها، وهو في هذه الصـــــورة ينتقل من التشبيه إلى الاستعارة إمعاناً منه في سيطرة اللون الأبيض دلالة على جمالها وعفتها.

ويمعن الشنفرى في رسم سيمياء الجسد، فيصور جمال محبوبته بالريحانة، فقال في ذلك:[3]

بِرَيْحَانَةٍ مِنْ بَطْنِ حَلْيَةَ نَوَّرَتْ لَها أَرَجٌ ما حَوْلَهَا غَيْرُ مُسْنِتِ

قامت البنية الاستعارية في هذه الأبيات على التحول المكاني الذي ألقى بظلاله على شخصية الصعلوك، من الصحراء الجرداء إلى البيت التي تهب به نسائم على ريحانة، فتفوح رائحتها، وتملأ المكان، وهذا التحول من العزلة، والغربة، والاضـــطراب إلى الاستقرار النفسي، يرسم لوحة فنية عن طريق الاستعارة، إذ شبه صاحبته ورائحتها الطيبة بالريحانة التي تملأ البيت عطراً، فاستخدم الشاعر الاستعارة التصريحية، حيث حذف المشـــبه (المحبوبة) وصـــرح بالمشـــبه به (الريحانة)، ووجه الشـــبه هو الرائحة

---

(1) ديوان عروة بن الورد، ص42 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي: ج2، ص129 .

(3) ديوان الشنفرى، ص34 .

الجميلة، فقد استعار الشاعر الصورة التجسيدية؛ ليبرز مدى نقاء عرض محبوبته وعفتها، فجاء اللون الأخضر مع رائحة الريحان الزكية ليدلل على شباب محبوبته، واكتمال محاسنها.

أما الشاعر مالك بن حريم الهمذاني، فقال في الشيب والكبر:[1]

جَزِعْتَ وَلَمْ تَجْزَعْ مِنَ الشَّيْبِ مَجْزَعَا وَقَدْ فَاتَ رِبْعِيُّ الشَّبَابِ فَوَدَّعَا

أبدى الشاعر جزعه من الشيب بعد الشباب، وقصد بـ (ربعي) بداية الشباب مثل الربيع في أوله نشاط وحيوية، وفي الشطر الأول (جزعت من الشيب) استعارة، سر جمالها التجسيد، حيث شبه الشيب بالوحش الذي يجزع، ويخاف منه الإنسان، فهو النذير بقرب الأجل والموت.

وقد اعتمد الشعراء في العصر الجاهلي صوراً من سيمياء التجسيد، فكان فيه انتقال من عالم المجرد إلى عالم المادة المحسوس المجسد، فيرتد المعنى حيوياً مثيراً، فقاموا برسم صور شعرية ذات مقومات فنية تسهم في إنضاج القصيدة، واستمراريتها الجمالية، فالصور التجسيدية هي" التي تظهر تحولاً من المعنى المجرد إلى العالم الحسي الذي لا يؤول إلى عالم الأحياء "[2]، وتعد أيضاً وسيلة لتوضيح المعنى وجلائه، فجاء الشاعر مالك بن حريم يمدح رئيسه، فقال في ذلك:[3]

ومِنَّا رَئِيسٌ يُسْتَضاءُ بِنُورِهِ سَناءً وحِلْماً فيهِ فاجتَمَعا مَعَا

لقد اعتز الشاعر بقائده زيد بن قيس، فشبه رأيه السديد بالنور يستضاء به، فقد لجأ الشاعر في هذا السطر الشعري إلى تقنية التجسيد؛ حتى يبقى بالدليل المادي فعلاً وأثراً على الإنسان، فالعدل والرأي الصائب قيم معنوية، أضفى عليها الشاعر أبعاداً

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص128 .

(2) القرعان، فايز: التشكيل البلاغي للصورة الشعرية، ص87 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص133 .

حسـية تتمثل في الضـوء والسـنا الذي يضـيء عتمة الحياة، حيث احتوت الصـورة الشعرية على نور من كل جانب، دلالة على سداد الرأي وجلاء الفكرة.

ويعدّ البحر من أروع النعم المسـخّرة للإنسـان، والتي تدلّ على عظمة الخالق، فعنده يقف اللسـان عاجزاً عن وصـف جماله وسـحره، فجاء الشـاعر عمرو بن براقة الهمذاني يصف البحر وأمواجه البيضاء، فقال في ذلك:[1]

يشُقُّ المَاءُ كَلكَلهَا مُلِحّاً عَلى ثِبَجٍ مِنَ المِلحِ الأُجاجِ

كَـأَنَّ قَوادِفَ التَيّارِ فيها نِعَاجٌ يَرتَمينَ إلى نِعاجِ

لقد جاء الشـاعر في البيت الأول بالاسـتعارة في (يشـق الماء كلكلها) لتكتمل صورة قوة الماء وسيطرته، فهو كالسيف الذي يقطع مواضع الصلابة، ثم انتقل الشاعر للتشبيه في البيت الثاني، حيث شبه أمواج البحر البيضاء بالنعاج السمينة البيضاء في سيرها وهن يتقاذفن، واستخدم (كأن) للمبالغة والتوكيد.

وقد وظف الشاعر أبو الطمحان القيني البنية التجسيدية في التشكيل الاستعاري، والتي تقوم بالكشف عن نفسية الشاعر المأزومة، إذ يخيم عليه جو من اللاوعي وعدم الإدراك، لما يعتريه من أحاسيس مؤلمة، لذا نجده يعمد إلى الصورة الاستعارية لغرض مشـاطرته وجدانياً بإطار تجسـيدي تنفعل وتتفاعل معه، فقد أتى أبو الطمحان باللون الأبيض رمزاً للشرف، والحسب، والنسب، حيث شبهه بالنور الذي يضيء دجي الليل، فمدح بجير بن أوس الذي كان أسيراً عنده، فأطلق سراحه وأعتقه، فقال في ذلك:[2]

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيلِ حَتَّى نَظَّمَ الجَزْعَ ثَاقِبُهْ

لَهُمْ مَجْلِسٌ لا يُحْصَرونَ عَنِ النَّدَى إذا مَطْلَبُ المَعْروفِ أَجْدَبَ راكِبُهْ

وإنّي مِنْ القَومْ الَّذينَ هُمُ هُمُ إذا مَاتَ مِنْـهُمُ سَيّدٌ قَامَ صاحِبُهْ

نُجُومُ سَماءٍ كُلَّما غَابَ كَوكَبٌ بَـدا كَوكَبٌ تَـأْوِي إلـيْـهِ كَواكِبُهْ

---

(1) عمرو بن براقة الهمذاني سيرته وشعره، ص 90 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج، ص309-310 .

وَمازالَ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانُوا مُسَوَّدٌ تَسِيرُ المَنايا حيثُ سارَتْ كَتَائِبُهْ

نلحظ أن الصورة تموج بالحركة، والاضطراب، والحيوية، والمشاعر المختلفة من فزع، وخوف، ودهشة، وهي وليدة الاستعارة التي بالغ الشاعر في توظيفها إلى حدٍ يجعل المتلقي في حالة ذهول من هول المنظر الذي يراه ماثلاً أمام عينيه، فهو يمدح قوم الرجل الذي أطلق سراحه من الأسر، فوظف البنية التجسيدية في تشكيل قام على التجسيد المجرد بالحسي أو المادي المحسوس، فمنحه صفة من صفات الأحياء في الحركة والسلوك، فأكسب الموت من خلاله صفة إنسانية جديدة، فالمنايا تسير تعبيراً عن شجاعتهم وبأسهم الذي يجعل الموت يرافقهم؛ لأن كل من يجابههم يكون مصيره الموت، وجاء الشاعر بصورة استعارية جديدة، فجعل أحسابهم ووجوههم تضيء دجنة الليل، فهي نورٌ لو استضاءوا به ليلاً لأزال ظلمته، ولو أرادوا ثقب الخرز ونظمه لاستطاعوا رؤيته، فوظف الشاعر بنية تجسيدية ليفرغ انفعالاته الشعورية العميقة التي يستطيع من خلالها أن يجاوز ذاته، فيسقطها على الأشياء ليخلع عليها الحياة، فضلاً عن المعاني المجردة التي تنصب أمامنا صوراً مجسدة تعج بالحركة والحياة في ثوبٍ خيالي مادي، يثبت بها الشاعر تلك الأوصاف، فقد استخدم الشاعر الاستعارة ليقوي ويؤكد مدحه لهذا الرجل وقومه.

ويمكن القول من ناحية أخرى إن استنطاق الثنائية الضدية بين الليل والنهار تظهر تناقضاً في تكريس الوهم المنشور في إظهار الحرية، فالأبيض والأسود متضادان، فالأبيض عاكس للضوء والألوان، والأسود عكسه تماماً، فهو ممتص للضوء وعادم للألوان، وقد عبر الشاعر تأبط شراً عن الليل وظلمته، وقوة مجيء النهار، ليبدد ظلمته الحالكة، فقال في ذلك:[1]

وَأَدْهَمَ قَدْ جُبْتُ جِلْبَابَهُ كَمَا اِجتابَتِ الكَأْعِبُ الخَيْعَلا

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص164.

إِلَى أَنْ حَدَا الصَّبْحُ أَثْنَاءَهُ ومَزَّقَ جِلْبَابَهُ الأَلْيَلاَ

لقد خلق الشاعر صوراً يومية مثيرة لظلمة الليل التي ينغمس فيها في هذه الصحراء، حيث شبه الليل بالثوب الأسود الذي يدخل فيه ويلبسه، فاستخدم الشاعر الاستعارة التشخيصية؛ لتعميق الدلالة الإيحائية في نظم هذا البيت الشعري، وليستطيع توصيل هذا الشعور للمتلقي، فالشاعر يظل محاطاً بسواد الليل إلى أن يأتي الصباح، فهو كالحادي الذي يخفف عنه، ويأنس به، ويزيل همه، وقد جاء الشاعر في الاستعارة ب (مزق جلبابه الأليلا) فشبه الشاعر الصباح بالشخص الشجاع المخلِّص له من هذا السواد، الذي يحمل الحزن، والغم، والألم؛ فيمزق ثوبه الأسود، ويتجلى النهار بجماله المؤنس، فيزول الغم، والهم، والحزن عن الشاعر.

سيمياء اللون في الكناية:

تعد الكناية من أهم الأساليب البلاغية التي بسطت نفوذها على لغة الشعر؛ لأنها " أبلغ من الإفصاح والتعريض، وأوقع في النفس من التفرع "[1] إذ بها يتم إقصاءٌ للمعاني المباشرة للدوال، والتحول عنها إلى دلالات إيحائية عميقة، مما يجعل المتلقي يشعر بلذة في النص، لاستكشاف تلك الدلالات الغائبة، السابحة في فضائه الواسع. وقد اعتمد الشنفرى في قصيدته " ألا أم عمرو أجمعت فاستقلت " على أشكال من التنميط، حتى تجلت في قالب حشد من الصور والوصف، تستمد حركتها من الأفعال ذاتها، حيث إن الشاعر اتكأ على سيميائية الفعل كعلامة على تحريك الصور وإبراز اللون، لأن افتقار الصور إلى الفعل يسلبها تلك الطاقة على الحركة، ويمنحها لوناً من السكينة[2]، فقال الشاعر يصف محبوبته الحيية:[3]

---

(1) عتيق، عبد العزيز: علم البيان، ط1، دار الآفاق العربية، 2004م، ص221

(2) ينظر: يعقوب، عبد الكريم، وغيثاء قادرة: صوت الجسد الفاعل في شعر الشنفرى، ص9

(3) ديوان الشنفرى، ص32 – 33 – 34 .

لَقَدْ أَعْجَبَتْنِي لا سَقُوطاً قِنَاعُها إِذا ما مَشَتْ وَلا بِذَاتِ تَلَفُّتِ
تَبِيتُ بُعَيْدَ النَّوْمِ تُهْدِي غَبُوقَها لِجارَتِها إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ
تَحُلُّ بِمَنْجاةٍ مِنَ اللَّومِ بَيْتَها إِذا ما بُيُوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّتِ
كَأَنَّ لَها في الأَرضِ نِسياً تَقُصُّهُ عَلى أَمِّها وَإِن تُكَلِّمْكَ تَبْلَتِ
أُمَيْمَةُ لا يُخزى نَثَاها حَلِيلَها إِذا ذُكِرَ النِّسْوَانُ عَفَّتْ وَجَلَّتِ
إِذا هُوَ أَمْسَى آبَ قُرَّةَ عَيْنِهِ مَآبَ السَّعيدِ لَم يَسَلْ أَينَ ظَلَّتِ

فالصورة هنا مؤلفة من علاقات كثيرة متشابكة تنشأ بين عناصر متعددة، حيث بدأ الشاعر بالإعجاب بمحبوبته لطهرها وحيائها، فهي تسير منتظمة لا تلتفت في مشيتها، ولا تسقط قناعها، ومن شدة حيائها تتحدث بانقطاع، ولا تطيل كلامها، ولا ترفع رأسها، فهي قرة عين الرجل العاشق لحيائها، ومن ثم تكتسي بحمرة تزيد في جمالها.

أما عند الشاعر قيس بن الحدادية، فقد ذكر السحاب الرمادي الذي به تفاءل عند لقاء محبوبته نُعمْ بنت ذؤيب بعد قطيعة فقال:[1]

فَقَالَت لِقَاءٌ بَعْدَ حَوْلٍ وحُجَّةٍ وشَحْط النّوى إلا لذِي العَهْدِ قَاطِعُ
وقَدْ يَلْتَقِي بَعْدَ الشتَاتِ أُولُو النّوَى ويَسترْجِعُ الحَيَّ السَّحَابُ اللَّوَامِعُ

جاءت الأبيات هنا كناية عن الوصال بعد القطيعة، حيث شبه القطيعة أو الشتات بالجفاف، والوصال بالسحاب اللامع الماطر، فجاء هذا البيت ملوناً بالبياض؛ ليجسد فرحة الشاعر، والأمل، والتفاؤل.

وذكر الشاعر مالك بن الريب الروض الخضراء، وسهولة الحركة فيها، فقال:[2]

إِذا ما حَالَ رَوْضُ رُبابِ دُوْنِي وَتَثْليثٍ فَشَأْنُكَ بِالبَكارِي

(1) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ج14، ص153.
(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص160.

يقول الشاعر إن ناقته تسير في الأرض الممتلئة بالنبات الأخضر كالبكاري في خفتها، فجاءت الصورة مليئة باللون الأخضر دلالة على النشاط ، والحيوية، والليونة.

ونلحظ تأبط شراً يصف أعداءه وهم في ذل ومهانة من خلال قوله:[1]

نحِزُّ رِقَابَهَمْ حَتَّى نَزَعْنَا وأَنْفُ المَوْتِ مَنْخِرُهُ رَمِيمُ

لقد جاء الشاعر بصورة أعدائه وهم كالخراف التي تُحَزُّ رقابها، كناية عن كثرة القتلى، فقال نحز رقابهم، دلالة على كثرة القتل وقطع الرؤوس، فهؤلاء القتلى كسرت أنوفهم، وكسر الأنف دليل على الذل والمهانة للعدو، لقد جاء اللون الأحمر في الأداء مسيطراً على هذا المشهد من الحرب، ليدلل على مدى قسوتهم، حيث يتوافق مع طبيعة الحياة في الصحراء الجافة، فهي غابة الموت.

سيميائية الصورة اللونية عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي:

سيمياء اللون في التشبيه:

تُعدُّ الأضداد مثيراً أسلوبياً باعتباره خروجاً عن مألوف اللغة، حيث يشكل التضاد إثارة لوعي المتلقي وإدراكه، فاقتران السواد بالبياض، واجتماع الموت مع الحياة، وذكر الليل مع النهار، يثير شغف المتلقي، بل إن الجمع بين الأضداد في الصورة الشعرية يعمق مدلولها في ذهن المتلقي، ويعمق بؤرة إشعاعها الدلالية.

لقد جمع الشعراء الصعاليك بين الأضداد في الصورة الواحدة؛ لتعزيز مدلولها وإثارة المشهد، يقول المرار الفقعسي في وصف الظليم (ذكر النعام):[2]

ويَطِيْرُ أَسْوَدُه ويَبْرِقُ تَحْتُه بَرْقَ السَّحَابَةِ شَدَّ ما يُجْلِي

ذُو بُردةٍ خُلَّتْ عَلَى جُؤْشُوشِهِ سَوْداءَ جافِيَةٍ مِنَ الغَزْلِ

---

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص203 .(الرميم: الأنف المكسور الملطخ بالدماء) .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص260 .

وشُقيقةٌ بَيْضاءُ غَيرُ طَوِيْلَةٍ عَنْ رُكبتَيْهِ قَلِيلةِ العَضْلِ

يجمع الشاعر هنا بين البياض والسواد لبيان عظمة جمال هذا الظليم، إذ كأنه برق في دجى الليل، حيث شبه الشاعر الريش الأبيض تحت جناح الظليم أسود اللون بالسحابة البراقة، وشبه السواد أعالي صدره ببردة سوداء، وقد جمع الشاعر بين مجموعة من الأضداد في صورة مكثفة (الأسود، البرق، البياض) فاستخدم تقنية التجسيد؛ ليظهر مدى جمال هذا الظليم وإبداع الخالق، فقد أتقن الشاعر هذه الصورة، والتشكيل الذي يعبر عن رؤية فنية امتلكها هذا الصعلوك في تجسيد هذه الصورة، وبيان حالته الشعورية المضطربة غير المتزنة، ونقلها إلى المتلقي على شكل صورة لونية رائعة.

ووصف الشاعر المرار الفقعسي بقر الوحش، فقال:[1]

بِيضٌ يُزَيّنهَا النَّعِيْمُ كَأَنَّهَا بَقَرُ الصَّرِيْمِ عَوَانِسٌ وَعَذَارِي

لقد شبه الشاعر النساء البيض ببقر الوحش (المها) فهي بيضاء نقية من العيب، فجاء البياض دلالة على جمالها وعزها، فهي تزين بالنعيم والجمال، واستخدم (كأن) أداة للتشبيه لزيادة المبالغة في بياضها وترفها، وتأكيد تعميم هذه الصفات لجميع النساء.

ولقد وصف جحدر العكلي أنياب الليث، فقال في ذلك:[2]

كَأَنَّما خِيْطَتْ عَلَيْهِ عَباءَةٌ بَرْقاءُ أَو خَلْقٌ مِنَ الدِّيبَاجِ

يقصد الشاعر هنا أن أنياب الليث تبرق كبرق السحاب، وكأنها خيطت عليه عباءة من الحرير الأملس أبيض اللون، فجاءت الصورة بيضاء لتبرز قوة أنياب الليث وحدتها.

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص233 .

(2) المرجع نفسه، ج1، ص153.(العباءة البرقاء: التي تبرق كبرق السحاب، الخلق: الأملس من الثياب، الديباج: ضرب من الثياب الحرير)

يقول الخطيم المحرزي في محبوبته:[1]

وأظْمَى نَقيَّـاً لَمْ تُغَلِّـلْ غُروبُـهُ كَنَورِ أقـاحٍ فَوقَ أَطْرافِـهِ النَّـدَى

شبه الشاعر هنا أسنان محبوبته بالندى وزهر الأقحوان، فهي كزهور الأقحوان التي بللها الندى، والعرب كانت تشبه الأسنان بالندى، بجامع اللون الأبيض والبرودة؛ لأن العربي يفضل طعم فم حبيبته بارداً ليطفئ ظمأه "[2]، بالجمال، والرقة، والإغراء.

وقد شبه المرار الفقعسي دموعه بشلشل الماء لشوقه لمحبوبته، فقال:[3]

أَتَصْبرُ غَدْواً أَمْ لِعَينَيكَ سَافِحُ كَما شَلْشَلَ الماءَ الشِّنانُ النَّواضِحُ

يقول الشاعر إنه لا يستطع الصبر على فراق محبوبته، فسفح الدمع من عينيه، فأصبح كشلشل الماء المتتابع من القربة الصغيرة التي يكون بها الماء الناضح، فقد صور الشاعر مدى حزنه وشوقه، حيث شبه الدموع بالماء المتدفق المنهمر، نتيجة لوعته لرؤيا حبيبته، فجاء اللون الأبيض لوناً للدموع في هذا التشـــبيه، ليظهر مدى الحزن والشوق المسيطر على الشاعر.

وقال السمهري العكلي يصف ثغر محبوبته:[4]

وبَيْضاءَ مِكْسالٍ كعُوبٍ خَرِيْدَةٍ لَذِيذٌ لَدَى لَيلِ التِّمامِ شِمامُهَا

كَأَنَّ وميضَ البَرقِ بَيْنِي وبَيْنَها إذا حَانَ مِن بَيْنِ الحَدِيثِ ابتسامُهَا

لجأ الشاعر إلى تشبيه لمعان أسنان محبوبته بالبرق، فبسمة حبيبته من خلف الحجاب وميض برقٍ. ويبدو وجه الشـــبه في هذه الصـــورة خفياً، فما العلاقة بين

---

(1) المرجع نفسه، ج1، ص236 . .(الأظمى: الأسنان، غروب الأسنان: الماء الذي يجري عليها)

(2) مرعي، محمد سعيد: اللون دالاً جمالياً، قراءة في شعر الهذليين الغزلي، مجلة آداب الفراهيدي، العدد12، أيلول 2012م، ص19

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص 213 (الشنان: القربة الخلق الصغيرة يكون بها الماء، والناضح: رشاش الماء)

(4) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص283 .

الابتسامة وومیض البرق؟ لقد جمع الشاعر طرفين بعيدين، والتشبيهات – كما يقرر الجرجاني – " بقدر ما تتباعد بين الشيئين تكون إلى النفوس أعجب، والنفوس لها أطرب "[1]. لقد استحالت ابتسامة الحبيبة ومضة برقٍ، والبرق في فكر الشاعر البدوي متعلق بالخصوبة، والخير، والعطاء، ويرتبط التشبيه في هذه الصورة بالمطر الذي يحتل مكانة كبيرة في حياة الإنسان البدوي؛ لحاجته الماسة إليه، فإذا كانت ابتسامة الحبيبة كومضة برقٍ، فلهذه الابتسامة قيمة كبيرة في نفسه تعادل قيمة الماء في حياته، حيث إن لهذه المحبوبة مكانة كبيرة في نفس الشاعر، لذلك ساوى بين ابتسامتها وومضة البرق الذي يجلب الخير والعطاء.

وفي النهاية لا فرق لدى شاعرنا الولهان بين المرأة والبرق، فكلاهما وجه لعملة واحدة، حيث إنه في أمسِّ الحاجة إلى وجود المرأة في حياته؛ فهو لص متشرد، بعيد عن حياة البشر العاديين، والعلاقة بين الابتسامة وومضة البرق ربما كانت دليلاً على أن المرأة هي المعادل الموضوعي لحياة السمهريّ بما فيها، إنها روحه، وكيف يحيا بلا روح؟![2]

وقال الخطيم المحرزي يصف محبوبته:[3]

كَأَنَّ مِنَ البَرْدِيّ رَيَّانَ ناعماً بِحَيْثُ تَرَى مِنْها سِواراً ومِعضَدا

تَتهادَى كَعَومِ الرِّكِّ كَعْكَعَهُ الصَّبا بأَبْطَحِ سَهلٍ حِينَ تَمشي تأوُّدا

نلحظ أن الشاعر قد استخدم لوحتين فنيتين، حيث أضفى الشاعر تقنية التجسيد ليخرج لنا صورة شعرية عالية المستوى، فقد شبه الشاعر أطراف محبوبته بنبات البردى الممتلئ الناعم، أما في اللوحة الثانية، فقد شبه محبوبته بالمطر الخفيف

---

(1) الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، 1978، ص 109 .

(2) الديوب، سمر: جماليات التصوير الفني عند الشعراء اللصوص في صدر الإسلام والعصر الأموي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، حمص، سوريا، (د. ت)، ص16 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص236 .

(تتهادى كعوم الرك) وأنها تسير بتهادي، وتمايل، وسكون كالمطر الخفيف الذي حركه ريح الصبا في وادٍ واسع عريض، فالصورة ممتلئة باللون الأخضر دلالة على النعومة، والخفة، والصبا، فاستطاع الشاعر بتقنية التشبيه أن يظهر مدى حبه لمحبوبته ذات النعومة والليونة الطاغية، والتي أبت إلا أن تجعل قلب الشاعر أسيرها إلى ما لا نهاية.

أما عن صور الطبيعة التي تحيط بالشاعر الصعلوك، فجاء الخطيم المحرزي يصف الإبل القوية التي تسير في الصحراء ليلاً، وكأن الليل هو ثوب أخضر قاتم اللون، حيث نلحظ ذلك من خلال قوله:[1]

يَخُضْنَ بأيدِيهِنَّ بِيْداً عَرِيضَةً ولَيلاً كَأَثْناءِ الرُّوِيزِي أسوَدا

لقد شبه الشاعر سواد الليل بثوب أخضر اللون كناية عن شدة سواده وظلمته، فجاء الشاعر بأداة التشبيه (الكاف) لتتم المطابقة المتكافئة، وليشعر المتلقي بمدى صعوبة حياته في هذا الليل المعتم الموحش، فجاء الأخضر تعبيراً عن الليل الأسود الذي لا يوجد نور فيه.

أما طمهان بن عمرو الكلابي، فقال يصف السحاب:[2]

كَأَنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السّحَابِ نَعَامٌ تَعَلَّقَ بِالأَرْجُلِ

كَأَنَّ سَنَاهُ حِينَ تَقْدَعُهُ الصَّبَا وتَلْقَحُ أُخْرَاهُ الجَنُوبُ حَرِيْقُ

شبه الشاعر السحاب القريب من الأرض كطير النعام الذي تعلقت أرجله بالأرض، فتارة يرتفع في الهواء، وتارة أخرى يهبط، وما أداة التشبيه (كأن) إلا للتوكيد المبالغة التي لا يمكن تحققها على أرض الواقع، فما لطير النعام أن يصل السماء لثقله، فجاءت الصورة اللونية البيضاء رامزةً للتفاؤل والأمل اللذان يسيطران على الشاعر للعودة لموطنه وراحته من حياة التشرد واللصوصية.

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1،، ص238 .

(2) المصدر نفسه، ج1، ص338 .

وقال القتال الكلابي يصف بلاده من كثرة خضرتها حتى أصبحت كالإثمد، وهو الكحل الأسود:[1]

وما مُغْزِلٌ تَرْعَى بأَرْضِ تَبالَةٍ أَرَاكاً وسِدراً نَاعماً ما ينالُهَا
وَتَرْعَى بها البُرْدَيْنِ ثُمَّ مَقِيلُها غَياطِلُ مُلتَجٌّ عليها ظِلَالُهَا
كَأَنَّ سَحِيقَ الإِثْمِدِ الجَوْنِ أَقْبَلتْ مدامعَ عُنجُوجٍ حُدِرْنَ نوالُهَا

فما من ظبية ترعى في(تبالة) إلا ينالها من الأراك والسدر الناعم، وقد استخدم الشاعر التشبيه في البيتين السابقين، حيث شبه الأرض لكثرة خضرتها وخصوبتها بالكحل الأسود الجون، فجاءت الصورة مغطاة باللون الأخضر؛ لبيان خضرة، وخصوبة، وجمال بلاد الشاعر، ودلالة على عموم الخضرة الداكنة التي لا يخالطها لون آخر.

ولعل أروع الصور التشخيصية تلك التي برزت في مجال الحنين إلى الوطن الذي أصبح بعيداً عن الشاعر، فيقول الأحيمر السّعدي:[2]

أيا نَخَلاتِ الكَرْمِ لازالَ رَائِحاً عليكُنَّ مُنْهلٌ الغَمَامِ مَطِيْرُ

يدعو الشاعر بالسقيا لوطنه، فأنزل نخلات الكرم منزلة الإنسان، مشخصاً إياها، ومجبراً المتلقي على أن يتخيل أن لها عقلاً يعي طلبه، وأذناً تسمع سؤاله. ومن أين للصورة هذا التأثير في الوجدان لولا تلك المخاطبة الرقيقة الحزينة لنخلات الكرم الخضراء، متوافقة مع صورة الغمام الممطر، وتمثل هذه الاستعارة رغبة من الشاعر في عودة أيام الهناء في وطنه ومع أهله. ولعل الكناية تعبر عن موقف الشاعر اللصّ

(1) ديوان القتال الكلابي، ص79 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص58 .

تعبيراً جميلاً؛ لأن فيها معنيين: المعنى القريب والبعيد، ومما لا شك فيه أن الشاعر يريد المعنى البعيد[1].

وقال الخطيم المحرزي يتغزل بمعشوقته:[2]

كَأَنَّ مِنَ البَرْدِي رَيَّانَ ناعِماً بِحَيثُ تَرَى مِنها سِواراً وَمُعضَدا

لقد شبه الشاعر عضد محبوبته بنبات البردى الطري الناعم، الذي يحاط بالسوار، وهو زينة يوضع في اليد، فجاء الأخضر رمزاً للحيوية والشباب، وقد قصد الشاعر أن يد محبوبته خضراء كناية عن الكرم والسعادة.

وقد شبه الخطيم المحرزي الليل البهيم بالسندس فقال:[3]

وداعٍ دَعا واللَّيلُ مِن دُونِ صَوتِهِ بَهِيمٌ كَلَونِ السُّندُسِ المُتَجلِّلِ

لقد شبه الشاعر الليل في ظلامه بالسندس، ولا يقصد هنا السندس بلونه الأخضر، بل هو ضرب من البَرُود أسود اللون حالك، فهذا التشبيه يوضح لنا مدى ظلمة الليل في الصحراء، وتبرز الحالة الشعورية المسيطرة على الشاعر من حزن، ويأس، واضطراب.

وقال المرار بن سعيد الفقعسي، وقد سارت نوقه في الصباح بعد أن قطعت الليل، وطوته، وهي تخضب الحجارة بدمائها، وتكسر الحصا:[4]

تُساوِرُ حَدَّ الضُّحَى بَعْدَما طَوَتْ لَيلَها مِثْلَ طَيِّ الرِّداءِ
تُعادِي نَواحيَ مِنْ قَبْصِها عَنِ المَرْوِ تَخْضِبُهُ بالدِّماءِ

---

(1) الديوب، سمر: جماليات التصوير الفني عند الشعراء اللصوص في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص43 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص236، (الربدى: ضربٌ من النبات ناعم طري، الريان: الممتلئ، المعضد هو ما يحيط بالعضد من حِلى)

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص252.

(4) المرجع نفسه، ج2، ص203،(القبص: ضرب من السير، الرضيخ: المنكسر، القسب: التمر اليابس، الصلاء: جمع صلاية وصلاء، وهي كل حجر عريض يدق عليه عطر أو هبيد) .

كَـأنَّ الحَصا حِيْنَ يَتْرُكْنُـه رَضِيْخُ نَوَى القَسْبِ بَيْنَ الصَّلاءِ

يقول الشـــاعر إن مناســـم هذه النوق تتخضـــب بالدماء، والدم ذو لون أحمر، فللأحمر هنا دلالة ثورية على من يحرمه العيش بسـلام، ويضـطره إلى امتهان السـرقة وسيلة للعيش، وربما أوحى سير النوق في هذه الطريق الصـعبة بسير اللص الشـاعر في طريق اللصوصية والثورة، فالتمرد يوحي بالثورة والنضال للوصول إلى الهدف، كما أن الحصـا الذي يتكسـر تحت مناسـمها لا يوحي بالقوة والصـلابة الموجودين في هذه الناقة بقدر ما يوحي باضـطرابها النفسـي الذي جعلها تكسـر الحصـا في أثناء سـيرها فوقه، وما هذا الاضطراب في السير إلا صورة عن اضطراب صاحبها، وانفعاله[1].

ومن الصـور التي جاءت في اللون الأسـمر قول الشـاعر طهمان الكلابي في القيد:[2]

أَسِيْراً يَعضُّ القَيْدُ سَاقَيْهِ فِيْهِمَا مِنَ الحَلَقِ السُّمْرِ اللِّطَافِ وَثِيْقُ

يقصد الشاعر بـــ (يعض القيد ساقيه)؛ أي اشتد عليه ولزمه، وهو مستعار من عض الناب، وقد استخدم الشاعر الصورة الاستعارية ليبث في نفس المتلقى كم الحزن والظلم الذي شـعر به هذا الأسـير الصـعلوك، وكيف تغير حاله بعدما كان نسـراً يحلق في البلاد، أصـبح أسـيراً ومكبلاً بهذا القيد الذي شـبهه بالوحش أو الكلب الذي يعض، فجاء اللون الأســـمر لوناً للقيد، ليدلل على الغدر، والحزن، والظلم المســـيطر على الشاعر.

وفي التشـبيه إيجاز، وتوكيد، ومبالغة، واختصـار، فقد اختصـرت بنية التشـبيه معاناة الشـاعر اللص في كثير من المواقف، وزاد في إيجاز هذه الصـور ما كان فيها من ألوان تحمل بين طياتها كثيراً من الدلالات، حيث كانت الصورة لديه طريقة تفكير،

---

(1) الديوب، سمر: جماليات التصـوير الفني عند الشـعراء اللصـوص في صـدر الإسـلام والعصـر الأموي، ص29.

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص340 (الحلق: حلق الحديد)

وليســـت حلية لفظية. وما تكرار بعض العلامات إلا دليلاً على إدراك الأبعاد الدلالية التواصـلية في الفن، ومن مظاهر الإيجاز حذف أداة التشـبيه، إذ ربما يحذف الشـاعر أداة التشـبيه؛ رغبة منه في الوصـول إلى المشـبه به بسـرعة، فيحقق سـرعة فنية في الجمع بين طرفي التشـــبيه، حيث قال القتال الكلابي يهجو قومه لما تخلوا عنه في حادثة رداد:[1]

ولكنما قَوْمِي قُماشةُ حاطبٍ يُجَمِّعها بالكفِّ واللَّيْلُ مُظْلِمُ

يقصد الشاعر أن قومه من أرذال الناس مثل فتات الأشياء، فقد أسرع الشاعر بالوصول إلى المشبه به بحذف أداة التشبيه؛ ليصل بسرعة إلى المشبه به، وليوصل فكرة نقمته على قومه، فجاءت الصـورة سـوداء مظلمة متسـاوية مع ظلمة الليل؛ لتبرز حقد الشاعر ونقمته على قومه.

ومن مظـاهر تكثيف المعـاني، قول عبيـد بن أيوب العنبريّ في يومـه الصحراوي:[2]

وَيَوْمٍ كَتَنُّورِ الإماءِ سَجَرْنَهُ حَمَلْنَ عَلَيْهِ الجِذْلَ حَتَّى تَأَجَّما

رَمَيْتُ بِنَفْسِي في أَجِيْجِ سَمُومِهِ وبِالعَنْسِ حَتَّى جَاشَ مَنْسِمُها دَما

يصـف الشـاعر يومه في الصـحراء كتنور الإماء؛ لشدة حرارته، فكلما اشـتعلت نيرانه يلقى فيه الحطب ليزداد لهيبا وقسـوة، حتى صـارت مناسـم ناقته دماً. ففي هذه الصـــورة التي التفت أركانها باللون الأحمر نجد ما يعبر عن قوة الناقة، ومن ثم قوة جسـده، وقوة التزامه بما يسـعى إليه، فالسـجور في اللغة ليس بمعنى النار فقط، وإنما الخشبة التي تربط بها الناقة أيضـا، ولهذا فإن ناقته تخوض معه السعير ولا تفر، ومن زاوية أخرى لا يخلف الإيماء، ولا يبتعد، فهو قائم على العهد حتى لو دفع حياته ثمنا لذلك.

---

(1) ديوان القتال الكلابي، ص85 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص410 .

وبناء على ذلك نجد أن صعاليك العصر الإسلامي سرقوا اللون الأحمر من سادة القوم، وجعلوه بمعنى الوفاء والقوة بعدما صار في نظرهم رمزاً للسيادة والجبروت. ربما كانت هذه المبالغة مقبولة في إطار التقاط ظاهرتين متناقضتين، لكن حياة اللصوص الحافلة بالمغامرة، والإيمان بالفكرة تجعل من مثل هذا التفسير شيئاً مقبولاً بأبعاده الاقتصادية والسياسية، وخاصة أن اللون الأحمر من الألوان التي تسيطر على ذهن الصعاليك وقلوبهم في ظل أهوال الصحراء، والوحوش، والجوع، والعطش، والقتال الذي لا ينقطع في وهج الصحراء.

ولم يقتصر ظهور النار في اللوحات الشعرية عند العرب على كونها ناراً حقيقية فقط، وإنما كانت– في أحيان كثيرة– معادلاً شعورياً وموضوعياً غنياً بالدلالات، ورمزاً فنياً خصباً بالإيحاءات، فجاءت صورة النار عند جحدر العكلي رمزاً للحضور البشري، وغيابها غيابه واضمحلاله، فاستخدمه الشاعر ليكون معادلاً موضوعياً للمرأة التي فقدها في حياته المشردة، فقال يصف النار:[1]

أنارٌ أُوقِدَتْ لِتُنَوِّراها ... بَدَتْ لكما أمِ البرقُ اليمانِي
وكَيفَ ودُونها هضبات سِلعٍ ... وأعلامُ الأبارق تَعلَمانِ
كَأَنَّ الرِّيحَ تَرْفَعُ سَنَاهَا ... بَنائقُ حِلّة مِنْ أُرْجُوانِ

لقد شبه الشاعر النار كأنها عروس ترتدي ثوباً من الأرجوان، فترفع الريح لهبها، وكأنها ترفع حلة هذه العروس المزينة له، فاستخدم الشاعر التشبيه ليكون تعويضاً لما يفتقده في بعده عن حبيبته، وليجسد كمية الشوق والحزن الذي يسيطر عليه في هذا البعد، وقد بدأ الشاعر بيته الشعري بأداة التشبيه (كأن) ليسيطر على انتباه المتلقي، ويبث في نفس المتلقي هذه الحالة الشعورية على نحو يكاد يقترب من الحقيقة.

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص173 .

وقال جحدر العكلي مشبهاً حاله في السجن بالنار:[1]

كَـأَنَّ سَاكِنَهَا مِنْ قَعْرِهَا أَبَداً لَدَى الخُرُوجِ كَمُنْتَاشٍ مِنَ النَّارِ

شبه الشاعر هنا السجن بجهنم، والخارج منه كأنه خرج من نار جهنم، وهنا دلالة على صعوبة حياته في السجن، والذل الذي واجهه فيه، أيضاً أشار هذا التشبيه إلى صعوبة الخروج من هذا السجن المحكم، فبهذا التشبيه استطاع الشاعر من إيصال حالته الحزينة اليائسة لنفس المتلقي .

ومن التشبيهات التي يكثر فيها التفصيل لتوضيح الأثر النفسي وحال الواقع، قول القتال الكلابي في وصف دياره المهشمة في العرج– وهو مكان بين مكة والمدينة – حيث قال: [2]

ولا مَوْقِفي بالعَرْجِ حتى أَجَنَّها عَليَّ من العَرْجَينِ أسْتِرَةٌ حُمْرُ
طَوالعَ من حَوضى الرِّداهِ كأَنَّها نَواعمُ من مِرَّان أوقَرَها البُسرُ
بِشَرقِيّ حوضَى أخَّرَتني مَنازِلٌ قِفارٌ جَلالِي عَن مَعارِفِها القَطرُ
تُنيرُ وتُسدي الرّيحُ في عَرَصاتِها كما نَمنَمَ القرطاسَ بالقَلَمِ الحِبرُ
وخيطُ نَعامى الرَّبدِ فيها كأَنَّها أَباعِرُ ضُلالٌ بآباطِها نَشرُ

لقد استخدم الشاعر في هذه الأبيات مجموعة من اللوحات التصويرية، حيث يقول الشاعر إن دياره مهشمة مدمرة بفعل الرياح الحمراء التي أتت عليها، فأصبحت خيامها (كأنها نواعم من مران أوقرها البسر) في الصورة الأولى دياره أصبحت ممزقة، وكأنها ثياب مزقتها النسور، فقد استوقفته هذه المنازل المدمرة فتأخر عندها عن الرحيل، فهذه البقعة الواسعة ترسم الرياح الحمراء عليها (كما نمنم القرطاس بالقلم

---

(1) المصدر نفسه، ج1، ص161 .

(2) ديوان القتال الكلابي، ص49 (العرج، المران: موضعان بين مكة والمدينة، البسر: النسر، تسدي الرياح: تنسج، عرصات: جمع عرصة، وهي البقعة الواسعة لا بناء فيها، القرطاس: جاء في معجم المعاني الجامع في مادة (قُرطاس): وهي الصحيفة التي يكتب فيها، الخيط: جماعة من النعام، النشر: الجرب).

الحبر) أي أنها كالقرطاس الذي ترك عليه أثراً شبه الكتابة بالحبر، وركز الشاعر على شبيه الأثر ليشعر المتلقي بحجم الدمار الذي وقع على دياره، ثم انتقل الشاعر للصورة الثالثة فقال (كأنها أباعر ضـلال بآباطها نشـرُ) يقصـد وكأنها نعام أصـابها الجرب تحت إبطها، وقد اسـتخدم الشـاعر اللون الأحمر في هذه الأبيات ليكون رمزاً للخراب والدمار، وذلك ليجسـد مدى حزنه على دياره التي تركها، كما أنه جاء لوناً للقلب المجروح الغاضب بسبب الفراق والهجران.

وقد يلجأ الشاعر الصعلوك إلى تشبيهات نادرة منوّعاً في صوره، إذ إن " للخيال تأثيراً كبيراً في خلق الصورة الذهنية، وهذا ما نلحظه من خلال المواقف والحياة اليومية التي يعيشها الصعاليك؛ لأن إثارة الخيال هو طموح سعى إليه المبدعون طيلة الحقبة الأدبية السابقة، حيث نجدهم يحاولون استثمار كل ما يثير الخيال في ذهن المتلقي، ومستوى تحفيز الطاقات التعبيرية في الحروف، بحيث تستدعي الصياغات الصورية في النص الحرفي والورقي تداعيات تحفيز الخيال "[1] لتشكيل الصورة البصرية، فيلجأ إلى التشبيه الدائري، وهذا ما نلحظه عند القتال الكلابي من خلال قوله:[2]

وما رَوْضَةٌ بالحَزْنِ قَفرٌ مجودةٌ يمجُّ النَّدى ريحانُها وَصَبِيْبُهَا
بأطيبَ بعدَ النَّومِ من أُمِّ طارقٍ وَلا طعمُ عُنقودٍ عقارٍ زَبِيْبُها

في هذا التشـبيه الدائري تتسـع الدلالة وتتنامى ليكون ثغر أم طارق بعد النوم أطيب من الروضة التي تهوي إليها النفوس في المكان المقفر فتداخلت الصورة الذوقية مع البصـرية، فإذا بالحبيبة قد أصـبحت أكثر بهجة وخصـوبة من الروضـة بكل مغرياتها، وللمبالغة في حسـن ريق المحبوبة الذي يفوق الندى اختار وقتا يكون فيه الريق في أسـوأ حالاته، فكأنه يقول إذا كان في هذا الوقت أطيب من ندى الروض، فكيف يكون ريقها في باقي الأوقات؟

---

(1) نذير، عادل: عطر الوسيط، الأبجدية الأيقونة، مطبعة الزوراء، العراق 2009 م، ص160 .

(2) ديوان القتال الكلابي، ص31 .

سيمياء اللون في الاستعارة:

تعددت دلالات الاستعارة في شعر صعاليك العصر الإسلامي، ولكن معظم الاستعارات تدور حول سيمياء الجسد، يقول المرار الفقعسي واصفاً محبوبته:[1]

هَنِيئاً لِخُوطٍ مِنْ بَشامٍ يُرِفُّهُ إلى بَرَدٍ شَهْدٌ بِهِنّ مَشوبُ

يبدأ الشاعر في غزل معشوقته بمجموعة من الاستعارات التصريحية التي تشير إلى ألوان يمتزج بعضها ببعض، فالأخضر في خوط البشام (الخصر)، والأبيض في البرد (الأسنان) وفي الشهد (ماء أسنانها)، وفي اجتماع الأخضر بالأبيض دلالة على الرقة، والنعومة، والجمال.

وقال حريث بن عناب الطائي يصف الناقة السجواء عند الحلب:[2]

فَما بَرِحَت سَجواءَ حَتّى كَأَنَّما نُغادِرُ بِالزيزاءِ بِرُساً مُقَطَّعا

حذف الشاعر هنا المشبه وهو اللبن، وجاء بالمشبه به وهو القطن، فأقام صورة تجسيدية ناصعة البياض، توحي بوجود أسباب الحياة، وقوة التغلب على جفاف الصحراء، حيث إن قوة الناقة هي قوة جسده.

أيضاً أورد الشاعر نفسه تشبيهاً للناقة، حيث شبهها بالمرأة التي تتزين بالذهب والخضاب، فقال في ذلك:[3]

فأَلقَى إِلَيْها دِرْهَمَيْنِ وقَلَّصَتْ بِهِ ضامِرُ الكَشْحَيْن لَدنٌ عَسِيبُها
كما لاحَ تِبْرٌ في يَدٍ لمعَتْ بهِ كَعابٌ بَدا إِسْوارُها وخَضِيْبُها

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص 209 (السلاف هو: أول ما ينزل من الخمر، والبنان: أطراف الأصابع، والدمقس: الحرير الأبيض، والبرد: حب الغمام الأبيض. و السلاف: أول ما ينزل من الخمر، الهداب: الثوب) .

(2) المرجع نفسه، ج1، ص220 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص 210 .

عمد الشاعر إلى تشخيص الناقة، فأصبحت كأنها فتاة ضامرة البطن تتزين بالحلي، وتتخضب بالحناء، وإن كانت هذه الصورة تظهر مدى اشتياق هذا الشاعر المشرد للمرأة التي تمثل السكينة والهدوء التي حرم منها، فإنها تدل– بما يشيع فيها من حمرة وصفرة– على الوفاء والالتزام، فالسوار ارتباط، وتمسّك، وتملّك.

وقال الخطيم المحرزي:[1]

وَتيهاءَ مِكسالٍ إذا اللَيلُ جَنَّها تَزَمَّلَ فيها المدلِجونَ عَلى حذرِ

يصف الشاعر الصحراء الواسعة التي إذا طمس الليل معالمها، سار فيها المدلجون على حذر، فالشاعر شبه هذه الصحراء بفتاة مكسال تزداد تثاقلاً بالليل، وقيمة التشخيص أنه منح الصورة حركة بطيئة تناسب الثقل في الليل، والصورة وإن كان التصوير هنا يظهر معاناته في تلك الصحراء الشاسعة، فإنه يكشف بعداً جمالياً للمرأة في ذهن الشاعر.

وقال المرار الفقعسي واصفاً الأحجار التي توقد عليها القدور:[2]

أثَرُ الوقُودِ على جَوانِبِها بخدودِهنَّ كأنَّهُ اللَّطمُ

أراد الشاعر أن حجارة الموقد سوداء، تشبه خدود النساء اللواتي لطمن خدودهن كثيراً، فصارت سوداء من كثرة اللطم، وفي هذا التشخيص يستحضر الشاعر صورة المرأة التي يعز عليها فراق الرجل بعد مقتله في المعارك.

أما القتال الكلابي، فجاء بلفظة البحر دلالة على الكرم، حيث إن أباه وأجداده بحور في الكرم، فقال في ذلك:[3]

وإذا الرفاقُ مع الرفاقِ أهمها عُجَرُ المَتاعِ أتَت فِناءً واسعا

---

(1) المرجع نفسه، ج1، ص242 .

(2) المرجع نفسه، ج2، ص264 .

(3) ديوان القتال الكلابي، ص68 (عجر المتاع: همومه، تنازعه: تتجاذبه، تمده: ترفده الشرائع: جمع شريعة، وهي الطريق إلى الماء، الطيان: الجائع، العدم: الفقر والحاجة، الشيمة: السجية والطبع) .

بحراً تُنازِعُهُ البُحُورُ تُمِدُّه إن الُبحورَ ترى لهُنَّ شرايعا

ويَبِيْتُ يَسْتَحيِي الأمورَ وبَطنُه طَيانُ طَيَّ البُردِ يُحسَبُ جائِعا

مِن غَيرِ لا عَدَمٍ و لكن شِيمةٌ إنَّ الكِرامَ هُمُ الكرامُ طَبائِعا

يقول الشـــاعر إذا الرفاق كان همهم الحصـــول على الماء والزاد، فهو، وآباؤه، وأجـداده مثـل البحور بـالكرم يبيتوا جـائعين، ولم يـذوقوا طعم الزاد ليس من الفقر والجدب، ولكن هذه شـيمة فيهم، فالكرم طبع وسـجية عندهم، فهم لا يبخلون على أحد حتى لو كان آخر زادهم، ولو كان الجائع عدوهم لأطعموه، فجاءت لفظة بحر مفردة، ثم كررها الشاعر مرتين في صيغة الجمع؛ ليدلل على كرمهم وعطائهم غير المنقطع، فهم كالبحور المتجددة التي لا تنفد.

ومن جماليات الصـورة الاسـتعارية في العصـر الإسـلامي أنها تعنى بتصـوير الجسـد وقوته بأشـكال مختلفة، وفي كل شـكل لا نجد لوناً بمفرده، فالتشـكيل اللوني صـــار في هذا العصـــر يمتزج بألوان مختلفة للتشـــابك الحضـــاري بين الأمة العربية، والبيئات المجاورة، وتشابك أطراف الصورة، بل تداخلها، وخاصة في الاستعارة. ونلحظ المرار الفقعسي يجسد هذه الحقيقة من خلال قوله:[1]

لَيْثاً هِزَبْراً ذَا سِلاحٍ مُعْتَدِي

يرمي بطرفٍ كالحريق الموقَد

فالشاعر هنا يمدح نفسه بأنه الليث ذو سلاح، وقوة يعتدي على من يشاء، وله نظرةً عند الغضـــب بطرف عينه كأنه الحريق الموقد، فاختار الشـــاعر الليث المفترس بلونه الأحمر؛ ليجســـد القوة والســـيادة، وجاء بلون الحريق في عينيه رمزاً للغضـــب، والحقد، والانفعال.

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص219 .

ويقول الطمهان الكلابي واصفاً المرأة:[1]

مَا صَبَّ بَكْرِيًّا عَلَى كَعْبِيَّةٍ تَحْتَلُّ خَطْمَةَ أَوْ تَحُلُّ قُفَالا
إِلَّا المَقَادِرُ فَاسْتُهِيْمَ فُؤَادُهُ مِنْ أَنْ رَأَى ذَهَباً يَزِيْنُ غَزَالا
رِيْماً أَغَنَّ يَصِيْدُ حُسْنُ دَلالِه قَلْبَ الحَلِيْمِ وَيَطبِي الجُهَّالا
نَظَرَتْ إِلَيْكَ غَدَاةَ أَنْتَ عَلَى حِمِّى نَظَرَ الدَّوَا ذَكَرَ الوُصَاةَ فَمَالا

شـــبه الشـــاعر المرأة بالريم الأبيض الخالص الذي يتزين بالذهب، فحذف المشبه (المرأة) وجاء بصفة من صفاته، وهي الزينة بالذهب، وسر جمال الصورة في التجسيم الحركة وتداخل الألوان.

سيمياء اللون في الكناية:

التعبير الكنائي وبخاصـة عن المرأة وعفتها يزيد في جمالها، ويحفظ لها مقامها، ويعبر عن قوة أسلوب الشاعر، وهذا ما نلحظه عند الشاعر المرار بن سعيد الفقعسي من خلال قوله:[2]

وكفى حَداثَتها عَفافُ جُيوبِها رَقْبَ العُيُونِ رَعِيَّةَ المِغْيارِ
يَنْفَحْنَ بَالآصالِ كُلَّ عَشِيَّةٍ نَفْحَ الرِّياضِ بِحَنْوَةٍ وعَرارِ

يقول الشـاعر هنا إنه يكفيها (عفاف جيوبها) وجيب المرأة صـدرها، فهي تخفيه عن العيون التي تراقبها حفاظاً على غيرة محبوبها، وهذا التعبير عن عفة محبوبته يستدعي انتشار اللون الأبيض حيثما حلت، فيغيب فيه نظرة الناظر.

ويمكن القول هنا إن الشاعر الصعلوك له القدرة على تشكيل اللغة المجازية بما يجاوز إطار المألوف، ويجعل التنبؤ بالذي سيسلكه غير ممكن، مما يجعل المتلقي في

(1) المرجع نفسه،ج1، ص 345 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص 233 .

انتظار دائم لتشـــكيل فني جديد، وهذا ما جعل الخطيم المحرزي يوظف بنية الكناية في تكثيف الدلالة، فقال في مدح الوالي:[1]

خَليلي الفَتى العُكلي لَم أَرَ مِثلَهُ تحلبُ كَفاهُ النَدى شائِعُ القَدرِ

فالشـــاعر هنا يمدح الوالي ويفتخر بكرمه، من خلال قوله (تحلب كفاه الندى) فجاء الندى وهو أبيض اللون كناية عن الكرم والعطاء، ليعطي للصـــورة بعداً مكثفاً، وجعل المتلقي يجول في أفكاره العميقة.

وقال الخطيم المحرزي:[2]

تهللَ منها واكفٌ مطرت بهِ جمومٌ بملءِ الشأنِ مائحةُ القطرِ

لقد جاء الشـاعر بقوله (جمومٌ بملءِ الشـأنِ مائحةُ القطرِ) كناية عن كثرة بكاء العين، حيث جعل دموعه تملأ الدلو تلو الدلو من كثرة البكاء، فجاء اللون الأبيض لوناً للدموع، وكناية عن الحزن الشديد.

ووصف الخطيم المحرزي أيضاً الإبل المتعبة من السفر فقال:[3]

إِذا وَثَبَت مِن مبرَكٍ غادَرَت بِهِ دَماً مِن أَظلٍّ راعِفٍ لَم يُنَعَّلِ

لقد أراد الشـاعر أن باطنها ينزف دماً كناية على شـدة الإعياء والتعب، فسـيطر اللون الأحمر على هذه الصورة الكنائية؛ ليجسد شدة التعب والإرهاق في هذه الصحراء الحارة.

وقال السمهري العكلي يصف ثغر محبوبته:[4]

وبيضاءَ مِكْسَالٍ لَعُوبٍ خَرِيْدَةٍ لَذِيذٌ لدَى لَيلِ التَّمامِ شِمامُها

---

(1) المرجع نفسه، ج1، ص242 .

(2) المرجع نفسه، ج1، ص 244 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص251.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص283 .

لقد استخدم الشاعر الكناية في البيت الأول فقال (بيضاء مكسال) حيث أراد أن محبوبته مترفة تخدمها النساء.

أما القتال الكلابي فيفخر بأهله وقوتهم فقال:[1]

رجالٌ بأَيْدِيها دماءٌ ونَائِلٌ يَكَادُ على الأعْدَاءِ أن يَتَحَلَّبَا

يقول الشاعر إن السيوف بأيديهم تسيل دماء، كناية عن كثرة القتل، وأن كرمهم وعطاءهم يجري حتى على أعدائهم.

أما القتال الكلابي فيكني عن كرم أبيه وأجداده، فقال:[2]

ويبيت يستحيي الأمورَ وبَطنُه طَيَانُ طَيَّ البُردِ يُحسَبُ جَائِعا

مِن غَيرِ لا عَدَمٍ ولكن شِيمةٌ إنَّ الكِرامَ هُمُ الكرامُ طَبائِعا

يتحدث الشاعر هنا عن كرم أهله وأجداده، فالكرم عندهم طبع وسجية، لا يبخلون على أحد حتى لو كان آخر زادهم، ولو كان الجائع عدوهم لأطعموه.

ونخلص في النهاية إلى أن الصورة اللونية وهبت النص قوة التأثير في المتلقي، إذ اتبع الشاعر الصعلوك فنون البيان من تشبيه، واستعارة، وكناية، إلا أن استخدام التشبيه عند الشعراء الصعاليك كان أكثر من استخدامهم للاستعارة والكناية، إذ يتحول به الأسلوب من معناه الاعتيادي إلى معناه غير الاعتيادي؛ لأن الشاعر انتهك قوانين العادة، وانتج لنا شعراً ينبض بالدهشة والإثارة التي تجد لها صدى في نفس المتلقي، ولقد وظف الشعراء أدوات التشبيه(الكاف، وكأن) أكثر من باقي الأدوات؛ وذلك لما لهاتين الأداتين من أهمية في إبراز فكرة الشاعر، ولا سيما عندما يوظف كاف التشبيه مع إن المؤكدة، لما لها من قدرة على تشكيل الصورة الشعرية اللونية التي تتضمن شعوراً أعمق على حمل الانفعال من الكاف وحدها

---

(1) ديوان القتال الكلابي، ص34.

(2) المصدر نفسه، ص68 (عجر المتاع: همومه، تنازعه: تتجاذبه، تمده: ترفده الشرائع: جمع شريعة وهي الطريق إلى الماء، الطيان: الجائع، العدم: الفقر والحاجة، الشيمة: السجية والطبع) .

وقد وظف الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي المدركات الحسية بشكل أساسي مع جنوح بسيط في عالم الخيال. أما الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي فجنوحهم إلى عالم الخيال كان أكثر من أسلافهم في العصر الجاهلي في تشكيل صورهم الشعرية معتمدين على البنى التشبيهية التمثيلية لإبراز الصورة اللونية، فقد استخدموا الدماء في المعركة؛ لتعطي صورة لونية حمراء ترمز للقتل والفتك، أيضاً جاء الشاعر الصعلوك بالمرأة البيضاء وأسنانها اللامعة البيضاء كزهور الأقحوان، وشبهها بالبرق الذي يسبق المطر والرزق فكانت الصورة اللونية مغطاة بالبياض؛ ليرمز للأمل والتفاؤل ولعفة وجمال المحبوبة أيضاً.

وقد لجأ الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي إلى لون جديد من التشبيه وهو التشبيه الدائري، والذي لم نجده عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، حيث تكمن قيمة هذا التشبيه في طول نفس الشاعر، واتساع عباراته لإغراق المتلقي في هذه الصورة الشعرية اللونية المتكاملة.

وقد لجأ الشعراء الصعاليك في العصرين لاستنطاق الطبيعة من خلال توظيف البنية التجسيدية لتشكيل صور لونية متكاملة يخاطبون فيها موجودات المكان بشكل يعبر عن حالتهم النفسية، ورغبة منهم في تجسيم الفكرة، بحيث تخرج من مجالها العقلي إلى مجالها الحسي.

المبحث الثاني

سيميائية الصورة وتعدد الألوان في شعر الصعاليك

سيميائية الصورة وتعدد الألوان عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي:

تُبدي الألوان– في كثير من الأحيان– جماليات التعبير والتصوير الفني، فترسم الكثير من المعاني والصـــور التي تدل على الإبداع القوي، ومقدرة الخيال على الجمع بين تلك الألوان في لوحة قوامها الوحدة، والانســـجام، و" الجمع بين المتشـــابهات، وتوحيد المتناقضات، ذلك أن التداخل في التركيب له شأن عظيم، ومكان من الفضيلة مرموق؛ لأن الصـــورة مع هذا المزج تتداخل، وتتركب، وتأتلف ائتلاف الشـــكلين "[1]؛ ليحقق الشـاعر نموذجاً مثالياً من الجمال والثراء الذي يحدثه من " خلال توظيفه لتعدد الألوان، وتشـــكيل اللوحة المتناســـقة مع الحركة، وانتظام الخطوط، والمد الرائع لتلك الألوان مع الحفاظ على دلالات الألوان الأصـلية، وقد يمثل تعدد الألوان لدى الشـاعر حالة من حالات اشـــتعال الألوان وتوهجها بأعلى وتيرة ممكنة، من خلال صـــورة تستحضر كل الألوان حتى تصبح ملموسة، إنها الصورة الشعرية الجميلة والعميقة "[2]

ومما يدفع الشـاعر إلى استخدام الألوان في الصـورة الشـعرية هو " الحاجة إلى استكشاف الصورة أولاً، ثم إلى إثارة القارئ أو المتلقي ثانياً، فالشعر ينبت ويترعرع في أحضـان الأشكال والألوان، سواء منظورة كانت أم مستحضرة في الذهن، وهو بالنسبة للقارئ وسـيلة لاسـتحضـار هذه الأشـكال والألوان في نسـقٍ خاص"[3]، فالارتباط بين

---

(1) الجرجاني، عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان، ص 110 .

(2) أحمد، حيدر محمد جمال: إيقاع الألوان في شعر عز الدين المناصرة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، جامعة دمشق، مجلد 20، العدد 1، يناير 2012م، ص 117 .

(3) إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب، ص59 – 60

اللون وعلم الدلالة لا يمكن تجاهله بسبب دلالاتها الواضحة في النفس التي يمكن تجاهلها، فكيف بالشاعر الذي يكون أكثر رهافة، وأدق بصراً، وأعلم في خبايا اللغة وإنتاجها للمعاني.

ولعل تجربة الشاعر الذاتية المتراكمة، وحالته النفسية، والظروف المحيطة به، خلقت أوصافاً شعرية يصعب الإفصاح عنها باللفظ المباشر، لذا يتحول الشاعر إلى كلمة أخرى، يعبر عنها كنائياً مما يفضي إلى معانٍ أخرى وسط أجواء مشحونة بتراكم عاطفي ومشاعر عميقة، ولا سيما فيما يتعلق بالمرأة، إذ إنَّ التعامل معها يخضع لمقاييس الأعراف والتقاليد المتوارثة، وعلى الشاعر أن يهذب الألفاظ بأسلوب يشُد المتلقي، ويؤثر فيه بدلالات الألفاظ المفضية إلى معانٍ خفية، ومنها ما قاله تأبط شراً:[1]

أَنَا الذي نَكَحَ الغِيلاَنَ في بَلَدٍ مَا طَلَّ فيه سِماكِي وَلاَ جَادَا
فِي حَيثُ لا يَعمِيتُ الغَادِي عَمَايَتَهُ وَلاَ الظَّلِيمُ بِهِ يبغِي تِهبَّادَا
وَقَد لَهَوتُ بِمَصقُولٍ عَوَارِضُها بِكرٍ تُنَازِعنِي كَأساً وعنقَادا
ثُمَّ انْقَضَى عَصْرُها عَنِي وأعْقَبَهُ عَصْرُ المَشِيبِ فَقُلْ فِي صَالِحٍ بَادَا

نلحظ أن الشاعر قد استخدم عدة ألوان في هذه الأبيات بلفظ غير مباشر، فقد شكل صورة كنائية بقوله (مصقول عوارضها) ليصف بها لحظات فريدة جنح بها خياله وهو هائم في الصحراء، فاللقاء بينه وبين محبوبته ليس حقيقياً، ولكنه تخيل (الجن والغول) بأنها هي (محبوبته) فتزوجها في قوله (أنا الذي نكح الغيلان) وهذا يمثل حاجة الشاعر للاستقرار والسكينة؛ لأن هذا اللقاء كان لقاءً تخيلياً وليس حقيقياً، بل إن حاجته الماسة لإرضاء دوافعه النفسية جعلت خياله ينسج هذا اللقاء، فوصف محبوبته صاحبة الثنايا البيضاء البراقة، فهي بكرُ تنازعه على كأس العنقاد، وهي الخمر

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص77.

الأحمر، فقد أدخل الشـاعر الخمر الحمراء هنا ليجسـد مدى حاجته الشـعورية للمرأة لإرضـاء غريزته، ثم انتقل في البيت الثاني ليؤكد أن لقاءه كان في خياله، فهو قصـير لم يدم أكثر من لحظات، فوظف بنية (انقضـى عصـرها) ليؤكد ذلك، ويبدأ في عصـر ظهور الشيب في رأسـه، وما يلازمه من ذهاب لقوته وفروسيته، فجاء بصـورة بيضـاء ممزوجة باللون الأسود الذي يوحي بالحزن، واليأس، والحسرة، والندم على ذلك العصر الذي انتهى عنه، فجاء المشـيب كناية عن صـفة الضـعف المتهالك الذي يصـل في الإنسان إلى أرذل العمر.

وقد ذكر الشـاعر طائر الظليم الذي يجمع بين البياض والسـواد في هذه الصـحراء القفر، حيث نلحظ كم الألوان المتعددة في هذه الأبيات، حيث جمعت بين (الأبيض، والأسود، والأحمر، والأزرق) لتشكل لوحة لفنان محترف، فأسهمت في خلق علاقة بين النص والمتلقي من خلال التناغم الذي تفرزه السـمات النفسـية، إذ تعد هذه الصـورة اللونية من البواعث التي تخلق انفعالاً عند المتلقي أو المخاطب بغض النظر عن نوع هذا الانفعال سـواء سـلبياً كان أم إيجابياً، فنلحظ أن الشـاعر قد وظف بنيات لونية لتشكيل الصورة، لتعبر عن إحساسه الداخلي، فاللون الأبيض يمثل أمله وتفاؤله للعيش في حياة مسـتقرة هادئة بعيدة عن التشـرد، والفقر، والخوف، وقد مثل اللون الأسود حالة الحزن المسيطرة عليه في هذه الصـحراء الموحشـة، أما اللون الأزرق في الغول فمثل حقده وسـخطه على قبيلته، وأحكامها التي جعلته مشـرداً صـعلوكاً، وجاء اللون الأحمر ليعبر عن حاجته للمرأة لإرضـاء غريزته، وقد جاء اسـتخدام الشـاعر للبحر البسـيط في نظم هذه الأبيات ليلائم التذبذب النفسـي، والذي يسـمح له بحشـد الألفاظ المناسـبة، والتغير غير المتوقع في دينامية هذا البحر ثنائي التفعيلة، فقد اسـتدرج الشـاعر المتلقي إلى عالم النص بمجموعة من الإيحاءات والتأثير فيه، ومن هنا أصبحت الصورة بمثابة جسور لعبور المعنى إلى المتلقي، محملة بعواطف الشاعر وأحاسيسه في أبلغ لفظ وأوجز أسلوب.

ومن الصـور التي تكشـف عن تمتع الصـعلوك بطاقة تخييلية عالية تجسـدت بقدرته التصويرية البارعة من خلال صور المشبه والمشبه به والأداة، قول تأبط شراً:[1]

جَزَى اللَّهُ فِتياناً على العَوصِ أَمطَرت سَماؤُهُم تحتَ العَجَاجَةِ بِالدَّمِ
وَقَد لاَحَ ضَوءُ الفَجرِ عَرضاً كَـــأَنَّهُ بِـلَـمحَـتِـه أقـرَابُ أَبـلَـقَ أَدهَمِ
فإنَّ شِفَاءَ الدَّاءِ إدراكُ ذَحـــــــلَةٍ صَبَاحاً على آثارِ حَومٍ عَرَمرَمِ

نرى في هذه الأبيات مقدرة الشاعر الفنية في نسج أركان البنية التشبيهية المعبرة عن الصـورة بقوله (كأنه بلمحته أقراب أبلق أدهم) فهي ذات طابع حسـي تتكون من عدة ظواهر حسية (ضوء، فجر، أقراب، أدهم) انتزعها الشاعر من واقع بيئته الجاهلية، وجسدها تماماً بين مخيلته وطبيعة الواقع المادي المحسوس، إذ شبه الفجر وبياضه الذي يخالطه السواد بخاصرة الجواد الأبلق الأسود الذي يخالطه البياض، بواسطة أداة التشـبيه (كأن) المؤلفة من الكاف للتشـبيه و(أنَّ) المؤكدة، التي لها القدرة على إذابة الحدود بين المشبه والمشبه به؛ لترسيخ الصورة التي يصعب عندها الفصل بين أركان التشـبيه، وقد وصـفت هذه الأداة " بأنها حرف مشـبه بالفعل تفيد التوكيد، والظن، والتقريب "[2]، كما لهذه الأداة " إمكانات كبيرة في تشـغيل الخيال، وتحريك عناصـر الصورة، وغالباً ما تدخل المتلقي في أجواء تأملية " [3].

كما نلحظ أن الصـورة مكتنزة بالأبعاد الدلالية، والرؤية تثير إيحاءات فكرية متنوعة، يمكن قراءتها قراءة متعددة بحسـب إدراك المتلقي، وذائقته الفنية، ووعيه

---

(1) ديوان تأبط شـراً وأخباره، ص208(العجاجة: غبرة المقاتلين، الأقراب: الخواصـر، أبلق أدهم: الذي لونه بياض مع سواد، الذحل: الثأر، الحوم عرمرم: الجماعة الكثيرة)

(2) المراغي، أحمد مصـطفي: علوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993م، ص233

(3) الحمداني، إياد عبد الودود: التصوير المجازي أنماطه ودلالاته، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2004 م، ص37 .

النقدي، فبعد أن أبلى أبناء قبيلته بلاءً حسناً، وفتكوا بقبيلة (العوص) وأصبحت السماء تُمطر دماً في دياجير الليل المظلم، لاحت البوادر الأولى لضـوء الفجر، والفجر يرمز إلى الحرية، والوضوح، والبشائر الأولى التي تبدد السواد، وكأن الشاعر أراد القول إن مع بزوغ الفجر هو وأصـــدقاؤه قد حققوا نصـــراً مبيناً على خصـــمهم، ومن هنا فإن توظيف البنية التشـــبيهية اللونية في هذه الصـــورة كان له أثر كبير في بنية النص، وتقوية المعنى، وتوكيده.

ونلحظ تعدد الألوان عند أبي الطمحان القيني، حيث يصـف الطبيعة في موطنه بصورة متكاملة، حيث جداول المياه، والسهول، والسماء بنجومها المتلألئة:[1]

تَـراءى نُـجومُ الأَخذِ في حجراتِهِ وَتَـفـهَـقُ في إِتراعِها في الجَداوِلِ
لَهـا مَـشـرَعٌ غَمرٌ وَخَـلقاءُ رخـصَـةٌ مَـنـابِتُـها لَم تَـخـتَـرِق بِـالمَـنـاجِلِ
يُـسَـلسِـلنَ بَـرداً خـالِـصاً وَعُـذوبَـةً شِفاءَ الغَليلِ وَالعُيونِ الحَواجِلِ
أَرب عَلَيـها قـارِبُ المـاءِ بـعدَمـا رَأى الشَّمسَ قَد كانَت مَدى المُتَناوِلِ

لقد رســم الشــاعر مقطوعة فنية تتكاثف الألوان فيها وتتمازج، لترســم لوحات شـــعرية جميلة، تلقفها القلوب، وتلقاها العيون المتأملة، فنجوم الأخذ التي يأخذ القمر أماكنها تنعكس صـورتها على جداول الماء، وعلى هضـبة قاحلة، وأرض خصـبة بها نبات أخضر لم يحصد بعد، أما العيون ذوات الماء العذب، فهي شفاء للقلوب الحزينة، وهناك أرب وهو (حمار صـــغير رمادي اللون) قريب من الماء، ثم جاءت الشـــمس بأشعتها المشرقة المنيرة لتبعث الحياة، وتجددها، وتعطي الأمل.

لقد بدأ الشـــاعر في وصـــف الطبيعة من وقت الفجر، فالنجوم تهم بالغياب، فتسحقها الشمس، لتثبت أنها أساس الحياة، فالشاعر بهذا التوقيت ينتظر النهاية، نهاية تشرده وعدم استقراره، فهو يتوقع بداية الأمل والخلاص، وهذا يجسد مدى شوقه لوطنه،

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص 326 .

وحاجته للاستقرار، فقد استعان الشاعر بعدة وسائل تعويضاً لما يفقده، ومنها تعدد الألوان، فقد لجأ للألوان غير المباشرة، فالنجوم تمثل اللون الأبيض الذي يعد أيقوناً ورمزاً للأمل والتفاؤل، وجداول الماء والعيون العذبة تمثل اللون الأزرق، أما الأرض الخصبة تمثل اللون الأخضر، والهضبة القاحلة تمثل اللون الأصفر، وأرب يمثل اللون الرمادي، أما الشمس فتمثل اللون الأصفر الطاغي، وقد استخدم الشاعر اللونين الأخضر والأزرق؛ ليبث في نفس المتلقي مدى حاجته للهدوء، والسكينة، والاستقرار. أما اللون الأصفر في الهضبة فيمثل الفقر، والجوع، والمرض الذي يواجهه في غربته، وجاء في اللون الرمادي ليكون معبراً على حالة الحزن والاضطراب التي يعيشها الشاعر، وانتقل في نهاية الأبيات للون الأصفر المشرق الذي يبث النشاط، والقوة، والحيوية، ليكون طريقاً للأمل والتفاؤل في عودته لوطنه، وأهله، واستقراره الذي حرم منه.

لقد اتكأ الشاعر في هذا الانتقال من اللون الرمادي إلى اللون الأصفر ليبين لنا مدى ثقل الزمن في نفسه وكثرة همومه قبل شروق الشمس الذي بدد النجوم ليبدأ الأمل من جديد.

ونلحظ تعدد الألوان من خلال رثاء تأبط شراً لصديقه الشنفرى، فقال يعبر عن حزنه:[1]

يُفَرِّجُ عَنْهُ غُمَّةُ الرَّوْعِ عَزْمُهُ وَصَفْرَاءُ مِرْنَانٌ وَأَبْيَضُ بَاتِرِ

لقد ضمت هذه اللوحة الفنية عدة ألوان وهي: (الأسود، والأصفر، والأبيض) فجاء اللون الأسود في الهم، والغم، وحزن الشاعر، وحداده على صديقه، واللون الأصفر جاء بدلالته الإيجابية بإعطاء القوس القوة والإشعاع، فهي كالشمس في السطوع، والانشراح، وتفريغ الهموم، وكأنها محبوبته تبث به السكينة والهدوء. أما اللون

(1) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص81 (صفراء: القوس) .

الأبيض، فجاء لون السيف البتار الذي يشفي غليل الشاعر، ويروِّح عنه حزنه، فنلحظ إنه على الرغم من أن الشاعر يحاول أن يسيطر على حالته النفسية الحزينة، فإن حزنه كان واضحاً جلياً، فهو يحاول استعادة قوته بعد موت صديقه ليثأر له ويريح نفسه، فجاء تعدد الألوان كوسيلة من التعويض النفسي لتحقيق رباطة جأشه.

إن تَفَهُّم الرمز في ضوء السياق الشعري يعني الالتفات إلى التجربة التي تسكن الشاعر، ولذلك يمنح الدلالة الخاصة التي هي من خلق الشاعر، إذ يجد في هذه اللفظة أو تلك طاقة جذب مستمرة للمتلقي، تنهض بما يتسرب إلى النفس من وقع الأشياء لينكر مظهرها، ويَعْبُر منها إلى التأويل والتلميح، وهذا ما أوجده الشنفرى في وصفه لآلات الحرب خاصته، فقال:[1]

ثَـلاَثَـةُ أصْحَـابٍ: فُؤَادٌ مُشَيَّـعٌ وأبْيَضُ إصْلِيتٌ وَصَفْرَاءُ عَيْطَلُ.

نلحظ أن الشاعر قد حدد أصحابه، فهم ثلاثة: قلب شجاع، وسيف مجرد من غمده يلمع بياضاً وحدة، وقوس صفراء طويلة العنق، حيث نلحظ أن الصورة الشعرية تتمتع بثلاثة ألوان صارخة مفعمة بالقوة وهي (الأحمر، والأصفر، وأبيض) فاللون الأحمر لون القلب، والحب، والقوة. أما اللون الأبيض فهو لون الصدق والحق الذي يتمنى الشاعر الحصول عليه، والأصفر لون المرونة، والإشراق، والعنفوان، والإثارة، فالقوس كالمرأة الجميلة طويلة العنق التي تدعو للإثارة والتحفز. وهنا نلحظ القيمة التعبيرية التي وظفها الشاعر الصعلوك المرتبطة بآلات الحرب (القوس والسيف) حيث تؤكد عمق التفاعل مع طبيعة حياته القتالية المشردة، لهذا غدت أكثر قدرة على الإيحاء لحياة الصعاليك ونهج تفكيرهم.

ومن الصور اللونية التي تجمع بين المتضادات (الأسود والأبيض)، قول الشاعر مالك بن حريم عندما جزع من المشيب والكبر:[2]

---

(1) ديوان الشنفرى، ص60 (مشيع: شجاع، الإصليت: السيف المجرد من غمده، عيطل: طويلة العنق)

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص128 .

جَزعتَ ولم تَجزَع مِنَ الشَّيبِ مَجزعا وقد فات رِبعِيُّ الشبابِ فَودَّعا

وَلاَحَ بَيَاضٌ فِي سَوَادٍ كَأَنَّهُ صُوَارٌ بِجَوٍّ كَانَ جَدْبًا فَأَمْرَعَا

لقد ربط الشاعر اللون الأسود بالشباب؛ ليدل على القوة والعنفوان، أما اللون الأبيض، فجاء ليرمز به إلى الضعف والتقدم بالعمر، فالمشيب ترك أثراً على نفسية الشاعر، فقد شبه الشاعر الشيب في رأسه كقطيع البقر البيض في الخضرة القاتمة اللون، والقريبة من السواد، فالعرب كانت تطلق الأسود على" الشجر لخضرته ومقاربة الخضرة للسواد "[1]، فجاء اللون الأسود رمزاً للشباب، والحب، والجمال. أما مجيء الشيب فيضع أمامه قدوم الشيخوخة، وضعف الجسد، والقوة، والوهن، وبالتالي تسيطر على الشاعر هنا حالة من اليأس والحزن، فالشيب قد كسا رأسه، وبسببه ابتعد عنه الأصدقاء، فقد اتبع الشاعر هنا الأضداد والتناقض في آن واحد، فالأبيض والأسود متضادان قويان في الطبيعة، والمتعارف عليه أن الأسود يجسد الموت، والأبيض يجسد الحياة، أما هنا فجاء الشاعر بالنقيض، فالأبيض يمثل الموت، واليأس، والتشاؤم، والأسود يمثل القوة، والشباب، والجمال.

وجاء أيضاً اللون الأسود والأبيض في التكرار؛ ليمثلا في تجاورهما للهموم والمصائب، فقال فضالة بن شريك يصف وجوه نساء بني أمية:[2]

فَرَدَّ شُعُوْرَهِنَّ السُّوْدَ بِيْضَاً وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البِيْضَ سُوْدَا

يبين الشاعر أن اللون الأسود قد كسا وجوه نساء بني أمية؛ وكثرة نوائب الدهر، فأثرت على عقولهن، وشيبتهن، فردت الأسود من شعورهن إلى أبيض من شدة الحزن، والأبيض في وجوههن إلى أسود من كثرة اللطم، فجاء الشاعر بالأضداد بين اللونين الأبيض في شعر الرأس، والأسود في الوجه ليبرز كم الحزن، والتشاؤم الذي سيطر

---

(1) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص41 .

(2) المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسن (أبو علي): شرح الحماسة، ط1، دار الكتب العلمية، 2003م، ج2، ص941

على نســـاء بني أمية، لذا جاء اللون الأســـود في الوجه دلالة على الهم، والحزن من مصائب الدهر، وجاء –أيضاً– ليجسد نظرة الشاعر التشاؤمية للحياة، واعتبار جانب الشر فيها أكثر من جانب الخير.

كذلك نلحظ تعدد الألوان في وصف الشنفرى إحدى معاركه ليلاً، بقوله:[1]

فَثَارُوا إِلَيْنا في السَّوادِ فَهَجْهَجُوا وَصَوَّتَ فِينَا بِالصَّباحِ المثَوِّبُ

يقصد الشاعر أن خصومه هجموا عليهم في ظلام الليل وسواده الحالك، لكن صــوتهم يكاد يكون مخنوقا من الذعر والخوف، وما ذِكر الصــباح بلونه الأبيض، إلا لتأكيد التفاؤل وحتمية النصــر. ولا يخفى ما في هذا البيت من إيقاع صــاخب، وألفاظ ثقيلة في الســمع تناســباً مع وقع المعركة، وقوة الجســد في مواجهة الأعداء في ظلمة الليل.

ونلحظ الصــورة الفنية المتعلقة بتعدد الألوان عند تأبط شــراً الذي ذكر الســهم الملطخ بالدماء، وأطلق عليه اسم الأسمر، فقال:[2]

فَقَلَّدْتُ سَوَّارَ بنَ عَمْرو بنِ مَالِكٍ بِأَسْمَرَ حَشْرِ القُذَّتَيْنِ طَمِيلِ

يصف الشاعر كيف قضى على خصمه – سوار بن عمرو بن مالك – عندما هاجمه، حيث قلده الســهم؛ أي أصــابه بين الصــدر والعنق، وهذا المكان يعد مقتلاً للإنسان، فأصبح السهم (طميل) ملطخاً بالدماء، دلالة على قتله، فاللون الأحمر يفهم من الســياق، ولكن اللون الأســمر جاء صــراحة صــفة للســهم القوي، وقوة الجمع بين اللونين الأســمر والأحمر، تأتي من ألفة العرب للون الأســمر، فهو لون العربي الذي يتصــف بالســرعة، والعزة، والقوة، أما الأحمر فمن دلالاته الشــجاعة، والقوة، وهزيمة العدو.

---

(1) ديوان الشنفرى، ص 28.

(2) ديوان تأبط شراً وأخباره، ص188. (الأسمر: سهم كبير الريش)

ومن الصور التي تعددت فيها الألوان والأصوات قول عمرو بن براقة الهمذاني في المدح:[1]

كَالهُنداوِنّي لم تُفْلَل مَضَارِبُهُ وجهٌ جَمِيْلٌ وقَلْبٌ غيرُ وجَّابِ

حيث شبه وجهه الجميل بالسيف المصنوع من ماء الحديد، وهو أفضل السيوف، لذلك لم يثلم، بل يبقى له صليل في المعارك، أما قلبه فهو قوي غير مضطرب لا يعرف الخوف، فجاءت الصورة ممتلئة بألوان مختلفة، حيث نجد اللون الأبيض في الهنداوي والوجه الجميل، والعرب كانت تشير باللون الأبيض إلى النقاء، والصفاء، والإشراق[2]، كما أننا نجد اللون الأحمر في قوله (لم تفلل مضاربه)، ومن قوله:(وقلب غير وجاب) نستحضر اللون الأصفر للخائف، ونسمع دقات قلبه المتسارعة.

سيميائية الصورة وتعدد الألوان عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي:

نلحظ تعدد الألوان عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي عند المرار الفقعسي، فقد صنع لوحة دمج بها اللون الأبيض مع اللون الأحمر، والأخضر، والأصفر، فقال في ذلك:[3]

ولا خَيرَ في الدُّنيا إذا أَنتَ لَمْ تَزُرْ حَبِيباً ولَمْ يَطرِبْ إلَيْكَ حَبِيْبُ
وكانتْ رِياحُ الشَّامِ تُكرَهُ مَـرَّةً فَقَدْ جَعَلَتْ تلْكَ الرِّياحَ تَطيبُ
هَنِيئاً لِخُـوطٍ مِنْ بَشامٍ يُرِفُـهُ إلى بَرَدٍ شَهْدٌ بِهِنَّ مَشوبُ

---

(1) ديوان عمرو بن براقة الهمذاني، سيرته وشعره، ص83 .

(2) عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، ص41 .

(3) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص209(السلاف: أول ما ينزل من الخمر، الهداب: الثوب، الدمقس: الحرير الأبيض)

بِمَا قَدْ تَسَقَّى مِنْ سُلَافٍ وَضَمَّهُ بَنَانٌ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ خَضِيبُ

لقد رسم الشاعر الصعلوك صورة لجمال محبوبته، مستمداً معطياتها من البيئة التي عاش فيها، فعقد مشابهة بين الغصن الأخضر الناعم الرطب وجسد محبوبته، فهي كشجر البشام طيبة الريح والطعم، وأسنانها كحب الغمام (البرد) أبيض اللون، عذب الطعم كالشهد الأصفر المخلوط السلس في مذاقه، فتسقيه محبوبته الخمر من بنانها المخضب بالحناء، فجاء الأخضر لوناً للطبيعة، ورمزا للخصوبة والنماء، واللون الأبيض جاء رمزاً للعفة، والطهارة، ونقاء العرض. أما اللون الأحمر فكان لون الحب، والإثارة، والغواية، وجاء اللون الأصفر ليجسد القطيعة والبعد، لذا نجح الشاعر في توظيف الألوان في هذه اللوحة، حيث أقحمها في السياق الشعري، فكانت على درجة عالية في الإثارة، حيث استغل الشاعر هذا النسيج من الألوان للتعبير عن تجربته مع حبيبته، ليثير ذكرياته عند لقائها، ويعبر عن شوقه وشغفه للقائها من جديد، فتعدد الألوان واختلاف إيقاعها أكسب هذه الأبيات موسيقى وإيقاعاً منسجماً، ولا سيما أن الشاعر قد أضفى عليها من موقفه الشعوري نتيجة تجربته الخاصة.

ونلحظ أيضاً توظيف اللون الأبيض والأسود عند جحدر العكلي في بزوغ الصباح ليجدد الأمل، فقال:[1]

سَرَيْتُ بِهِمْ حَتَّى مَضَى اللَّيلُ كُلُّهُ وَلاحَتْ هَوادِي الصُّبْحِ لِلمُتَأَمِّلِ

عمد الشاعر هنا للأضداد؛ ليبرز جمال صورته الفنية، فالأبيض أيقون الأمل، والتفاؤل، والنشاط، والنقاء، والصفاء، أما الأسود في الليل فهو الحزن، والغم، والتشاؤم. فمجيء الصباح بإشراقه ونشاطه يلغي ويبدد ما جاء به الليل من حزن، وهواجس، وتشاؤم، فجاء الأبيض في الصباح وإشراقه ليكون الأمل الذي يضعه الشاعر أمام عينيه ويتمناه، وهو العودة لوطنه، وأهله، وصدور العفو عنه من سلطة الوالي.

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص167.

ولطالما جاء اللون الأسـود عند الشـعراء لوناً لشَـعر محبوباتهم اللاتي يتغزلون بهن، فشعر المرأة الجاهليّة التي أحبّه الشعراء هو الشعر الأسود الحالك كالليل، على أن يكون طويلاً، فطول شـعر الأنثى وشـدّة اسـوداده من عناصـر الجمال في المرأة الجاهليّة، وجاء القتال الكلابي ليضـفي صـورة المرأة على ظبية بيضـاء ناصـعة ذات شعر أسود، فوصفها قائلاً:[1]

تُرَدِّدُ أَمْثَالَ الأَسَاوِدِ أُرْسِلَتْ بِمَتْنَيْ خَذُوْلٍ يَغْتَدِيهَا أَشَامِسُ
كأنَّ سَحِيْقَ المِسْكِ من صنّ فَارةٍ يُشابُ بها غادٍ من الثَّلْجِ قارِسُ
تُـصَـبُّ عـلـيـهِ قَرْقَفٌ بـابِـليَّةٌ بأنيابِها واللَّيلُ بالطَّلِّ لابِسُ

لقد أضـفى الشـاعر صـورة المرأة على هذه الظبية التي تخلفت عن القطيع، وانفردت في هذا اليوم المشمس، حيث شبه شعرها بالحيات السود؛ لشدة سواده، ولم يكتفِ القتال بذلك فحسب، فشبه شعر الظبية أيضاً بسحيق المسك الأسود في وعائه رمزاً لجماله وعبق رائحته الجميلة، ثم انتقل إلى أسـنانها، فكأنها امرأة تبللت أسـنانها بالخمر الأحمر المسكر، فأصبحت كالتي بللها المطر الضعيف.

نلحظ في هذه الصـورة الفنية تخيلاً رائعاً للظبية في الطبيعة باسـتخدام اللون الأسود حيث جعل منه في لون الشعر رمزاً للجمال والشباب، وفي لون المسك، رمزاً للغواية، لما يثيره من رائحة تأسـر القلوب. أما اللون الأبيض، فجاء في جسـد هذه الظبية، فهي مثل الثلج، لتكون أيقون العفة والطهارة، وربما يكون خيط الأمل في إنهاء غربة الشـاعر، وقد انتقل الشـاعر لأسـنان هذه الظبية التي تبللت بالمطر، وكأنها محبوبة عندما تشرب الخمر المسكر، فجاء اللون الأحمر لوناً للخمر؛ ليجسد الحب، والشهوة، والغريزة المسيطرة على الشاعر.

(1) ديوان القتال الكلابي، ص67 (الأساود: هي الحيات السود، الفارة: وعاء المسك) .

وقد استعان الشاعر بدمج هذه الألوان في صورته الشعرية؛ ليجسد مدى حاجته للمرأة في هذه الصحراء القاحلة، لتكون تعويضاً لما يفقده الشاعر، وتصويرا لما يجول في نفسه من اشتياق للمحبوبة ولأهله، فقد بث الشاعر عواطفه وما يجول بداخله بمزيج من الألوان ليؤثر على نفس المتلقي، ويأسر تفكيره بنظم يحتاج إلى تأمل وطول نفس، مما أتاح للشاعر تشكيل قصيدته بجمال ومرونة.

كذلك نلحظ توظيف تعدد الألوان عند الشاعر الخطيم، حيث يصف ليلة طويلة لإحدى لياليه المظلمة في الصحراء المخيفة، بقوله:[1]

يَخُضنَ بِأَيْدِيهِنَّ بِيداً عَرِيْضَةً ولَيلاً كَأَثْنَاءِ الرُّوِيزِي أَسْوَدا

إذا مالَ جُلُّ اللَّيلِ واطْرَقَ الكَرَى أثرنَ قَطاً مِن آخِرِ اللَّيلِ هُجَّدا

يقول الشاعر إن الإبل تخوض الصحراء ليلاً، وكأن الليل كالثوب الأخضر قاتم اللون، فإذا جاء أول الليل وسيطر النعاس على الإبل نام طير القطا حتى آخر الليل، لقد شبه الشاعر الليل هنا بالثوب الأخضر القاتم، حيث نلحظ أن الأبيات مغمورة باللون الأسود القلق، والجو النفسي المتوتر، جراء التشرد، والحزن، فجاءت هذه الصورة للدلالة على شدة ظلام الليل، وبالتالي جاء " اللون الأسود رمزاً للظلام، والغم، والحزن"[2]، ولقد جاء اللون الأصفر مختفياً بلفظة البيد رامزاً للفقر والجوع الذي يشعر به الشاعر، وجاء باللون الأخضر في الثوب ليكون رمزاَ للتفاؤل الذي يطمح إليه الشاعر بالعودة إلى استقراره.

ولطالما كان التضاد أكثر التجمعات اللونية جمالاً وإثارة؛ لأنه خروج عن مألوف اللغة، فهو يشكل إثارة لوعي المتلقي وإدراكه، فلجأ الشعراء لهذه الثنائية

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص238.

(2) عبيد، كلود: الألوان، ص69 .

المتباينة ليبثوا مشاعرهم في نفس المتلقي، فقال الشاعر الأحيمر السعدي يمثل هذه الثنائية الضدية:[1]

فَلِلَّيلِ إن وارانِي اللَّيلُ حكْمُهُ وَلِلشَّمْسِ إنْ غَابَتْ عَلَيَّ نُذُورُ

نلحظ هنا أن الشاعر قد خالف المتعارف عليه، فالليل مخيف يثير النفس من الهواجس، والحزن، والأسى، إلا أنه جاء للشاعر بالخير، والراحة، والطمأنينة، حيث أخفاه وحماه، فكان رمزاً للستر، والحماية، والاطمئنان. أما الشمس فشروقها يزعج الشاعر، ويبث في نفسه الخوف على عكس المعتاد، فقد قام الشاعر باستنطاق الثنائية الضدية في (الليل / والشمس، نهار) ليظهر تناقضاً في تكريس الوهم المنشود في الحصول على الحرية أو العفو، وعدم الملاحقة من رجال الوالي، فحرية الشاعر مسلوبة لا يستطيع العودة لأهله وبلده، فالليل عند الأحيمر السعدي يمثل الطمأنينة والأمان، والشمس تمثل الخوف والفزع.

ومن الممكن أن يكون الليل عند الشاعر اقتناصاً للَّذة بعيداً عن أعين الرقباء، فالليل في التجربة الشعرية يتلون بانفعالات الشاعر ورؤيته، فيصبح في إطاره النفسي متعدد الألوان، والسمات، والرموز، وله أوجه متغايرة، ومتقلبة تنسجم وتارات النفس، فالشاعر في هذه المتناقضات حاد عن الطريق بأسلوب إبداعي يمثل انزياحاً عن الأعراف، وراح يحاكي هذا اللون ودلالته الإيحائية، وترك المعنى العرفي المتداول، حيث استنجد بالليل، واطمأن به، وجعل الشمس رمزاً للخوف والفزع، وبهذا الأسلوب استطاع الشاعر بقدرة متمكنة من إدهاش المتلقي بمجموعة من الأضداد والمتناقضات التي تفسح مجالا واسعا للحرية التي يبتغي تحققها.

أما في الأبيات التالية، فقد استخدم الشاعر صورة متنوعة من الألوان المختلفة، فيذكر مالك بن الريب محبوبته وديارها، فقال في ذلك:[2]

---

(1) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص 58.

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص163. (القطار: الأمطار)

وَتَصْطادُ القُلُوبَ عَلَى مَطاها بِلا جَعْدِ القُرُونِ وَلا قِصارِ
وتَبْسِمُ عَنْ نَقِيِّ اللَّوْنِ عَذْبٍ كَما شِيْفَ الأقاحِي بِالقِطارِ
أَتَجْزَعُ أَنْ عَرَفْتَ بِبَطنِ قَوٍّ وَصَحْراءِ الأُدَيْهِمِ رَسْمَ دارِ
وَإِنْ حَلَّ الخَلِيطُ وَلَسْتَ فيْهِمْ مَرابِعَ بَينَ دَحْلَ إِلى سَرارِ
إِذا حَلُّوا بِنائِجَةٍ خَلاءٍ يُقَطِّفُ نَوْرَ حَنْوَتِها العَذارِي

جاء الشاعر بالبياض هنا دلالة على جمال محبوبته وإشراق وجهها، ولقد جمع الشاعر بين اللون (الأحمر، والأسود، والأبيض، والأصفر، والأخضر) فجاء اللون الأحمر لوناً للقلب، واللون الأسود لوناً لشعر المحبوبة، والأبيض لوناً للأسنان، والأصفر لوناً للصحراء، والأخضر لوناً للربيع، والخصب، والنماء، فحبيبته تصطاد قلبه ولبه دون أن تظهر ذوائب شعرها، فشعرها الأسود يأسر القلب، ويُذهِب العقل.

وقد شبه الشاعر أسنان محبوبته بـ (نقي اللون) ، فهي كالأقحوان الأبيض البري دائم الإشراق، فهي مجلوة بالمطر، كما جلى المطر زهر الأقاحي، فاللون الأبيض هنا يدل على طيب الفم والجمال أيضاً، وفي البيت الثالث جاء اللون الأصفر لوناً للصحراء، كناية عن القطيعة بينه وبين محبوبته، أما في البيت الرابع، فجاء الشاعر بالربيع كناية عن الأمل والتفاؤل بعد البعد والهجران، ثم أتى الشاعر بصورة العذارى وهن يقطفن زهور نبات الحنوة البيضاء طيبة الرائحة، فاختار الشاعر العذارى لقطف هذه الزهور دلالة على الشوق للمرأة في هذه الصحراء البعيدة الموحشة التي تخلو من الاستقرار والهدوء.

وللألوان دلالات إيحائية متعددة، وقد يكتسب اللون الواحد عدة دلالات تختلف حسب السياق الشعري، فها هو جحدر المحرزي يرى أن سجن البيضاء قد جعل نهاره أسود، فقال في ذلك:[1]

(1) المصدر نفسه، ج1، ص161 .

أَقُولُ لِلصَّـحْبِ فِي البَيْضـاءِ دُونَكُمُ مَحَلَّةً سَـــوَّدَتْ بَيْضـــاءَ أَقْطارِي

مَـأْوَى الفُتُوَّةِ لِلأَنْـذَالِ مُـذْ خُلِقَـتْ عِنْــدَ الكِرامِ مَحَـلُّ الــذُّلِّ والعَــارِ

كـأنَّ ســـــاكِنَهـا مِنْ قَعْرِهـا أَبَـداً لَـدَى الخُرُوجِ كَمُنْتَـاشٍ مِنَ النَّـارِ

يبكي الشاعر على حاله بعدما صار في سجن البيضاء، تلك البلدة التي كانت للفتوة والرجولة، والنجدة، فيقول لأصـــحابه: إن بعد مكانته في بيضـــاء البصـــرة التي تجمع الأجلاء والشرفاء أصبح الآن في النواحي التي اسودت منها ، حيث إن السجن يضـــم الأنذال، وأهل العار والذل ، فســـجن البيضـــاء لا يحمل من معاني البياض إلا اسمه، وما يحتويه مناقض لمعنى اللون الأبيض؛ لذلك جعل نهاره أسود، والسواد هنا يعطي دلالات إيحائية متعددة، ففيه العذاب، وفيه الحزن، وفيه الألم النفسي والجسدي، فهو كَنَارِ جهنم، وفي تعدد الألوان وتضـــادها محاكمة عقلية، واســـتنتاج للمعنى على وَفْقِ قياس عقلي ، ولولا وجود اللون الأبيض لما شعرنا بالبعد القوي للون الأسود[1].

كما نلحظ الصـورة الفنية متنوعة الألوان في وصـف الشـاعر الأحيمر السـعدي للطبيعة، فقال:[2]

سُقِيتُنَّ ما دامَتِ بِكَرمانِ نخلةٌ عَوامِرَ تجري بينكنَّ بُحُورُ

سُقيتُنَّ ما دامت بِنجدٍ وَشيجة ولا زالَ يَسعى بينكنَّ غَديرُ

ألا حَبَّذا الماءُ الذي قابَلَ الحِمَى ومُرْتَبَعٌ مِنْ أَهْلِنا ومَصِيْرُ

وأَيَّامُنا بالمالِكيَّةِ إنَّني لَهُن على العَهْدِ القَدِيمِ ذَكُورُ

ويا نَخْلاتِ الكَرْخِ لا زالَ ماطِرٌ عليكُنَّ مُسْتَنُّ السَّحابِ دَرُورُ

(1) الديوب، سمر: جماليات التصوير الفني عند الشعراء اللصوص في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص 28 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص59 .

لقد وظف الشاعر مجموعة من الألوان في رسم هذه الصورة الطبيعية رغم حالة الحزن المسيطرة عليه لشوقه لوطنه، فقد شاهد نخلة في غربته، حيث كانت مصدر استدعاء صورة موطنه، وهو بكرمان البلد الجميل الذي تشابه مع طبيعة بلاده، فجنح لرسم هذه اللوحة المفعمة بالألوان، مجبِراً المتلقي على أن يتخيل مدى جمال طبيعة بلاده مع وشاح من الحزن المسيطر على الشاعر، فالنخلة والوشيجة تمثلان اللون الأخضر، والبحور والغدير يمثلان اللون الأزرق، أما اللون الأبيض، فجاء في الغمام الممطر. وفي اجتماع هذه الألوان ما يزيد في تصوير ذات الشاعر ودواخله، فهو في شوق لما يفقده في غربته، وشديد الحاجة إلى العودة، والأمل الذي يسيطر عليه بانتظار العفو عنه. ومن الوسائل التي استعان بها الشاعر في تصوير ما يهوى ويتمنى البعد الصوتي إذ إن حرف الراء في تردده عند النطق به يصور حب الشاعر في استعادة صور البلدة وتكرار تلك الصور على ذهنه، فجاء بإيقاع، ومفردات تتلاءم مع حالته النفسية التي يغمرها الشوق، ومن ثم استطاع إثراء الشجن في نفس المتلقي.

ويمكن القول إن للدلالة نصيباً في شعر اللصوص، والرمز هو تعبير فني شديد الإيحاء؛ لأن المفردة التي توضع ضمن سياق لغوي تنفتح على دلالات متعددة لا تدرك إلا بالتأويل، فقد ورد المشهد الطللي بشكل ضئيل لدى هؤلاء الشعراء؛ لأنهم لم يحيوا حياة عادية لينتجوا شعراً كغيرهم من الشعراء، فغلبت المقطوعات على أشعارهم، حيث إن صورة الطلل كانت رمزاً للحنين إلى الوطن، وقد صور ذلك من خلال المرأة والأصل، وهذا ما نلحظه عند جحدر المحرزي العكلي من خلال قوله: [1]

يادارُ بَيْنَ بُزاخَةٍ فَكَثِيْبُها فَلِوَى غُبَيْرٍ سَهْلِها أَوْ لُوبِها

سَقَتِ الصَّبا أَطْلالَ رَبْعِكَ مُغْدِقاً يَنْهَلُّ عارِضُها بِلِبْسِ جُيُوبِها

(1) ديوان اللصوص وأشعارهم في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج1، ص151، (مغداقاً: مطراً هطالاً، لبس جيوبها: يعم أقطارها)

أيَّامَ أَرْعَى العِيْنَ في زَهْرِ الصِّـــبا وثمـارِ جَنَّـاتِ النِّســـاءِ وَطِيْبِهـا

يخاطب الشـاعر ديار الحبيبة، ويعدد الأماكن التي أصـبحت عبارة عن مسـارح للذكرى، حيث كان ينعم بالأمان بين أهله، فرســم لها لوحة فنية مختلفة الألوان، فذكر السـهول بلونها الأخضـر، والأرض ذات الحجارة السـوداء، وكثبان الرمال الصـفراء، وبرزخ الماء الصـافي، فالشـاعر يدعو لدياره بالسـقيا، ويرغب في عودة تلك الأيام من جديد. ولعل الصـورة الرمزية مرتبطة ارتباطاً قوياً بالرؤيا، فالشـاعر في لا وعيه يتمنى لو تعود تلك الأيام الجميلة ذات الودّ والصفاء.

ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن رؤيا الشـــعراء اللصـــوص قد انكفأت إلى الماضـــي، فتمنى الشـــاعر عودة الأيام الماضـــية، فارتباط الصـــورة الرامزة بالألوان المتعددة يعطيها صـفة شـديدة الإيحاء، ويوسـع أفقها. وهنا يغدو الماء المغدق الذي يريده الشاعر؛ ليسقي طلله رمزاً للتطهير النفسي، فالمطر سيغسل كلّ شيء، وسيريح نفس الشـاعر المضـطربة، والصـراع الذي يعانيه هو صـراع داخلي وخارجي أيضـاً، والتطهير تطهير نفسي[1].

لقد كانت حركية الصورة بألوانها المتعددة تعبيرا عن حزنه، ويأسه، وندمه على حياته المشردة، وتعويضاً عما يفقده في غربته.

ونختم هنا بالصـــورة الفنية وعلاقتها بتعدد الألوان عند الشـــاعر مالك بن الريب من خلال فخره بسيفه الصارم، حيث قال:[2]

حَيثُ الدُّجَى مُتَطَلِّعاً لِغفولِهِ كالذِّئبِ في غَلَسِ الظَّلامِ الخاتِلِ
فَوَجدْتهُ ثَبْتَ الجَنانِ مُشَيّعاً ركَّـابَ مَـنسِجِ كُـلِّ أَمـرٍ هـائِـلِ

---

(1) الديوب، سمر: جماليات التصـوير الفني عند الشـعراء اللصـوص في صـدر الإسـلام والعصـر الأموي، ص32 .

(2) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي، ج2، ص171.

فَقَراكَ أَبيَضَ كَالعَقِيقَةِ صارِماً ذا رَوْنَقٍ يَغْشَى الضَّريبَةَ فاصِلِ

فَرَكِبْتَ رَدْعَكَ بَينَ ثِنيَي فَائِر يَعْلُو بِهِ أَثَرُ الدِّماءِ وَسَائِلِ

نلحظ هنا أن الشـــاعر قد جاء في التوظيف اللوني في هذه الأبيات بعدة ألوان منها المباشـــر، ومنها غير المباشـــر، فاســـتخدم الشـــاعر اللون (الأســـود) في الليل وظلامه، واللون (الأبيض) جاء لوناً للســـيف القاطع، وهو كالعقيقة البراقة، ورونقه ظاهر للعين، واللون (الأحمر) لوناً للدماء الفائرة، فيصـــف الشـــاعر نفســـه في دجى الليل، فإذا بداهية من دواهي الليل(رجل أسـود) خادعُ يتسـلل لقتله، فإذا بالشـاعر يقظاً لا يســـهى في غلس الظلام، وكأنه ذئب شـــديد الحذر والمراقبة، ثابت القلب، رابط الجأش، يحمل سـيفاً لامعاً مصـقولاً لونه أبيض، فضـربه بسـيفه ضـربة قوية، فأرداه قتيلاً، والدماء تعلو وتفور.

لقد بدأ الشاعر أبياته باللون الأسود في (الليل / الرجل) رامزاً به لحياته الصعبة الشـاقة، ثم انتقل للون الأبيض في (السـيف) ليبشـر بالانتصـار، والأمل، وعودته لبلده وأحبابه، ثم انتقل للون الأحمر لون (الدماء الفائرة) رمزاً للقتل، والفتك، والحصول على الحرية، نلحظ أن اللوحة الشـــعرية في النهاية قد اصـــطبغت باللون الأحمر، لون الدم المتناثر الفائر، ليجسد الشاعر بهذه اللوحة الحمراء القوة، والنفوذ، والسيطرة التي يتمتع بها، والذي أضفى صورةً رمزيةً من البطولة في نفس المتلقي، فالسيف اللامع الأبيض الملطخ بالدماء الحمراء في هذا الليل الأســود مع شــجاعة وقوة هذا الشــاعر المتمرد بثت دلالات البطولة والسيطرة. ومن الوسائل التي ساعدت الشاعر في إيصال حالته الشـــعورية للمتلقي اســـتخدامه للبحر الكامل، والذى جمع بين الرقة والفخامة، وأعطى للشـــاعر امتداداً نغمياً متزناً يتناســـب مع رباطة جأشـــه في المعركة، وانتصـــاره على خصمه.

نلحظ مما سـبق أن الشـعراء الصـعاليك قد نسـجوا نصـوصـاً شـعرية امتلأت بالصـــور والألوان، فأتقنوا لوحاتهم الفنية بألفاظ متنوعة أنتجت لوحات فنية تتشـــخص

فيها المعنويات وتنسجم، وهذا العشق اللوني جاء كردة فعل لمؤثرات خارجية ودوافع نفسية داخلية، لترسم معاني وصور تدل على الإبداع القوي، وقدرة خيال الشاعر الصعلوك على الجمع بين تلك الألوان في لوحة قوامها الوحدة والانسجام، حيث نلحظ أن الشعراء قد جمعوا بين لونين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة ألوان بكل توازن وانسجام؛ لتحقيق أنموذجاً مثالياً من الجمال والثراء الذي يحدثه الشاعر من خلال توظيفه لتعدد الألوان، وتشكيله للوحة المتناسقة.

وقد وظف الشعراء الصعاليك ثنائيات ضدية تعبر عما يجول في دواخلهم، والتي يرمي الشاعر من خلالها إلى إيصال عواطفه وتعزيزها في مخيلة المتلقي، حيث يلتحم الليل بالنهار والأسود بالأبيض؛ ليكون اللون في هذه الضدية أداة حقيقية في ربط الحاضر بالماضي والمستقبل، لذلك يتلاحم الأبيض والأسود ليكشف عن تجربة الشاعر وحالته الشعورية، فيبعث في نفس المتلقي الانسجام المؤدي إلى التوازن، فلم تكن الألوان عند الشعراء الصعاليك عبارة عن مساحات شكلية خالية من دلالات جمالية ورمزية، بل شكلت صوراً تعبر عن موضوعات الحياة وانفعالات نفس الشاعر الصعلوك معها، خاصة أن دلالاتها تتغير بتغير المؤثرات النفسية والمقاييس الذوقية التي جعلت الشاعر يوظف ظاهرتي التعدد، أو التمازج والتضاد اللوني وسيلة للتعبير عما يسكن أغوار نفسه، حيث إن الصورة متعددة الألوان خضعت لسياقات كثيرة تتعلق بالبيئة الاجتماعية والحالة النفسية التي تصاحب الشاعر، فهي تتنوع بين الحزن والفرح، والرغبة، والمحبة، والبغض، والتفاؤل والتشاؤم من جهة أخرى؛ لذلك نجد الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي كانوا أكثر هدوءاً في تصوير حياتهم، وإخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجاتها، واهتزازات المشاعر الداخلية لغياب السلطة المركزية في الحياة القبلية الجاهلية. أما عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي، فقد سيطر الخوف والقلق على معاني أشعارهم، واختيارهم للألوان والأوزان في قصائدهم الشعرية، لوجود سلطة الخلافة وملاحقتهم في بطون الجبال والصحراء.

الخاتمة

الحمد لله الذي به تتم النعم وتكتمل الصالحات، أما بعد:

فإنه يمكن القول بعد دراستنا لموضوع (سيميائية الألوان في شعر الصعاليك) توصلنا للعديد من النتائج، من أهمها:

1- العلامة اللونية في شعر الصعاليك علامة بصرية ذات دلالات متعددة؛ عاطفية وفكرية، واجتماعية، وتحمل قدراً كبيراً من العناصر الجمالية؛ لأنها ركيزة مهمة في بناء الصورة الشعرية ودلالتها.

2- تردد اللون الأحمر عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ستاً وستين مرة، وفي العصر الإسلامي ثماني وتسعين مرة، وكانت بعض دلالاته على الأهواء ولكن أكثرها على القوة، والشجاعة وعناصر الطبيعة. حيث أظهرت الدراسة أن اللون الأحمر، قد كثر في العصر الجاهلي، وتنوعت دلالاته، فقد جاء للدلالة على آلة حرب رمزاً لقوتها، وجاء في الحيوانات رمزاً لصلابتها وتحملها، وجاء لوناً للخمر المسكر، ولوناً للدم والنار، ولوناً للخضاب، وجاء في الإنسان رمزاً لحياء المرأة وخجلها، وكذلك جاء رمزاً للغضب والحقد والضغينة، وجاء رمزاً للشؤم ونقض العهد، وهذا يُظهر أثر البيئة الجاهلية على حياة الشعراء الصعاليك، مما يدلل على أنهم كانوا في صراع دموي في كل شؤون حياتهم، حيث لا نجد للون الأحمر مكاناً في الأشياء الدالة على الاستقرار.

3- يدل اللون الأزرق عند الشعراء الصعاليك الجاهليين على قوة السلاح والسيطرة، ولكن تردد هذا اللون كان قليلا ؛ لغياب الهدوء، والسكينة في حياتهم. حيث أظهرت الدراسة أن اللون الأزرق لم يكن إلا لوناً للنصال، والأسنة، والماء الصافي.

4- أكثر الألوان تردداً في أشعار الصعاليك في العصرين الجاهلي والإسلامي هما اللون الأسود، واللون الأبيض، وأقلها تردداً اللون الرمادي، الأمر الذي يجسد اشتراك الصعاليك في هذين العصرين بالطبيعة والشعور بالوحدة، والقلق، واليأس.

5- زاد ورود اللون الأصفر والكلمات الدالة عليه عند الشعراء في العصر الإسلامي زيادة كبيرة عن وروده عند شعراء العصر الجاهلي، وذلك بسبب شدة الفقر والجوع، وانتشار عادات سلبية مثل: الكذب، واللؤم، والخيانة. حيث بينت الدراسة أن اللون الأصفر ورد عند الشعراء الصعاليك الجاهليين ما يقارب من تسع عشرة مرة، أما في العصر الإسلامي فقد ورد أكثر من خمسين مرة.

6- أظهرت الدراسة أن اللون الأحمر عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي، قد كثر استخدامه، فكان لوناً للدم، والنار، والخمر، وجاء في الإنسان رمزاً للحياء، والخجل، ودالاً على الشهوة، واللذة، والجمال، والزينة. أما في الحيوان، فجاء رمزاً لقوته، وصلابته، وسرعته، وجاء لوناً للعين عند الغضب، وجاء رمزاً للشؤم، والخراب، والدمار ، ولم يرد اللون الأحمر في آلات الحرب في هذا العصر كما في العصر الجاهلي.

7- بينت الدراسة أن ورود اللون الأزرق عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي كان قليلاً، حيث جاء صفة لآلات الحرب، ووصفاً للسماء الزرقاء، وجاء لوناً للبحر، والماء الصافي، وجاء لوناً لأنياب الليث كناية عن الغدر، وجاء لوناً للعين رمزاً للخبث، والمكر، واللؤم، وجاء لوناً للسعلاة، والغول في الصحراء، فقد ورد اللون الأزرق عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي سبع عشرة مرة، ولعل السبب في ذلك حلمهم بتغيير واقعهم الأليم الذي يحوي القتل، والنهب، والخوف، والتشرد.

8- توصلت الدراسة إلى أن اللون الأصفر جاء بدلالات مختلفة الإيجابية منها والسلبية، حيث ذُكر عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي ما يقارب من أربع وخمسين مرة، فقد ورد لوناً للشمس، والذهب، والشهد، ولوناً للصحراء، والقحط، والجدب، وجاء في الإنسان لوناً للجسد والوجه، رمزاً للمرض والذبول، وجاء في الحيوان ليدلل على التعب الشديد، وجاء أيضاً رمزاً للكذب، والخيانة، واللؤم. كما أن اللون الأصفر جاء عند شعراء هذا العصر؛ ليدلل على حياة الفقر التي سيطرت عليهم نتيجة للممارسات والضرائب التي فرضها الولاة على الشعب.

9- أثبتت الدراسة أن اللون الأبيض- وهو من الألوان الفرعية- قد كثر في العصر الجاهلي، حيث استخدمه الشعراء في معظم دلالاته، فكان لوناً للسيف دالاً على حدته، وورد في الطبيعة متمثلاً في نجومها، وسحابها، ومطرها، وبرقها، وجاء لوناً لنبات الكافور، والأقحوان، ونوار الريحان، وورد في الحيوان، حيث جمال الذئاب المشرق، والإبل الهجان، ولبنها الغزير، أما في الإنسان فكان دلالة على الجمال، والكرم، والصدق، ونقاء العرض، والعزة، ورفعة الشأن، وفي المقابل جاء دلالة على التشاؤم، والكبر، واقتراب الأجل في ذكر الشيب، وجاء أيضاً رمزاً للجدب والقحط، وجاء اللون الأبيض- أيضاً- في الصفات السائدة في الجاهلية من مكارم الأخلاق، والكرم، والصدق، والاعتزاز متمثلاً بأدوات القتال، كالسيف الذي ألبسوه كثيراً من التشبيهات والصفات، لكن لم نجده في لباسهم أو راياتهم، وقد ورد اللون الأبيض عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ما يقارب من مائة وخمسة وأربعين مرة.

10- بينت الدراسة أن اللون الأسود- وهو من الألوان الفرعية في العصر الجاهلي- له دلالات متناقضة، الإيجابية منها والسلبية، فجاء لوناً للشعر عند الشباب، واللون المحبب في حوراء العين، ولون الزينة، والغواية في

الكحل، والمسك، وجاء لوناً للبشرة، دلالة على العار، والنقيصة، وَوضعة الشأن، وجاء لوناً لليل، والقبر، والموت، ولباس الحداد، فجاء رمزاً للهم والحزن، وجاء لوناً للحيوان، ووحوش الصحراء، ولقد كثر اللون الأسود عند الشعراء في العصر الجاهلي، حيث ورد حوالي مائة وأربع عشرة مرة، دلالة على تقلب الأحداث والحياة الصعبة التي عايشها هؤلاء الصعاليك في كل مراحلها.

11- توصلت الدراسة إلى أن اللون الأسود كثر في دلالته السلبية عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، سواء كان بالموت، أو القبر، أو ليلهم الدامس، وذلك يجسد لنا مدى تشاؤم الشعراء الصعاليك، بسبب حياتهم المشردة، وفقرهم، وبعدهم عن قبيلتهم، حيث انعكس كل ذلك بشكل مباشر على أشعارهم.

12- بينت الدراسة أن اللون الأخضر عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي قد توسط استخدامه، فقد كان لوناً لآلات الحرب مثل: السيف والقوس، ولوناً للطبيعة رمزاً لخصوبتها، وجاء في الحيوان مثل الفرس ليكون رمزاً للعنفوان، والقوة، وجاء رمزاً للشجاعة، والقوة، والنشاط، والحيوية، وجاء في وصف المرأة، وجمالها، وعفتها، وأخلاقها الطيبة، وكان رمزاً للطمأنينة، والراحة، والأخلاق الحسنة الكريمة، وقد ورد عند الصعاليك في العصر الجاهلي ما يقارب من ست وثلاثين مرة، حيث يدلل على الحالة النفسية الوسط بين الاستقرار المؤقت والتشرد.

13- أظهرت الدراسة أن اللون الرمادي عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي كانت أغلب دلالاته سلبية، حيث كان لوناً للطير؛ ليرمز إلى اليقظة الشديدة، وكثرة الترحال والتشرد، وعدم الاستقرار، وجاء في الحيوان في حمار الوحش والذئب؛ ليدل على الجوع، وجاء في وصف الإنسان رمزاً للحزن،

والكآبة، والحداد، والاضـطراب، والفقر، والبخل، ووضـاعة الشـأن، حيث ورد اللون الرمادي عند هؤلاء الشعراء أربع عشرة مرة.

14- بينت الدراسـة أن اللون الأبيض- وهو من الألوان الفرعية عند الشـعراء الصـعاليك في العصر الإسلامي- قد استخدم بجميع دلالاته الإيجابية منها والسلبية، فقد كان لوناً للسـيف الذي يسـتخدم في الحرب دفاعاً، وهجوماً، ولوناً للغيث، والنجوم، وأول النهار، واسـماً للجبل، ولوناً للحيوان، أما في الإنسـان فجاء رمزاً للكرم، والعفة، والطهارة، ونقاء العرض، وورد رمزاً للجمال في أعضاء الجسم، وكذلك جاء دالاً على الكبر في السن واقتراب الأجل، وقد كثر اللون الأبيض عند شعراء هذا العصر، فقد ورد حوالي مائة وثلاث وعشرين مرة.

15- أظهرت الدراسة أن اللون الأسود- وهو من الألوان الفرعية عند الشعراء الصعاليك في العصـر الإسـلامي- يمتلك ثنائية متناقضـة، فقد ذكر في عدة مجالات في الطبيعة، والإنسـان، والحيوان، والطير، وفي الليل وظلامه، وجاء في الموت، والقبر، فكان له عدة دلالات مختلفة، فجاء رمزاً للقوة، والرزانة، والحكمة، والجمال، والزينة، وجاء رمزاً للخصـوبة والخضـرة، وفي المقابل جاء رمزاً للحزن، والتشـاؤم، والخوف، والشر، والإجرام، ورمزاً لسوء الحظ والشؤم، والكره، ونفور النفس، وجاء رمزاً للظلام، والظلم، والذل، والعار، وقد ورد اللون الأسـود عند الشـعراء الصـعاليك في العصـر الإسلامي ما يقارب من مائة واثنتين مرة.

16- بينت الدراسـة أن اللون الأخضـر عند الشـعراء الصـعاليك في العصـر الإسـلامي تعددت دلالاته، فقد جاء في الطبيعة رمزاً للخضـرة، والخصـب، والنماء، والتجدد، وجاء في مدح الإنسـان رمزاً للكرم، والشـجاعة، والنبل، والشـرف، وجاء مع المرأة خاصـةً رمزاً للجمال، والشـباب، والحيوية، والعفة، وجاء رمزاً للتفاؤل والأمل، وأتى أيضاً بدلالة الموت، فكان رمزاً لذبول الغصن،

وانتهاء الحياة، ولقد ورد اللون الأخضـــر في هذا العصـــر عند صـــعاليكه ما يقارب من إحدى وخمسين مرة.

17- أظهرت الدراسة أن اللون الرمادي عند صعاليك العصر الإسلامي، لم يكن له أي دلالة إيجابية، حيث كانت دلالاته على الديار المهدمة التي أصـــبحت رماداً، ورمزاً للفقر، والتشـــرد، وعدم الاســـتقرار، وجاء رمزاً للحداد، والحزن، والضجر، والنفاق، والضبابية، ولقد ذُكر اللون الرمادي عند الشعراء الصعاليك في العصر الإسلامي خمس عشرة مرة، مما يدلل على طبيعة الحياة الصعبة والمضطربة التي يحيونها.

18- توصـلت الدراسـة إلى أن اللون المسـيطر على العصـر الجاهلي هو اللون الأبيض، واللون الأســود، حيث ذُكِر اللون الأبيض حوالي خمس وأربعون مرة بعد المائة، أما اللون الأســـود فقد ورد إحدى وعشـــرين مرة بعد المائة، فكانا أكثر وروداً عند الشاعرين الشنفرى وتأبط شراً؛ وذلك بسبب البيئة الصحراوية التي لجئوا إليها. والســواد والبياض هما ديمومة الحركة والســيطرة على الزمن بشـقيه الليل والنهار، فالسـواد يدلل على قوة الشـاعر وشـبابه، فالشـعر الأسـود يعني القوة، وسـواد الليل يعني القدرة على الانقضـاض، أما اللون الأبيض فهو السـاعات الجميلة التي يسـتريح فيها الشـعراء الصـعاليك، فهو لراحة النفس، ولقاء المحبوبة، والشـــعور بالانتصـــار، وكان رمزاً للمســـالمة والمهادنة عكس السواد، فهو يعبر عن الشيخوخة ومرور الوقت، وكان في المرأة رمزاً للجمال، والشرف، والعفة، ونقاء العرض.

19- بينت الدراسة أن اللون هو بنية أساسية مهمة في تشكيل القصيدة الشعرية، وركيزة مهمة تقوم عليها الصـــورة الشـــعرية بكل جوانبها من الشـــكل إلى المضـــمون، حيث يحمل قدراً كبيراً من العناصـــر الجمالية، وإضـــاءات دالة تعطي أبعاداً فنية في العمل الأدبي على وجه الخصـــوص، بل إن العلامة

اللونية تكاد تخلق لغة خاصة في النص الشعري؛ لما لها من مدلولات وأسرار وخاصة حينما تقترن بالصوت والحركة.

20- الصور اللونية في شعر الصعاليك كثيرة ولافتة للنظر؛ لارتباطها بمكونات الطبيعة، وأدوات الصعاليك في مواجهة الأعداء، إذ أظهرت الدراسة أن الشعراء الصعاليك اعتمدوا في صورهم اللونية على سيمياء الجسد، لإبراز مواطن القوة والشجاعة، وعلى سيمياء الأهواء في تصوير عواطفهم وأشواقهم نحو المرأة والأمن.

21- تعدد الألوان في الصور الشعرية أفسح مجالا واسعا للتأمل في نفس الشاعر وأخيلته، حيث إن امتزاج الألوان وهب فيضا من الدلالات للنص.

22- تعددت الدلالات الهامشية للألوان في شعر الصعاليك الجاهليين، ولكن هناك دلالة مركزية تتمحور في ثلاثية (القوة، والانتصار، والاستمرار) حيث تكررت هذه الدلالات في جميع الألوان، وكانت محوراً لدلالات كثيرة، فاللون الأحمر في آلات الحرب(القوس)، والحيوان الوحشي، والخمر، والنار، والدم، فالقوس تستمد قوتها من قوة جسد هذا الصعلوك الذي ينتشي بالخمر، ويستطيع الانقضاض على الآخرين للسيطرة عليه، والنار والحيوان هما سبيل للحياة والبقاء. واللون الأزرق لآلات الحرب(السهم) وللماء الصافي الذي يهب الحياة والقوة. واللون الأصفر للقوس القوية التي لا تفارق صاحبها، وفي الطبيعة (الشمس) التي تعني العلو والشمول. واللون الأبيض حيث السيف القاطع الذي رسم لوحات من الانتصار والسيادة، وفي الطبيعة حيث المطر، والصباح، والنجوم، واللبن الذي يمد جسد الصعلوك بهذه القوة القادرة على البطش بكل من هو حوله. واللون الأسود الذي يعني المعارك والقتال، حيث سواد اليدين التي تبطش وفي الجبال التي غرقت في السواد. ولا تغيب الثلاثية المركزية عن اللون الأخضر، حيث الطبيعة التي تلين بين يدي الصعاليك،

والمرأة التي تعني اســـتمرار الوجود، ولا عن اللون الأســـمر لون آلات الحرب(الرماح) وقوتها وصـلابتها، فهي امتداد لقوة جسـد الصـعلوك وبطشـه، ولا عن الأشقر حيث الفرس القوي الذي يستمد طاقته من قوة صاحبه.

23- ظلت الدلالات المركزية الثلاثية (القوة، والانتصـــار، والاســـتمرار) المحورية مهيمنة على الألوان في شعر الصعاليك الإسلاميين، ولكن بالتوازي مع ثلاثية جديدة (الخوف، والحزن، والتشـــاؤم) وإن كانت هذه الثلاثية الجديدة لا تخرج عن معنى الاســـتمرار وحب البقاء، فإن كثرة ترددها في معظم الألوان جعل منها قيمة جديدة، حيث ترددت نتيجة للشـعور بالظلم، والغدر، والقلق، فلم تعد الصـعلكة في العصـر الإسـلامي كما كانت عليه في الجاهلية، إذ الطرد من القبيلة كان هو العقاب الذي يجعل من الصـــعلوك فارســـاً ما دام حياً بين الوحوش. أما في العصـر الإسـلامي، فصـارت الصـعلكة خروجاً عن السـلطة (الخلافة) التي تطارد كل الخارجين، وتقعد لهم كل مرصـــد، هذا الشـــعور المركب في مواجهة الأعداء، والســلطة، والبيئة الصـــحراوية بكل ما فيها من مخاطر أفســـح مجالاً لمعانٍ مركزية جديدة في أشـــعارهم أهمها: (الخوف، والحزن، والتشـاؤم)، ولعل ارتفاع كمية تردد اللون الأصـفر يعد دليلاً واضـحاً على ذلك، حيث انتقل اللون الأصـفر من تسـع عشـرة مرة إلى أربع وخمسـين مرة، فـاللون الأصـــفر أكثر الألوان دلالـة على الخوف، والغدر، والمرض، والموت، والشـعور بالضـياع في الصـحراء. كما أن اللون الأسـمر صـار لوناً للقيد، واللون الرمادي صار للديار المهشمة، والطلل، والشعر الأشعث المغبر، ولون القبر، واللون الأخضـر دالاً على المعاناة، والغصـن البالي، ولون السـم القاتل، واللون الأشقر صار تجسيداً للغدر، والمكر، والبغضاء. واللون الأبيض صـــار للدموع الحزينة، واللون الأســـود جاء دليلاً على الظلم، والذل، والفزع، والشر، وسوء الحظ.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر.

1- ابن الأثير، ضياء الدين: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، ط1، دار النهضة، مصر، ج1، القاهرة، 1962م.

2- الأزدي، عمروبن مالك: ديوان الشـــنفرى، جمع وتحقيق وشـــرح: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، 1437هـ.

3- الأزهري، أبو منصـــور محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، ج2، 2001م.

4- الأصـــفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ط2، دار الفكر للطباعة والنشـــر، تحقيق: سمير جابر، ج14، بيروت،(د.ت).

5- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر(ت 370هـــ): المؤتلف والمختلف، تحقيق: عبد الســـتار أحمد فراج، ط1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصـــر، 1961م.

6- الأندلســي، ابن عبد ربه: ديوان ابن عبد ربه، قسـم الشـعر والشـعراء، تحقيق: محمد رضوان الدية، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1979م.

7- أنيس، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية، القاهرة،(د.ت).

8- البخاري، محمد بن اسماعيل (أبو عبد الله ت 256هـ): حديث صحيح البخاري، الطبعة الأميرية، تحقيق وإشـراف: محمد زهير الناصـر، باب الخضـاب، ج4، حديث5559.

9- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت487هـ): سمط اللآلي في شـــرح أمالي القالي، نســـخه وصـــححه ونقحه وحقق ما فيه: عبد العزيز الميمني، ط2، ج1، بيروت، لبنان، 1984م.
10- التميمي، الســليك بن عمير بن يثربي بن ســنان الســعدي: ديوان السُــليك بن السَــلكة، أخباره وشــعره، دراســة وتحقيق: حميد آدم ثويني، كامل ســعيد عواد، ط1، مطبعة العاني، بغداد، 1984م.
11- الثعالبي، أبو منصـــور عبد الملك بن محمد: فقه اللغة وســـر العربية، مطبعة الحلبي، ط3، تحقيق: مصــطفى الســقا، وإبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شــلبي، مصر، 1972م.
12- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت200هـ): البيان والتبيين، تحقيق: عبد الســـلام هارون، مكتبة الخانجي،ج1، القاهرة2008.
13- الجاحظ، عمرو بن بحر (ت 255هـــــ): الحيوان، ط2، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد باسل، ج1+ ج5، بيروت، لبنان، 2003م.
14- الجرجاني، عبد القاهر: أســـرار البلاغة في علم البيان، دار المعرفة، بيروت، 1978.
15- الجعدي، قيس بن عبدالله بن عدس بن ربيعة: ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: كرم البستاني، ط1، دار صادر، بيروت، 1963م.
16- الحلبي، السمين: الدر المصـون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، 1986م، ج2.
17- الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، نشـــر وتوزيع دار صـــادر،ج4، بيروت 1993م.
18- ابن خلدون، عبد الرحمن: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط1، القاهرة ،2013م.

19- أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داوود، الخيل / فيما يستحب من ألوان الخيل، ط1، دار الرسالة العالمية، 197/4، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، حديث رقم 2181.
20- ديوان البحتري: تحقيق: حسن كامل الصيرفي، ط3، ج4، دار المعارف، مصر 2009م.
21- ديوان الهذليين، الجمهورية العربية المتحدة، الثقافة والإرشـــاد القومي، المكتبة العربية، تحقيق: دار التراث العربي، القاهرة، 1965م.
22- الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصـــحاح، دار الفكر، عمان، الأردن، 2007م.
23- الزركلي، خير الـدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ط5، مجلـد5، بيروت، 2002م.
24- الزبيدي، ســيد محمد مرتضـــى الحســيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، طبعة حكومة الكويت، 1965م.
25- السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق: شرح ديوان عروة بن الورد العبسي، صححه: الشيخ بن أبي شنب، خزانة الكتب العربية، الجزائر، 1926م.
26- ابن سيده، أبو الحسن علي: المخصص، ج2، تحقيق: عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان 1971م.
27- ابن سيرين، محمد: تفسير الأحلام الكبير، دار الحرف العربي، لبنان، بيروت، (د.ت).
28- الشمشاطي (أبو الحسن علي بن محمد بن المطهر): كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، ج1، تحقيق: صالح مهدي الغزاوي، العراق، 1987م.

29- الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق وضبط: صدقي جميل العطار، ج5، دار الفكر للطباعة والنشر، (د.ت)
30- الطبري، محمد بن جرير: المنتخب من ذيل المذيل، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان (د.ت).
31- العبيدي، محمد بن عبد الرحمن: التذكرة السعدية في الأشعار العربية، تحقيق: عبد الله الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م.
32- بن عميثل، ثابت بن جابر بن سفيان: ديوان تأبط شراً وأخباره، تحقيق: على ذو الفقار شاكر، دار الغرب الإسلامي للنشر والتوزيع، 1984م.
33- ابن قتيبة، أبو محمد: الشعر والشعراء، ط3، دار المعارف، ج2، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مصر، 1977م.
34- القرشي، أبو زيد: جمهرة أشعار العرب والإسلام، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي البجاوي، ط1، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).
35- القزويني، الخطيب: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، دار الجيل، بيروت 1989.
36- الكلابي، عبدالله عبيد عبادة بن مجيب بن المضرحي: ديوان القتال الكلابي: حققه وقدم له: إحسان عباس، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1989م.
37- ابن منظور، جمال الدين: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، ط1، ج7، بيروت– لبنان 1988م.
38- النميري، أبي عبدالله الحسن بن علي(ت 385هـ): كتاب اللمع، تحقيق: وجبه أحمد السطل، (د.ط)، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1976م.

ثالثاً: المراجع.

1- آذرشب، محمد علي: الأدب العربي وتاريخه حتي نهاية العصر الأموي، ط4، طهران، المركز القومي للترجمة، 1983م.

2- الأحمر، فيصل: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م.

3- إسماعيل، عز الدين: التفسير النفسي للأدب، ط4، مكتبة غريب، مصر، 1963م.

4- أمين، أحمد: الصعلكة والفتوة في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، 1951م.

5- إيكو، امبيرتو: التأويل بين السيميائية والتفكيكية، ترجمة: سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2002م.

6- إيكو، امبيرتو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الأصميعي، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت- لبنان 2005م.

7- بارت، رولان: درس السيمولوجيا، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط 2، 1986 م.

8- بارت، رولان: مبادئ علم الأدلة، ترجمة: محمد البكري، دار الحوار، اللاذقية، سوريا، ط1، 1987.

9- باطاهر، بن عيسى: البلاغة العربية، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2008 م.

10- البرقوقي، عبد الرحمن: شرح ديوان المتنبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1986م.

11- بنكراد، سعيد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ط3، دار الحوار، اللاذقية، سورية، 2012م.

12- تاريخ شعراء العربية، أبو خراش الهذلي، إعداد وشرح لجنة التحقيق في دار القلم العربي، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود، دار القلم العربي، ط1، حلب، 1996م.
13- تشـــاندلر، دانيال: أســـس الســـيميائية، ترجمة: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2000م.
14- الجاني، خالد جاسـم: تنظيمات الجيش العربي الإسـلامية في العصـر الأموي، دار الحرية، ط2، بغداد 1986م.
15- جبوري، كامل: معجم الشـــعراء في معجم البلدان، مكتبة لبنان، ط1، بيروت 2002م،
16- جواد، فاتن عبد الجبار: اللون لعبة سـيميائية- بحث إجرائي في تشـكيل المعنى الشعري، ط1، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2010م.
17- حجازي، أحمد: تأثير العطور والألوان على نفســية الإنســان ، ط1، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، 2001م.
18- حلمي، فدوى: ألوانك دليل شــخصــيتك، دار اليازوري العلمية للنشــر والتوزيع، عمان، الأردن، 2007م.
19- الحمداني، إياد عبد الودود: التصـــوير المجازي أنماطه ودلالاته، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2004 م.
20- حمداوي، جميل: بناء المعني السيميائي في النصوص والخطابات، دار الألوكة للنشر، الرياض 2013م.
21- حمداوي، جميل: الاتجاهات السيميوطيقية "التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية، ط1، مؤسسة المثقف العربي، 2015م.
22- حوفي، أحمد: الحياة العربية من الشـــعر الجاهلي، ط5، دار القلم، بيروت، لبنان، 1972م.

23- خضـــر، فوزي:عناصـــر الإبداع الفني في شـــعر ابن زيدون، تحقيق ومراجعة: عدنان بلبل الجابر، ط1، مؤســـســـة جائزة عبد العزيز ســـعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2004م.

24- خليف، يوسف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، ط3، القاهرة 1978.

25- الدملخي، إبراهيم: الألوان نظرياً وعلمياً، مطبعة الكندي، حلب، ط1، ســـوريا، 1983م.

26- الديوب، سمر: جماليات التصوير الفني عند الشعراء اللصوص في صدر الإسلام والعصر الأموي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة البعث، حمص، سورية، (د.ت).

27- رياض، عبد الفتاح: التكوين في الفنون التشكيلية "دراسة في سيكولوجية الرؤية ودورها في إثارة الأحاسيس الجمالية، ط4، دار النهضة العربية، القاهر، مصر 2000م.

28- زكي، أحمد كمال: شـــعر الهذليين في العصـــريين الجاهلي والإســـلامي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1969م.

29- الزواهرة: ظاهر محمد هراع: اللون ودلالته في الشعر " الشعر الأردني نموذجاً" دار الحامد، ط1، عمان، 20008م.

30- شـنوان، يونس: اللون في شـعر ابن زيدون، منشـورات جامعة اليرموك، إربد، 1999م.

31- الضـمور، عماد: ظاهرة الرثاء في القصـيدة الأردنية، ط1، دار الكتاب الثقافي إربد، الأردن، 2005م.

32- ضـيف، شـوقي: تاريخ الأدب العربي، العصـر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة 1960م.

33- طالو، محي الدين: الرسم واللون، مكتبة أطلس، دمشق، 1961م.
34- طريفي، محمد نبيل: ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي،ج1+2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2004م.
35- عباس، صبحي حسن: الصورة في الشعر السوداني، الهيئة المصرية العامة، 1982م.
36- عبد الرحمن، عفيف: معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى نهاية العصر الأموي، ط1، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1996م.
37- عبد الله الثاني، قدور: سيميائية الصورة – مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2005م.
38- عبد الهادي، عدلي محمد: مبادئ التصميم واللون، ط1، مكتبة المجتمع العربي، عمان، 2006م.
39- عبيد، كلود: الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، دلالتها)، مراجعة وتقديم: محمد حمود، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 2013م.
40- عتيق، عبد العزيز: علم البيان، ط1، دار الآفاق العربية، 2004م.
41- عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي عند العرب، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1995م.
42- علاونة، شريف راغب: عمرو بن براقة الهمذاني سيرته وشعره ، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع الأردن، 2005م.
43- علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط2، ج5، بيروت، لبنان (د.ت).
44- علي، رمضان عبده: تاريخ الشرق القديم وحضارته إلى مجيء الاسكندر الأكبر، دار نهضة الشرق، القاهرة 1997م.

45- عمر، أحمد مختار: اللغة واللون، عالم الكتب للنشـــر والتوزيع، ط2، القاهرة 1997م.
46- غانم، محمد حسن: في سيكولوجية الملابس، المكتبة المصرية للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 2004م.
47- القرعان، فايز عارف ســليمان: الوشــم و الوشــي في الشــعر الجاهلي، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998م.
48- كامل، عصـــام خلف: الاتجاه الســيميولوجي ونقد الشــعر، دار فرحة للنشــر والتوزيع، مصر 2003م.
49- كبابة، وحيد صـبحي: الصـورة الفنية في شـعر الطائيين بين الانفعال والحس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م.
50- المازني، عباس محمود: الديوان في النقد والأدب، دار الشـــعب، ط 3، ج1، القاهرة،1921م.
51- المراغي، أحمد مصـــطفي: علوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان 1993م.
52- مرتجى، أنور: سـيميائية النص الأدبي، ط1، افريقيا الشـرق، الدار البيضـاء، المغرب 1987م.
53- المرزوقي، أحمد بن محمد بن الحسـن (أبو علي): شـرح الحماسـة، ط1، ج2، دار الكتب العلمية، 2003م.
54- مروة، محمد رضـا: الصـعاليك في العصـر الجاهلي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990م.
55- مروة، محمد رضـا: الصـعاليك في العصـر الأموي، أخبارهم وأشـعارهم، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع 1990.
56- الملوحي، عبد المعين: أشعار اللصوص وأخبارهم، دار أسامة، (د. ت).

57- نافع، عبد الفتاح: الصورة في شعر بشار بن برد، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، 1983م.
58- نذير، عادل: عطر الوسيط، الأبجدية الأيقونة، مطبعة الزوراء، العراق 2009 م.
59- الهاشمي، علي: المرأة في الشعر الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد، 1960م.
60- الهذلي، غازي- الهذلي، خالد: شعراء العصر الجاهلي، أبو خراش الهذلي، دار القلم العربي، مراجعة وتدقيق: أحمد عبد الله فرهود، ط1، حلب، 1996م.
61- يحياوي، راوية: شعر أدونيس، البنية والدلالة، ط1، منشورات اتحاد الكتاب، دمشق، سوريا، 2008م.
62- يوسف، أحمد: الدلالات المفتوحة مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، 2005م.

رابعاً: الدوريات

1- أحمد، حيدر محمد جمال: إيقاع الألوان في شعر عز الدين المناصرة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، جامعة دمشق، مجلد 20، العدد1، يناير 2012م.
2- الألوسي، محمود شكري: رسالة في الألوان، ط1 ، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق ،ج3 ، آذار 1992م.
3- الجبوري، خليف: جمالية اللون في تصميم الإعلان التجاري ، مجلة الأكاديمي، جامعة بغداد، ع64، بغداد 2012م.
4- حاجي، آبادي وآخرون: الجمال اللوني في الشعر العربي من خلال التنوع الدلالي، (مقالة) مجلة فصيلة، دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة،ع9، 1971م.

5- حاوي، إيليا: العقل في الشعر بين التشبيه، والاستعارة، والرمز، بحث في مجلة الآداب، ع12، كانون الأول، 1962م.
6- الحسيني، عمار الزويني: رضا، أماني: " قراءة نقدية في ثلاثية العلامة عند بيرس ومثلثه السيميائي، مجلة الجرجاني، إيران، ع1، السنة الأولى، 2018م.
7- ابن حولي، الأخضر ميداني: الفيض الفني في سيميائية الألوان عند نزار قباني " دراسة سيميائية لغوية في قصائد من الأعمال الكاملة، مجلة جامعة دمشق، المجلد:21، ع3-4 ، 2005م.
8- دقة، محمد علي: الشاعر المخضرم فضالة بن شريك أخباره وشعره: بحث في مجلة أدباء وشعراء، مطبوعات 2011م.
9- زدادقة، سفيان: أدب الغرابة " قراءة في نص للصعلوك تأبط شراً "، مجلة الناص، جامعة جيجل، ع 2-3، أكتوبر 2004م، مارس 2005.
10- أبو زيد، سامي يوسف، وعبد الرؤوف زهدي مصطفي: دلالة الألوان في آيات القرآن، بحث في مجلة العلوم الإنسانية، جامعة خيضر بسكر، ع13، الجزائر 1998م.
11- السنجلاوى، إبراهيم: الغول في التراث الغربي القديم، مجلة أبحاث اليرموك، م6، ع1، 1988م.
12- الشعيلي، سليمان بن علي: الألوان ودلالاتها في القرآن الكريم، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، الإمارات، 2007م.
13- شوندي، حسن: الحركة في الصورة الشعرية، جامعة آزاد الإسلامية جيرفت، مجلة التراث الأدبي، ع3، 1969م.
14- عادل، محلو: سيمياء الصراع في تائية الشنفرى، بحث في مجلة الملتقى الوطني، ع4 (السيمياء والنص الأدبي)، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي بالوادي، الملتقى الوطني الرابع، الجزائر، 2012م.

15- عســكر، حيدر مزهر: عبد الكريم، ســارة، عقدة اللون عند الأغربة العرب في العصــر الجاهلي، مجلة علمية محكمة، كلية التربية الأســاســية في الجامعة المســتنصــرية، لارك للفلســفة واللســانيات والعلوم الاجتماعية، ج1، العدد31، 2018/10/1م.
16- الفيل، توفيق: القيم الإنســانية في شــعر الصــعاليك، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة الكويت، السنة العاشرة، مج10، ع38، الكويت1990م.
17- لفتة، ضــياء غني: اللون في شــعر الصــعاليك " دراســة دلالية "، بحث في مجلة كلية التربية جامعة ذي قار، مج1، ع1 ،2010م.
18- المجمعي، مريم محمد: الصــورة اللونية عند ابن جابر الأندلســي في ديوان المقصــد الصــالح في مدح الملك الصــالح، مجلة جامعة كركوك، م7، ع3، العراق 2012.
19- نـافع، عبـد الفتـاح: جمـاليـات اللون في الشــعر (ابن المعتز نموذجـاً) مجلـة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، ع4، 1969 م.
20- يعقوب، عبد الكريم، وغيثاء قادرة: صـوت الجسـد الفاعل في شـعر الشـنفرى، مجلة جامعة تشرين للدراسات البحوث العلمية، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، م25، ع12، سوريا 2003م.

خامساً: الرسائل العلمية.

1- الأوســي، ســلام كاظم: الزمن في شــعر الرواد(الســياب، نازك الملائكة، بلند الحيدري) رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد، 1990م.
2- الجبورى، ستار حمادى: العلاقات اللونية وتأثيرها على حركة السطوع المطبوعة في الفضـاء التصـميمي للمطبوع العراقي، أطروحة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، 1997م.

3- حرشاوي، جمال: الخصائص الأسلوبية في شعر الصعاليك (الشنفرى أنموذجاً)، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، 2015م.
4- أبو عون، أمل، محمود عبد القادر: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي "شعراء المعلقات أنموذجاً"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2003م.
5- غبن، يحي أحمد رمضان: دلالات الألوان في شعر الحروب والفت في الأندلس، أطروحة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب ، 2017.
6- مبارك، خالد جعفر: التشكيل البياني في شعر الصعاليك والفتاك حتى نهاية العصر الأموي، أطروحة دكتوراه، جامعة ديالي، كلية التربية والعلوم الإنسانية، 2014م.
7- المصري، نائل درويش سليمان: سيمياء الألوان في شعر بلند الحيدري، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، 2014م.
8- معمر، صديقة: شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر فترة (1988-2007)، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، كلية الآداب واللغات، 2009م.
9- مهنا، أحمد سليمان: المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، بغزة، فلسطين، 2007م.

الفهرس

مقدمة 11
تمهيد: (المفاهيم) 13
الفصل الأول 35
سيميائية الألوان الأساسية في شعر الصعاليك 35
المبحث الأول 37
سيميائية الألوان الأساسية عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي 37
المبحث الثاني 72
سيميائية الألوان الأساسية عند الشعراء 72
الصعاليك في العصر الإسلامي 72
الفصل الثاني 111
سيميائية الألوان الفرعية في شعر الصعاليك 111
المبحث الأول 112
سيميائية الألوان الفرعية عند الشعراء الصعاليك 113
في العصر الجاهلي 113
المبحث الثاني 164
سيميائية الألوان الفرعية عند الشعراء 164
الصعاليك في العصر الإسلامي 164
الفصل الثالث 213
سيميائية الصور اللونية وتعدد الألوان 213
تمهيد 215
المبحث الأول 217
سيميائية الصورة اللونية في شعر الصعاليك 217
المبحث الثاني 256
سيميائية الصورة وتعدد الألوان في شعر الصعاليك 256
الخاتمة 276
المصادر والمراجع 284